

الكتاب العربي السعودي



سعيد عبد العزيز الجندول

الإسلام في معترك الفكر

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
جدة - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
تهامة
جدة . المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ . هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة للناشر

الإسلام
في معترك الفكر

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا للاسلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأصلى وأسلم على عبد الله ورسوله إمام المتقين وقائد عباد الله المؤمنين .. وبعد :ــ

فإن هذا الكتاب الذى بين أيدينا هو عبارة عن مجموعة مواضيع رأيت أن الكتابة فيها ضرورية لما لها من مكانة مهمة فى الدعوة للاسلام والدفاع عنه ، وهى كلها إما كلمات اجتماعية تعالج بعض المشكلات الاجتماعية التى يقع فيها الكثير من الناس عن قصد أو غيره ، أو توضيح لضرر أشياء ينبغى للمجتمع أن يبتعد عنها ، أو أمور تدعو إلى العودة من جديد إلى منابع الاسلام الأصلية ، أو مواضيع أدافع بها عن الاسلام فى أمور نسبت إليه وهو منها براء ، وأنا إذ أقوم بهذا العمل إنما أهدف إلى أمرين :ــ

أولهما : دعوة المسلمين بعد أن ابتعدوا عن تعاليم الاسلام إلى الأخذ من منابعه الأصيلة عقيدة وشريعة ونظام حياة ، ليكون الدين كله لله ، وحتى يكونوا بذلك وكما أراد الله لهم ، خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

وثانيهما : الدفاع عن الاسلام مما نسب إليه من أمور لا حقيقة لها فى واقع الأمر ليعرف الناس دين الله كما أنزله الله وليفهم أولئك الذين يكيلون له التهم جزافاً ودون علم ، أن أمة الاسلام لا تعير إهتماماً لمفترياتهم ، وأن رجال الاسلام دوماً يقفون فى عزم وتصميم ليكشفوا كل أكاذيبهم ومفترياتهم ، وليدركوا جيداً أن الاسلام وهو دين الله الحق لن يخرج من قلوب المسلمين لمجرد تهمة تلصق به أو مفتريات يراد منها التشكيك فيما جاء به من أمور الدين والدنيا .

وفى تجارب أعداء هذا الدين عبر العصور الطويلة وبالوسائل المختلفة ، ومن خلال مفترياتهم يظهر لهم أن الاسلام لا ينهزم من القلوب وأن كل الامكانات المادية وغيرها لن تأتى بالمردود الذى يراود أفكارهم ، وحتى لو ضعفت جذوة الايمان فى قلب المسلم بسبب جهله بالاسلام فإن عقيدته

لا تفارق جسده ، اللهم إلا القليل القليل الذى يكتفى من الاسلام بالانتماء إليه ، دون أن يلتزم بأوامره ، وهذا الصنف من الناس لا يشكلون أعداداً خطيرة بالنسبة لمجموع عداد المسلمين المحافظين على إسلامهم .

ولكن حماس أهل الباطل لباطلهم ، يجعلهم لا ييأسون من الوصول إلى تحقيق أهدافهم لكن يقظة رواد الحق تفسد عليهم ــ والحمد لله ــ كل ما يريدون عمله من هدم للاسلام وتحطيم للمسلمين ، ولا ريب أن الصراع بين الحق والباطل سوف يظل ما بقيت على الأرض حياة لكن واجب المصلحين والمريدين للخير للعالم ، كل العالم ، أن يقفوا فى وجه الباطل على أى صورة كان وبأى شكل وجد ، وإذا كان دعاة الخير أولى بالتحمل والصبر فى مكافحة كل ما يجلب التعاسة للآخرين ، والمسلم فى أى مكان كان مدعو بأمر من الله أن يكون مصدر هداية وخير للناس جميعاً ومصدر إشعاع ينير للآخرين طريق الخير والسعادة والنجاة ..

هدانا الله للخير ووفقنا لكل ما يرضيه وجنبنا الزلل فى القول والعمل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

المؤلف

أصحاب الجلالة والفخامة

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء الدول الاسلامية .. المحترمين ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وأعانكم الله على تحمل الأمانة العظيمة والمهمة الصعبة ، المتمثلة فى قيادة الأمة والسهر على مصالحها ، والعمل على تحقيق سعادتها ، من خلال تنفيذ شريعة الله القائمة على العدل واجتناب الظلم ، وهيأ لكم البطانة الصالحة ، التى تذكركم إذا نسيتم ، وتعينكم إذا ذكرتم ، وجعل للاسلام والمسلمين النصيب الأوفى من جهادكم وجهودكم ، وأنار بصائركم وسدد خطاكم ورزقكم الفهم فى كتابه وسنة رسوله ، وشرح صدوركم للاسلام ، وملأ نفوسكم بالايمان .

وبعد : فإن الأمة بكم تسعد وبكم تشقى، وعن طريقكم ينتشر مد الاسلام أو ينحسر ، فإذا هيأ الله للأمة حاكماً صالحاً كان الخير كله والازدهار أجمعه ، وإن كان غير صالح كان البلاء كله والتدهور جميعه ، معنى هذا أن الحاكم إما نعمة أو نقمة ، إما سعادة أو شقاء إما خير أو شر .. وأنتم وقد منحكم الاسلام الاشراقة الايمانية الربانية ، مدعوون بحكم هذا الاسلام الذى تنتمون إليه ، أن تكونوا على مستوى الأمانة ، فى السهر على مصالح الأمة وفق ما شرعه الله ، وأن تتمثلوا الاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ، وتجعلوا من أنفسكم قدوة حسنة لغيركم فى أقوالكم وأعمالكم ، وتراقبوا الله دائماً فيما تعملون ، فإن من كان مع الله كان الله معه ، ومن نسى الله تخلى عنه وما أشد تعاسة الانسان عندما يتخلى الله عنه .

إن الامام العادل من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فكونوا عادلين بين الناس فى كل شيء ، تستقم أموركم ، ويسعد المجتمع بكم ، وتسعدون أنتم كذلك ، بالاستقرار والازدهار ، ولعل من المستحسن التذكير بما قاله رسول كسرى وقد وفد على عمر رضى الله عنه فوجده نائماً فى المسجد وتحت رأسه وسادة من التراب ، ولم يكن حوله حرس كما هو الحال بالنسبة للحكام ،

فيقول : عدلت فأمنت فنمت ، فالعدل عامل من عوامل الأمن والاستقرار ، وليس أسعد فى حياة الأمة من توفر أسباب الأمن والاستقرار ، فكونوا عادلين تسعدوا ،وتُسعِدوا

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، أذكركم بقول الله سبحانه وتعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) ، أذكركم بهذه الآية لتعلموا أن الملك عطاء من الله ، يعطيه من يشاء متى يشاء ، وينزعه ممن يشاء متى شاء ، فهو ملك الله وحده ، لا يزول أبداً .

أما ملك الخلق فهو محدود بزمن معين قد يطول وقد يقصر لكنه منته ولا شك ، من أجل هذا ينبغى أن يدرك جيداً كل من ولاه الله أمراً من أمور المسلمين حقيقة لاشك فيها وهى أن الملك زائل ، وأن أسباب زواله متعددة ، يأتى فى مقدمتها زواله بانتهاء الأجل المحدود للانسان ، فإذا أدرك الحاكم هذه الحقيقة أمكنة أن يجنب نفسه دروب الشر ومسالك الهلاك ، وطرق الانحراف ، وأمكنه كذلك عن طريق تحقيق العدالة الاجتماعية أن يجنب الأمة الكثير من القلاقل والاضطرابات ، ويحقق لها العديد من أسباب الرفاهية والازدهار ، وبالتالى يتحقق أنه مسؤول أمام الله عن أى تهاون أو تفريط فى أى أمر من أمور الدولة فيدعوه ذلك إلى أن يتحلى بالصلاح والتقوى ومراقبة الله فى الظاهر والباطن ، ويكون قدوة لغيره فى استقامة الخلق ، وصفاء الفكر ، ونظافة اليد وطهارة النفس ، كى لا يقع تحت طائلة المسؤولية الجسيمة ، التى سيسأل عنها يوم القيامة فى ذلك اليوم الذى لا ينفع فيه غير العمل الصالح ، وأنتم وقد تحملتم الأمانة العظيمة أمانة مسؤولية الأمة ، فى أمس الحاجة إلى أن تلقوا الله ، وأنتم قائمون بتأدية هذه الأمانة فى صدق وإخلاص ، لتكونوا ممن يفرحون بلقاء الله ، يوم لا يفرح بلقائه إلا الأتقياء والصالحون من عباده .

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، إن الله وقد آتاكم الملك وكلفكم بهذه المهمة الصعبة لتكونوا الحراس الأمناء على دينه والمخلصين الصادقين فى تنفيذ شريعته ، لا يجوز وليس من حق أى أحد منكم ، أن يحلل شيئاً حرمه الله أو يحرم شيئاً أباحه الله فدين الله قد وضعه الذى يعلم الصالح لعباده من غير الصالح ، فما كان حلالًا بنص القرآن والصحيح من السنة النبوية فلحكمة صار حلالًا ، وما كان حراماً بنص القرآن والصحيح من السنة النبوية فلحكمة صار حراماً ، من هنا فليس من حق الحاكم وغيره من البشر أن يغير أو يبدل أو يلغى أو حتى يناقش شيئاً شرعه الله لعباده ، فما وظيفة الحاكم ولا غيره إلا تنفيذ شريعة الله فيما يخصه كحاكم ، وما يخص المجتمع كأناس أصبحوا بحكم ولايته عليهم أمانة فى عنقه .

فحافظوا على بقاء الأمة على عقيدة التوحيد ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وحاربوا ما عداها من عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ، فما انتشر سلطان الاسلام إلا بعدما تمكنت هذه

الكلمة من قلوب السالف من هذه الأمة ، ولا صار عز للمسلمين ، إلا بعد العمل بمدلولها ، فهى مفتاح السعادة ، وأول درجات الرقى فى دنيا الانسان وآخرته ، ودون هذه الكلمة والعمل بما تدل عليه من معان ، لا تكون هناك ميزة للانسان على غيره من الكائنات الحية التى تعيش لتأكل ثم تموت ولا شيء غير ذلك ، من أجل ذلك فإن الحفاظ على عقيدة التوحيد تحفظ للانسان توازنه العقلى والنفسى ، وتملأ قلبه بالطمأنينة ، وتربطه بالله دائماً وأبداً ، بحيث يكون الله دائماً فى قلبه ، يتمثله فى كل حركاته وسكناته ، وهذا من شأنه أن يجعل أعماله دائماً وفق منهج الله ، الذى هو الطريق الوحيد إلى كل خير لكل الناس .. لا إله إلا الله هذه تلغى كل تأليه لغير الله الخالق لهذا الكون ، والحاكم قد يجعل من نفسه رباً يعبد وذلك عندما يشرع للمجتمع تشريعات تخالف ما جاء عن الله فيطاع فى ذلك التشريع ، يقول عدى بن حاتم : سمعت النبى ﷺ يقرأ هذه الآية : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) . فقلت : يا رسول الله ، إنا لسنا نعبدهم . قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ، قلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم » . ومعنى هذا أن الحاكم إذا فعل ذلك فقد عرض نفسه لخطر عظيم ، ومن أجل هذا نقول : إن على الحاكم أن يرفض كل ما يخالف الاسلام وإلا فهو خائن للأمانة .

وإن الصراعات الفكرية ، والمذاهب الفلسفية ، والاتجاهات العقائدية يا قادة الأمة قد أثرت تأثيراً بالغ الخطورة ، وأصبحت بسبب الجهل بالاسلام وتعاليمه تلقى رواجاً كبيراً مما جعل بعض حكام المسلمين ينجرف دون وعى إلى اعتناق بعض المبادىء التى تخالف الاسلام فكراً وتشريعاً ، مما جلب بذلك الكثير من المتاعب على نفسه وعلى المجتمع الذى يحكمه ، ولأنكم بحكم إسلامكم مطالبون بعدم الخروج فيما تعتقدونه أو تشرعونه عن دائرة الاسلام ، فليس من حقكم أن تقبلوا أى فكر يخالف عقيدة الاسلام ، أو تشريع لم يأت من عند الله ، وحتى لا يجوز أن تبحثوا عن أى حل لأى مشكلة إلا من خلال تعاليم الاسلام ، وقد أكمله الله وجعله صالحاً لكل زمان وكل مكان وكل أمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) . اذاً وما دام أن الله قد أكمل لنا الدين ، فما فائدة البحث عن أفكار أو تشريعات ليست من هذا الدين ، الاسلام يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو دين الله الذى ارتضاه لخلقه .. فالتزموا بما ارتضاه الله لعباده ، دون زيادة أو نقصان ، ولا تستهوينكم تلك المبادىء بشعاراتها ذات المحتوى الفارغ ، والتى هى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، وأقصد بذلك الشيوعية والاشتراكية والبعثية والقومية وما دار فى فلك المخترعات التى كان منشأها أفكاراً يهودية ونصرانية وغيرهما من الأفكار البشرية ، التى لم تنل نصيباً من إشراقة الله التى تملأ القلب هدى وسعادة ، هذه الأفكار البشرية التى قصد منها فى الدرجة الأولى إبعاد المسلم عن إسلامه ، وذلك عن طريق اشغاله بتلك الفلسفات الفكرية التى أثبتت على مدى التاريخ فشلها فى تحقيق السعادة للانسان .

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء الدول الاسلامية .

إن الله الذى أعزكم بالاسلام ، يأمركم ألاَّ تخافوإلا منه ، ولا تذلوا إلا له ، ولا تتوكلوا إلا عليه والتبعية للآخرين ذلة وخنوع ، والتقليد الأعمى أمر فى نظر الاسلام محتقر ومذموم ، واستقلال الشخصية الاسلامية ، وتمييزها بطابعها الاسلامى أمر مطلوب للغاية ، إذ دون ذلك لا تكون هناك شخصية مستقلة يتميز بها المسلم عن غيره ، وأنتم بما تقومون به من تحقيق العدالة والسعادة الاجتماعية وتوجيه المجتمع إلى ما يحقق له المزيد من السعادة فى الدنيا والآخرة ، إنما تعملون على إيجاد تلك الشخصية الاسلامية المتميزة ، بأفكارها وأخلاقياتها ، ومقومات حياتها ، إن فى إسلامكم أيها القادة ما يغنيكم عن استيراد مبادىء أو قوانين وضعها أناس ليسوا من ديننا ، ولا من أرضنا ، وإذا أردتم أن تروا هذه الحقيقة واضحة كالشمس فاقرأوا كتاب الله بتدبر وتفهم ، وليكن لكم نصيب من فهم أحاديث رسول الله ﷺ ، لتروا هذه الحقيقة ، حقيقة أن الاسلام غنى بتعاليمه ، عن استيراد أى فكر أو قانون ، أياً كان ذلك الفكر أو القانون ، لأنه ليس ثمة فى الواقع مقارنة بين ما وضعه الله الذى يعلم مصالح عباده وبين ما وضعه مخلوقون أفكارهم قاصرة وعقولهم محدودة ، ودليل ذلك أن تعاليم الاسلام ما تزال هى هى منذ أن نزل القرآن على محمد فى غار حراء إلى يومنا هذا ، وهى ما تزال تعطى بسخاء كل العاملين بها ما يطلبونه من صفاء روحى ، ونقاء فكرى ، وتشريع فردى واجتماعى وعالمى ..

أما ما تفتحت عنه أفكار المخلوقين من نظم وغيرها ، فما تزال ولن تزال كما هو حاصل الآن عرضة للتغيير والتبديل ، ذلك لأنها ليست من صنع الله الكامل العالم ، وإنما هى من وضع المخلوق الناقص الجاهل بكل شىء بالنسبة إلى الله ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا) .

إن الاسلام كما قلت يا قادة الأمة ، غنى بمبادئه ، عن كل مبدأ مستورد من أى جهة كانت وهو كما تعلمون دين أخوة ، فكونوا إخوة فى العقيدة ، تتقاسمون الآمال والآلام ، وتتعاونون فى السراء والضراء ، وتتساعدون فيما يعود عليكم وعلى مجتمعاتكم وعلى البشرية كلها بالخير والسعادة ، ودين عزة وكرامة ونصر وتأييد ، فارتبطوا بالله بقلوبكم ، وأصدقوه فى أقوالكم وأعمالكم ، يكن معكم عند الشدائد ، وينصركم عند المكاره ، ويحفظكم عند المصائب ، فكونوا مخلصين فى أعمالكم ، جادين فيما فيه النفع لبلادكم من إسلامية المناهج ، من أجل إيجاد الطبيب المسلم ، والمهندس المسلم ، والاقتصادى المسلم والمخترع المسلم ، والطيار المسلم ، وعالم الفضاء المسلم . وتحديث وسائل الزراعة والصناعة ، من أجل القضاء على الاستجداء من الآخرين حتى لا تبقى أمة الاسلام تحت هيمنة دول لا تربطها بها سوى روابط المصالح المادية المشتركة وفى بلادكم الاسلامية — والحمد لله — كل الثروات الموجودة على هذه الأرض ، وما يحتاج الأمر منكم إلا إلى عزائم صادقة ، ونوايا مخلصة ، وشىء من التخطيط القائم على

الدراسة المتأنية للاستفادة من تلك الثروات ، بحيث تستفيد كل دولة من الثروات الموجودة فى البلاد الاسلامية الأخرى ، وبهذه الطريقة تستطيع أكثر الدول الاسلامية عن طريق الاستفادة من ثروات البلاد الاسلامية الأخرى ، الاستغناء عن الاستيراد لكثير من الحاجيات من البلاد غير الاسلامية ، وبهذا التبادل للثروة يتحقق التضامن بين المسلمين من ناحية ، وينشط الاقتصاد الاسلامى من ناحية ثانية ، ويبقى المسلمون بعيدين عن التبعية الذليلة لغير المسلمين من ناحية ثالثة ، وحبذا لو كانت هناك سوق إسلامية ، يمارس المسلمون من خلاله أوضاعهم الاقتصادية ، على غرار السوق الأوربية المشتركة .

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء الدول الاسلامية ، الناس كما يقال : على دين ملوكهم ، وخير الناس من يكون قدوة حسنة لغيره، وأنتم تمثلون الوجه المشرق للاسلام والصورة الحية للمسلم الملتزم بتعاليم إسلامه ، لا أقول ينبغى ولكن أقول : يجب ، أن يكون تعاملكم مع الله قائماً على مراقبته فى السر والعلن ، ويكون تعاملكم مع المخلوقين قائماً على المحبة والوضوح ، فلا تظهروا للناس ما الله يعلم أنكم على خلافه ، ولا تعاملوا الناس بما لا ترضونه لأنفسكم ، فقد قال الرسول عليه الصلاة السلام : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

ولا شك أنكم تدركون أن الحكم الذى يكون أساسه الحب والثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم ، يكون أكثر رفاهاً واستقراراً .. وهذه المحبة وتلك الثقة تتحقق إذا ما صرف جهوده إلى ما يجلب للأمة الخير الذى تطمح إلى تحقيقه ، وابتعد كذلك عن المظالم والمفاسد ولم يستغل سلطانه فيما يحقق له المنافع الذاتية ، وسار فى الأمة بالعدل والمساواة دون تفرقة أو تمييز ، سيما فيما يتصل بتنفيذ حدود الشرع ، التى لا تفرق بين إنسان وآخر ، كما تتحقق إذا كان الحاكم مستقيماً فى سلوكه ، نظيفاً فى عرضه ، شريفاً فى تعامله إذا كان صالحاً يخاف الله ، وإذا كان واعياً لرعاية مصالح الأمة ، بمعنى أعم إذا جعل من نفسه قدوة حسنة ليحذوا الآخرون حذوه فى أعماله ، ويتأسوا به كرمز للمسلم الملتزم بتعاليم دينه ولا ريب أن المرؤوسين غالباً ، يترسمون خطى رؤسائهم ، فإن كانوا على استقامة من الخلق ، كان ذلك مدعاة لاستقامة الآخرين وإن كانوا — لا سمح الله — غير ذلك ، كان التأثير على الآخرين بالغ الخطورة .

ومن هنا نقول : إن استقامة الحاكم سبب من أسباب استقامة المحكومين ، وإن انحرافه عامل من عوامل الهدم والتخريب ، بمعنى أكثر إيضاحاً أن الحاكم إذا كان صافى العقيدة صادق العهد مع الله ، غير ظالم ولا مستبد ، كان تأثيره على من حوله ثم على المجتمع .. أما إذا كان مستغلًا سلطاته فى أموره التى تخصه ، ولم يكن لديه ذلك الوازع الذى يحول بينه وبين الاستغلال بشكله الواسع ، فإن هذا ينعكس ولاشك على من حوله ثم على المجتمع كله ، وبهذا تتفشى فى الأمة أمراض الخيانة والرشوة والاختلاس ، واللامبالاة وهى أمراض إذا انتشرت فى المجتمع حلت به المصائب ، وأصبح مجتمعاً مريضاً

يحتاج إلى علاج والعلاج فى مثل هذه الأمور صعب وغير سهل ، لأجل هذا وحتى يبقى المجتمع سليماً من تلك الأمراض وغيرها ، نقول لقادة الأمة ، كونوا القدوة الحسنة ، تصلح لكم وبكم أمور الدولة .

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء الدول الاسلامية ..

إن منطق العصر كما تعلمون لم يعد يعرف غير لغة القوة ، ومن أجل هذا أصبح القوى يتحين الفرص لابتلاع الضعيف كما فعلت الآن روسيا مع أفغانستان ، وإن مجلس الأمن الذى وجد أساساً من أجل تحقيق العدالة ، ورفع الظلم عن الشعوب المستضعفة ، لا يملك الآن سوى حق إصدار القرارات ، التى لا تنفذ كما هو الحال الآن فى رفض اليهود لكل قرار يصدره المجلس ضدها .

وإن مصالح الدول أصبحت هى المقدمة حتى على العهود والمواثيق التى تتم بين الدول ، وما دام هذا هو منطق أولئك الذين تتشابك مصالح المسلمين مع مصالحهم ، فإنه ينبغى أن تكون مصالح المسلمين أيضاً فوق كل اعتبار ، لكن سائلًا قد يقول : كيف للمسلمين وهم لم يهيئوا أنفسهم بعد لأمر كهذا لا من ناحية أوضاعهم الداخلية ، ولا حتى من ناحية ارتباط بعضهم من بعض من ناحية ثانية ؟ والجواب عن هذا التساؤل سهل وصعب .. فهو سهل إن تحققت لهم أمور أربعة :

١ ــ رجوعهم من جديد إلى الله ليكون معهم يحميهم ويؤيدهم .
٢ ــ إلتفافهم حول عقيدة التوحيد القائمة على الربط بين القلوب والمشاعر والأحاسيس .
٣ ــ تشييد المصانع لانتاج السلاح ، والدواء والكساء .
٤ ــ الاتجاه الجاد لزراعة الأرض واستغلال خيراتها من أجل تأمين الغذاء .

وهو صعب إن بقيت فيهم أمور أربعة :

١ ــ التنكر لعقيدة الاسلام باستبدالها بعقائد ليست من عند الله .
٢ ــ تعطيل الحكم بشريعة الله باستبدالها بقوانين من صنع البشر .
٣ ــ الاستمرار فى الاستجداء لطلب وسائل القوة من أعدائهم .
٤ ــ الاستمرار أيضاً فى مد الأيدى للآخرين لطلب لقمة العيش .

إن التنكر لعقيدة الاسلام يا قادة الاسلام يقود الانسان إلى متاهات مظلمة ، وإن تعطيل شرع الله تحد لارادة الله .

وإن الاستجداء بكل صوره وأشكاله لا يتفق مع مبادىء الاسلام القائمة على العزة والكرامة وما من أمة تستجدى وسائل القوة من غيرها بقادرة على حماية نفسها ، وما من دولة غذاؤها عند غيرها بمستطيعة الحياة دون عطف من أحسن إليها بلقمة العيش ، هذه حقائق يجب أن ندركها جميعاً ونعرف أبعاد خطورتها ، ولقد مرت على جميع دول العالم الاسلامى أمثلة كثيرة كان يمكن أن تكون مؤشراً لمثل

هذه الخطورة ، فقد منع بيع السلاح عنهم فى أحرج الأزمات وهددوا بقطع الغذاء عنهم إن لم يذعنوا لرغبات تلك الدول التى تملك السلاح أو هذا الغذاء ، وأمام الحاح الحاجة تنازلت كثير من الدول الاسلامية عن كثير من حقوقها وما تزال إلى يومنا هذا غير قادرة على أن تقول : (لا) لأن سلاحها وغذاءها ما يزال فى يد غيرها .

وإذا لم يكن هذا هو الاستعمار فما هو الاستعمار إذاً ؟ إنه لا خلاص يا قادة الأمة من هذا الاستعمار إلا بالمسح الشامل لكل الامكانات المادية والبشرية للعالم الاسلامى كله ومعرفة كيفية الاستفادة منها وذلك بالتنسيق بين جميع دول العالم الاسلامى لمعرفة الامكانات المتاحة لدى كل دولة للاستفادة منها فى الدول الأخرى ، هذا الكلام ربما يبدو لبعض الأذهان نوعاً من التفاؤل الزائد ، لكننا إذا أدركنا أن بلاد المسلمين مستهدفة من أعداء الاسلام ، وأنه دون هذا سوف تؤكل دول العالم الاسلامى دولة بعد أخرى ، إذا بقيت الدول الاسلامية على هذا النحو من التخلف الاقتصادى والصناعى ، وبهذا الشكل من التفرق فى المعتقدات والأفكار والآراء ، وبهذا التمزق الذى بلغ منتهاه ، فإنها سوف تنتهى من خارطة الوجود .

واسمحوا لى حضراتكم أن أذكركم بذلك الرجل الحكيم الذى جمع أولاده عندما أحس بأن حياته قد قاربت النهاية ، وأمرهم بربط مجموعة من العصى ، ثم أمرهم بتكسيرها فلم يستطيعوا ذلك ، فحل رباط العصى ثم أمرهم بتكسيرها كل واحدة على حدة فحطموها جميعاً ، فقال لهم : ما دام أمركم واحداً ورأيكم واحداً وإتجاهكم واحداً فلن يقدر أحد عليكم ، لكن إذا اختلف أمركم وتشتت رأيكم ، وتباينت إتجاهاتكم فهنا الخطورة عليكم ، سوف تغلبون واحداً بعد الآخر ،وكهذا يضرب هذا الرجل الحكيم المثل لمساوىء التفرق ونتائجه . ويأتى القرآن الكريم مبيناً عواقب الفرقة فيقول : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (فتفشلوا وتذهب ريحكم) ومن هنا فلابد من التأكد بأن التضامن الاسلامى فى كل المجالات الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية مبدأ من مبادىء الاسلام .

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء الدول الاسلامية .

إن أمة الاسلام ، مهما تباينت أوطانها وتنوعت أشكالها وتعددت لغاتها أمة واحدة جاء ذلك صريحاً فى قوله سبحانه وتعالى : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وهذا من شأنه أن يجعل كل دولة من دول الاسلام ، حارسة للدولة الأخرى ، ومشاركة لها فى سرائها وضرائها ، ومدافعة عنها فى شدتها ورخائها ، ومساعدة لها على قدر الاستطاعة فى كل شأن من شؤونها ، فاجعلوا من شعوبكم أمة واحدة فى عقيدتها وتشريعاتها وفى سياستها ودفاعها وفى اجتماع كلمتها ، وتلاحم أفكارها تحت راية التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وبهذا يتحقق التضامن الاسلامى ، الذى هو الأساس فى بقاء أمة الاسلام قوية ومستقلة ومتحررة من التبعية الذليلة لأى دولة غير مسلمة فى الشرق أو الغرب ، وهذا هو الأمر الذى يحقق للاسلام عزته ، وللمسلمين كرامتهم .

إن الاسلام لا يرضى أن يكون المسلمون جهلاء ، فانشروا العلم فى كل مدينة وقرية ، ولا أن يكونوا عالة على غيرهم ، فعلموهم طرق الكد والكفاح والمثابرة فى المصنع والحقل والمتجر وغير ذلك ، ولا أن يكونوا كذلك حقولًا للمرض ، فعلموهم قواعد الصحة ، وطرق السلامة من الأمراض ، وفروا لهم مراكز ومعاهد البحث العلمى ، ليكونوا علماء ومخترعين فى كل شىء قولوا لهم إن الاسلام لا يتعارض مع التقدم العلمى وأفهموهم أنه صديق حميم لكل ما فيه رقى الانسان وسعادته ، وأوضحوا لهم أن الاسلام دين ودولة ، وأنه من غير الممكن فصله عن شؤون الحياة وأن التفكير فى مثل هذا جريمة فى حق الاسلام .

ولتعلموا ــ قادة الأمة ــ وفقكم الله أن عمر الانسان محدود ، وأن أعماله محاسب عليها إن خيراً كانت أو غيره ، وأنكم بتحملكم أمانة الحكم مسؤولون عن كل تصرفاتكم ، وأن اليوم يوم عمل ولا حساب ، وغداً يوم حساب ولا عمل ، وأن الملك والمال والجاه فى الدنيا لا يغنى عن صاحبه شيئاً يوم الحساب ، فراقبوا الله فى أنفسكم وفيما تعملون ، وتذكروا دائماً نهاية الحياة ، ولا تغتروا بأبهة الملك وكثرة المال ، وقوة السلطان ، فإنها كلها لم ترد ولن ترد أمراً يريد الله إنفاذه ، وأنه ليس بين الحياة والموت سوى أن يقول الله للشىء كن فيكون .. ورددوا دائماً هذا الدعاء .. « اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم لقاك » .

ووفقكم الله ، وهداكم إلى الصراط المستقيم ...،،



مسلمون لا محمديون

جرياً على العادة المعروفة عن أدعياء الاسلام ، من تعمد إثارة الشكوك والشبه الواهية التى لا تقوم على سند صحيح ، واستمراراً للحملات العدائية التى يثيرها أعداء الحق والخير ضد هذا الاسلام الذى تخطط أمم الكفر كلها لطمس معالمه من الوجود ، لا لأنه قد أساء إليهم ولكن لأنه دين الله الحق ، الذى يخالف ما هم عليه من كفر وإنحلال وفساد أخلاق ... هذه الأمور التى لو لم تكن موجودة فى العالم لعاشت المجتمعات فى أمن ورخاء واستقرار لكن هؤلاء وقد استغلقت عقولهم عن سماع كلمة الحق ، وزاغت أبصارهم عن رؤية الخير ولم تنشرح صدورهم لنور الاسلام ، راحوا يتنادون من كل مكان لمحاربة هذا الدين بكل الوسائل التى تمكنهم من القضاء عليه ، فمن غزو عسكرى إلى غزو فكرى ، إلى إغراء مادى إلى أشياء أخرى كثيرة ، من إثارة الشبه والصاق التهم غير الصحيحة بالاسلام وبما جاء به من تعاليم من أجل اسعاد البشرية كلها .

ومن هذه الشبه تسميتهم المسلمين بالمحمديين ، نسبة إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ومع أن نبينا عليه السلام الذى هو نبى البشرية كلها ، قد اختاره الله لحمل آخر الرسالات السماوية ، رسالة الاسلام ، وجعله خاتم النبين ، وأمرنا الله باتباعه وتصديق ما جاء به من الله ، وجعل حبنا له مقدما على حبنا لأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأبنائنا ، لكنا مع هذا لسنا بمحمديين وإنما نحن مسلمون ، نؤمن بأن الاسلام دين الله ، وأن محمداً رسول من عند الله ، وما نسب محمد عليه السلام المسلمين فى يوم من الأيام إلى نفسه وما كان يخاطب المجتمع الا بكلمة يا أيها الناس ، وخطاباته إلى ملوك الفرس والروم وغيرهم من وجه لهم خطابات يدعوهم فيها إلى الدخول فى دين الله كان يقول فيها : « أدعوكم إلى الاسلام ولم يقل أدعوكم إلى المحمدية » .

إذاً ما الغاية من تسمية المستشرقين وغيرهم المسلمين ، بالمحمديين ، والجواب أن الغاية من هذه التسمية ، هو الايهام بأن الاسلام الذى يدعو إليه محمد عليه السلام ليس ديناً من عند الله ، وإنما هو شيء أتى به محمد من عند نفسه ، وما دام أن هذا شيء من وضع محمد فأتباعه يسمون محمديين ، هذا هو الهدف من هذه التسمية ، والغاية وإن كانت مكشوفة للكثير من الناس ، لكن قد يصدقها بعض الذين لا يفهمون عن الاسلام شيئاً ، فيظنون أن ذلك صدقاً ، ومن هنا وما دام أن هذا من عند محمد

بما فى ذلك القرآن الكريم ، وليس ديناً جاء من عند الله فهم أحرار فى قبوله أو رفضه ، ولكن الرفض يكون أقرب إلى الذهن من القبول طالما أن هذا الدين الذى يدعو إليه محمد ليس من عند الله ، دسيسة ماكرة لاشك .. لكن الحقيقة تدفعها والواقع الثابت يؤكد تفاهتها وذلك لعدم قيامها على دليل علمى أو عقلى ، وأمر كهذا لا يستغرب ممن بدأ صراعهم مع هذا الاسلام منذ انبلاج فجره وما يزالون ، وسيظلون يمارسون عن عمد إثارة مثل هذه الأشياء كلما سنحت لهم فرصة مدركين فى قرارة أنفسهم أنها أشياء غير حقيقية ، لكن ماذا يفعلون وقد أفلسوا تماماً من وجود حقائق يشهرونها فى وجه هذا الدين حتى لا ينتشر فى الأرض سوى إشاعة مثل هذه الأكاذيب التى يقومون بإثارتها من وقت لآخر ؟ ولكن ومع استمرارية إثارتها عبر مسار التاريخ لم تعط النتائج التى كانوا يرجون من ورائها والسبب فى ذلك واضح كل الوضوح ذلك أن الاسلام دين الله وقد تعهد الله بحفظه بقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

والمعجزة العظيمة القرآن الكريم أوضح دليل على أن هذا الدين ليس من عند محمد إذ لو كان من عند محمد لما تحدى الله العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، والذين هم أرباب الفصاحة والبلاغة وفرسان البيان ، أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو حتى بسورة واحدة من مثله ، فما كان منهم إلا الاعتراف بالعجز عن الاتيان بشىء من هذا ، لأنه ليس من كلام محمد إذ لو كان كذلك لجاءوا بمثله وأكثر منه ، لكنه كلام الله وليس من كلام محمد ، وما دام أن العرب وقد نزل القرآن الكريم بلغتهم وقفوا عاجزين عن أن يأتوا بشىء من مثله ، فغير العرب أولى بالعجز ، ويمكن أن نوجز بعض الأدلة على أن هذا الدين ليس من عند محمد ، وأن كتاب الاسلام (القرآن الكريم) كتاب من عند الله ، وأن محمداً عليه السلام مجرد مبلغ عن الله ما فى هذا الكتاب من أوامر ونواهٍ وتوجيهات وإرشادات فى الأمور الآتية :

أولًا : لو كان هذا الدين الذى أساسه القرآن الكريم من عند محمد كما يزعمون ذلك لوجدنا الرسول عليه السلام يذكر فيه أمجاد آبائه وأجداده ، ويسجل فيه مفاخر قومه وعشيرته ، ويتعالى على الناس جميعاً بهذا الكتاب الذى لا يستطيع أحد أن يأتى بشىء يماثله ، لكن هذا لم يحصل أبداً ، بل العكس هو الذى حصل ، فقد ذم كل ما كان عليه قومه وعشيرته من خرافات ، وعصبيات معلناً لهم عن أمر من الله أنه رسول الله إلى الناس كافة : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً » .

ثانياً : يؤكد القرآن الكريم أن الرسول ﷺ حينما يتكلم إنما يتكلم بوحى من الله الذى حمله أمانة الرسالة ، تقول الآية الكريمة فى ذلك : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » .

ثالثاً : وتأتى آية أخرى فيها تهديد مرعب لمحمد عليه السلام فيما لو افترى على الله بشىء لم يأمر به فتقول : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين » بمعنى أنه

صادق فيما يقول ، ولكن فى حالة ادعائه شيئاً لم نأمره به ، فإننا سنعاجله بالعقوبة ، بالأخذ باليمين ، وقطع الوتين ، وهذا من أوضح الأدلة على أن القرآن ليس من عند محمد إذ لو كان من عنده لما هدد نفسه بمثل هذا التهديد المخيف ، ثم كيف يتصور أن يهدد الانسان نفسه فى كتاب وضعه هو هذا شيء لا يقره عقل .

رابعاً : وفى حادث معين من حوادث السيرة كان النبى ﷺ مشغولًا بأمر جماعة من زعماء قريش يدعوهم إلى الاسلام ، فيدخل عليه وهو على هذه الحالة ، رجل فقير أعمى يقال له ابن أم مكتوم ، يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله ، فيكره الرسول ﷺ ذلك وعبس وجهه وأعرض عنه ، فنزل القرآن يعاتب الرسول عتاباً شديداً ، ويقول : (عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة ، فمن شاء ذكره ، فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدى سفرة ، كرام بررة) ، فلو كان القرآن من عند محمد كما يزعمون ، لما عاتب نفسه هذا العتاب القاسى . وفى أية من سورة الغاشية تأتى آية تبين وظيفة الرسول ﷺ على وجه التحديد فتوضح أن ليس له من أمر الدعوة سوى إبلاغ الناس ما أمره به الله ، وتذكيرهم به ، أما أمر هداية القلوب ، وقسرها على الايمان ، فشيء إلى الله الذى لا يقدر عليها غيره ، تقول الآية الكريمة فى ذلك : « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » فلو كان الاسلام من عند محمد لأعطى لنفسه حق التصرف الكامل فى كل شيء ، ولما حصر مهمته فى إبلاغ الناس وتذكيرهم فقط .

هذه بعض نماذج تدل على أن محمداً عليه السلام رسول من عند الله له وظيفة معينة هى تبليغ البشرية ما أمره الله بتبليغه ، مما تتحقق به للناس السعادة فى دنياهم وآخرتهم .

وبعد .. فإنه لم يرد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ما يشير من قريب ولا بعيد إلى تسمية المسلمين بالمحمديين ، نسبة إلى محمد عليه السلام ، ولذا ونحن نرفض هذه التسمية الحديثة الولادة ، والمنطوية على أهداف فى غاية الخطورة ، نقول : رضينا بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ونقول أيضاً : إننا مسلمون ولسنا بمحمديين ..



تغريب المسلمين

الذى يظهر لى وما أظنه إلا حقيقة ، أن عقول الغربيين والأمريكيين معاً عن الاسلام والمسلمين ما تزال أسيرة أفكار بالية ، وأنهم لا يعرفون عن الاسلام والمسلمين ، إلا الشيء الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وحتى المعلومات التى فى أذهانهم عن طبيعة الاسلام ، معلومات لا تعطى الحقيقة ولا تمثل الواقع يبدو ذلك جلياً فى أسلوب تعاملهم مع المسلمين ، ذلك الأسلوب القائم على المحاولات المستمرة من أجل سلب العقيدة ، وإفساد الأخلاق ، ثم إخراج المسلم من دائرة الاسلام ، ليدخل فى حظيرة النصرانية ، والسبب فى ذلك أن المفاهيم الخاطئة لدى الغربيين وغيرهم عن الاسلام والمسلمين ، تجعلهم غير مدركين لطبيعة هذا الدين ، رغم تجاربهم الطويلة معه ومع أتباعه ، إذ ما زالوا حتى الآن يظنون جهلًا أنه من السهولة بمكان جر المسلم إلى عقيدة غير عقيدته ، لكن الحقيقة أنهم لو راجعوا حساباتهم على ضوء ما بذلوه من جهود ضخمة ودراسات متعددة وأموال لاحصر لها من أجل هذا الغرض لعلموا أن هذه الجهود الهائلة ، والتى استغرقت سنين طويلة لم تحقق الغاية التى يريدونها ، وأن تغريب العالم الاسلامى الذى يسعون من أجل تحقيقه لا يتفق مع طبيعة عقيدتهم .

ومن هنا تأتى صعوبة التغريب ، وحتى لو تأثر بعض المسلمين ببعض العادات الغربية الغريبة عن طبيعتهم ، وما يؤمنون به من قيم ، فإن جوهر العقيدة يظل كما هو داخل النفس لا يزول .

وليس أدل على ذلك من تمسك المسلمين بعقيدتهم عبر السنين الطويلة داخل الصين والاتحاد السوفييتى ، رغم عزلهم عزلًا تاماً عن بقية العالم الاسلامى ومنعهم من مزاولة شعائرهم الدينية علناً ، وكذا الاستعمار الغربى الذى بقى طويلًا فى كثير من بلدان العالم الاسلامى يجاهد بكل وسائله المختلفة لطمس العقيدة من نفوسهم ، لكن هذا الجهاد لم يثمر بالقدر الذى كانوا يتصورونه ، فى أذهانهم ، وحقيقة الأمر أنهم لو درسوا واقع الدول التى تحررت من الاستعمار لرأوا أن هذه الدول ، بعد زوال كابوس الاستعمار عنها بدأت من جديد تبحث عن هويتها الاسلامية التى حيل بينهم وبينها سنين طويلة لعلموا أنهم حتى الآن لم يعرفوا طبيعة العقيدة الاسلامية القائمة على النظرة الشاملة لله ، والكون والحياة ، وأن القيم الاسلامية المتمثلة فى الأوامر والنواهى ، والتوجيهات الالهية لا تتفق مع التغريب القائم على الانحلال والفساد ، والتفكك والضياع ، ثم أن جهلهم بالاسلام جعلهم لا يعرفون ، أو هم

لا يريدون أن يعرفوا أن للاسلام حضارة أسمى وأنفع للبشرية من حضارتهم التى يعملون على نشرها لتحل محل حضارات الآخرين ، هذه الحضارة التى لا تنظر إلى الحياة إلا من زاوية واحدة هى المادة الخرساء ، أما الحضارة الاسلامية فهى تلك التى تجمع بين المادة والروح ، وفرق بين هذه وتلك فى المعطيات والنتائج لسعادة الانسان .. إن محاولة تغريب العالم الاسلامى تصدر من منطلقين ، منطلق جهل ومنطلق علم :

الأول : وهو منطلق الجهل ، وذلك أن الغربيين وهم أجهل ما يكونون بالاسلام لا يتصورون أن الاسلام وتعاليمه يمكن أن تسير جنباً إلى جنب مع تطور الحياة وتقدمها ، ولذا فإنه من وجهة نظرهم أن الدين لا علاقة له بالحياة المادية ، انطلاقاً من معتقدهم ، أن ما لله لله وما لقيصر لقيصر .. ومن هنا كانت استحالة الفهم عليهم بأن الاسلام كدين يمكن أن يساير تطور الحياة دون أن يصطدم بها ، لذا فهم من هذا الفهم يعملون بكل الوسائل على التأثير على عقيدة وأخلاق المسلمين ، كى يستطيعوا تطوير هذا المجتمع المسلم أو بعبارة أوضح كى يستطيعوا تغريب المجتمع المسلم ، لأنه من غير الممكن فى نظرهم أن يجتمع دين وتطور مادى ، لذا فهم يعملون جاهدين فى التخريب من أجل التغريب .

الثانى : منطلق العلم ، وهو أن بعض هؤلاء الناس وقد أدركوا تماماً عن طريق الخبرة والاطلاع صعوبة تحويل المسلمين عن عقيدتهم لتغريبهم وبعد دراسات مستفيضة رأوا أن لا وسيلة لتغريب المسلمين ، إلا بالعمل على زعزعة عقيدتهم وإفساد أخلاقهم ، فأثاروا الشبه والشكوك حول الاسلام وصلاحيته للحياة ، ونشروا نظريات دارون ، وكارل ماركس ، وغيرهما من الملحدين والتى أثبت الواقع على مدى الزمن فشلها وعدم ملائمتها لطبيعة الحياة فى المجتمعات الانسانية ، وذلك من أجل التأثير بها على عقول الآخرين ، وأغرقوا المجتمعات بكتب الجنس والالحاد ، والأفلام التى تخجل منها طبيعة الانسان ليقضوا بذلك على أخلاقيات المجتمع لأن هذا هو السبيل فى نظرهم من أجل القضاء على ما يؤمن به المسلم من قيم وأخلاق ، وبغير هذا لا يمكن صبغ المجتمع الاسلامى بالصبغة الغربية ، وساروا فى هذا الخطر وما زالوا وسيظلون كذلك إلى أن يتم لهم ما أرادوا أو يفشلون ، والحقيقة التى لا جدال فيها أنهم نجحوا إلى حد كبير فى هذا المجال فى بلدان إسلامية كثيرة ، لكن اليأس من إصلاح ما فسد من الأمر ينبغى ألاَّ يتسرب إلى نفوسنا ، فهناك صحوة إسلامية عامة ، وهناك تفهم جديد للاسلام ، ثم هناك العقيدة التى يصعب القضاء عليها بسهولة ، ولا ريب أن لهؤلاء الناس معها تجارب عديدة ، فى كثير من البلدان الاسلامية التى امتحنت بالاستعمار والذى كان من أهم أهدافه محو كل أثر للاسلام فى نفوس المسلمين ، وبعد هذا وذاك وكما قيل : الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ، وما يقوم به هؤلاء انطلاقاً من الحقد الصليبى من محاولة التغريب عن طريق الدعوة إلى

فصل الدين عن الدولة ، واضعاف الايمان من النفوس عن طريق الإلحاد والانحلال ، وإتهامهم للغة الاسلام بأنها لا تتسع لمتطلبات العصر ، وذلك من أجل التقليل من شأنها لابعاد الناس عن لغة القرآن ، ثم تآمرهم على أن تكون هناك زعامة قوية تنفرد لقيادة الأمة الاسلامية ، ومحاربتهم لكل وحدة تجمع الشعوب الاسلامية ، ومحاولاتهم على ألاَّ يسود الاستقرار أى أرض إسلامية ، إلى جانب تغذية الخلافات بين حكام المسلمين ومناصرة بعضهم على بعض من أجل استمرار الخلافات وإغراقهم فى صراعات داخلية حتى لا يتفرغوا لما يسعد شعوبهم ويوحد كلمتهم ، كل هذه وأمثالها وأكثر منها محاولات من أجل احلال الحضارة الغربية بكل أضرارها ومفاسدها محل الحضارة الاسلامية ، وجعل المسلمين دائماً وباستمرار تابعين لهم فى كل شيء ، وما المشاكل القائمة الآن فى كل من أندونيسيا والباكستان وإيران وأفغانستان وفى ليبيا والسودان وتركيا والفلبين وكثير من البلاد العربية إلا من هذا القبيل أى محاولة الوصول بهذه البلدان إلى التغريب .

لكن الاسلام وهو ينفرد بمقارعة كل المهازل والأضرار التى تمارسها وتدعو إليها حضارة الغرب ، والمتمثلة فى النظرة إلى الحياة نظرة مادية هابطة ، يقف وسط الصراع يعلن أن الحضارة التى تحقق سعادة الانسان فى دنياه وآخرته ، هى تلك التى يدعو لها والقائمة على الاعتراف بألوهية الله وحده دون غيره ، والعمل على أن تكون كل المخترعات والمبتكرات قائمة على أساس البحث عن ما يسعد الانسان ، لا على ما يجلب له الخراب والدمار كما هو حاصل بالنسبة للحضارة الغربية التى يريد أنصارها أن يحلوها محل الحضارة الاسلامية ، التى تدعو إلى أن تسير الحياة الروحية والمادية فى خطين متوازيين : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) والآية من كتاب الله تعالى تقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

وبعد .. فإن الاستغراب أمر غير منطقى بالنسبة للمسلمين الذين فهموا الاسلام كما يجب ، ذلك أن نظرة العالم الغربى تقوم أساساً على المادية الصماء ، بينما نظرة المسلمين إلى الحياة تقوم على أساس روحى ومادى ، ومن هنا توجد صعوبة تغريب المسلمين ، ومع وجود هذه الصعوبة أنهم يواصلون جهودهم من أجل الوصول إلى الأهداف التى يريدونها وصدق الله إذ يقول : « ودّوا لو تكفرون فتكونون سواء » .

إن هؤلاء القوم فى محاولاتهم هذه ، يريدون إفساد كل شئ جميل فى حياة المسلمين فأفكارنا الايمانية ، يريدون أن تحل محلها أفكار علمانية وإلحادية .

وأخلاقنا الرفيعة ، يريدون أن تحل محلها أخلاقهم الهابطة ، إلى أقصى درجة الانحدار ، وأمكنة العبادة المدرسة عندنا ، يريدون قلبها إلى نوادٍ ليلية وصالات للرقص وأوكار للرذيلة .

وعن طريق تغريب المناهج الاسلامية ، وبث الأفلام الماجنة ، والأغانى المبتذلة والصحف والمجلات المأجورة ، يعملون ليكون المسلم كما هو عندهم يزخر بالكثير من صرعى المخدرات ، ودعاة الجنس ، ومحترفى الاجرام .

وعن طريق محاولة تعطيل تعاليم الاسلام التى تقوم على حماية الأخلاق ، لتحل محلها أنظمة تبيح زواج الرجل من الرجل ، وتبادل الزوجات برضا من الطرفين ، واستئصال فحولة الأطفال لتوظيفهم فى أقذر تجارة للجنس وما إلى ذلك من أنواع الشذوذ التى تزخر بها المجتمعات هناك ، حاملة معها كل أنواع الخراب والدمار ، وكل وسائل العنف والاجرام وكل أشكال المصائب والآلام ، وهذه هى نتائج التغريب التى يريدها أعداء الاسلام للمسلمين بعد أن عانوا منها كل الويلات والنكبات .

ومن أجل هذا نقول للمسلمين كل المسلمين ، احذروا فأنتم مستهدفون ، وكونوا على يقظة من أمركم فالعدو دائماً يتربص ليحكم قبضته حول رقابكم ، وهو عدو شرس يدفعه حقد قديم وجد مع إشراقة نور الاسلام ، ولن يهدأ هذا الحقد فى نفوس القوم ما دام المسلمون مسلمين وصدق الله إذ يقول : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .



بعض المعجزات في حياة محمد عليه السلام

حينما نتحدث عن بعض المعجزات والأمور الخارقة للعادة فى حياة الرسول ﷺ ، لا نريد بذلك تأكيد صدق رسالته لمن شرح الله صدره للاسلام ، وإنما نريد إعطاء صورة صادقة عن طريق دلائل عقلية لمن لم يرد الله هدايته بعد ، بأن محمداً عليه السلام ليس بشراً عادياً ، ولكنه عبد من عباد الله اختاره لحمل آخر رسالاته إلى الأرض ، فأعطى لهذه الرسالة كل حياته حتى بلغها إلى قومه وإلى العالم من بعدهم ، فآمن بها من أراد الله له السعادة ، ولم يقبلها من كان فى قلبه مرض ، فنشأ الصراع من ذلك الحين وإلى وقتنا هذا وسيظل هذا الصراع قائماً إلى أن تزول الحياة من الأرض بين المصدقين للرسالة والمكذبين لها أو المعاندين المكابرين ، وما يزال المكذبون يثيرون الشبهات حول صدق رسالة محمد عليه السلام . والمنصف منهم من يصف الرسول عليه السلام ، بالعبقرية والنبوغ وأنه عن طريق تلك العبقرية استطاع أن يوجد له أتباعاً يدافعون عنه ، ويدعون إلى ما يدعو إليه ، وهم بوصفهم للرسول بالعبقرية والنبوغ ، إنما يهدفون إلى غاية معينة ، وهى أنهم لا يريدون أن يعترفوا لمحمد عليه السلام بأنه رسول من عند الله وسواء اعترف أمثال هؤلاء برسالة النبى محمد عليه الصلاة والسلام أم لم يعترفوا ، فإن الحقيقة تظل كما هى ، وما من نبى قبل محمد عليه السلام ، إلا كان له مكذبون ومعارضون ، سنة أراد الله أن تواجه كل نبى من أنبيائه ليتميز المؤمن من غيره ، وليمتحن بذلك أيضاً صبر النبى ومدى تحمله لأذى المعارضين له والمنكرين لرسالته ، ولقد قاسى محمد عليه السلام من قومه كل أنواع الأذى ، وصنوف الاهانة ، بما فى ذلك التآمر على قتله ، لكن أعداء محمد كانوا أكثر من أعداء إخوته الأنبياء الذين سبقوه من قبل لسبب واضح وهو أن الرسل السابقين له ، كانت رسالاتهم إقليمية ، بمعنى أنهم يبعثون إلى أقوامهم فحسب ، أما محمد فرسالته ليست لقومه (العرب) بل هى رسالة عامة لكل شعوب الأرض منذ أن كلف بتحمل الرسالة إلى أن تقوم الساعة ، ولهذا فأعداء رسالته أكثر ، ووسائلهم فى معاداة دعوته أشنع وأفظع ، لكن الله الذى يعلم حيث يجعل رسالته ، قد حماه وأيده فكان هذا الانتشار العظيم لدين الله الذى ختم به كل الأديان ،وحتى تقوم الحجة أكثر على أولئك الذين فى قلوبهم مرض نعرض بعض الأشياء من تلك المعجزات والأمور الخارقة للعادة التى تؤيد صدق الرسالة ، والتى لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يخبر عنها إلا نبى ينزل عليه وحى من الله .

وأول هذه المعجزات الدالة على صدق الرسالة القرآن الكريم ، كلام الله الذى أنزله على محمد عليه السلام ، بلغة قومه العرب ، فرسان البلاغة وملوك الكلام ، فما استطاعوا مجاراته ، ولا قدروا على النسج على منواله ، ذلك لأنه لم يكن من كلام محمد ، وإلا لما وقفوا عاجزين عن أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله أو حتى بسورة واحدة من مثله ، وإذا كان أرباب الفصاحة والبلاغة ، قد وقفوا عاجزين عن أن يأتوا بكلام يضاهى هذا الكلام الذى نزل بلغتهم على محمد عليه السلام ، فغيرهم أولى بالعجز ، ومنذ أن نزل القرآن على محمد عليه السلام إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله والقرآن الكريم يعلن تحديه لكل العالم أن يأتوا بشىء من مثله ، لذا نعيد القول لكل الذين لا زالوا مترددين ، لنقول لهم : إن الدليل الحى على صدق رسالة محمد عليه السلام ، القرآن الكريم الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

كما أن من الأدلة على صدق رسالته عليه السلام ، ما أخبر عنه النبى ﷺ من أمور غيبية ماضية ومستقبلية ، ورد بها القرآن والسنة النبوية فمن ذلك :

١ — **إخباره بانتصار الفرس على الروم مرات عديدة ، الأمر الذى جعل الروم فى شبه يأس من انتصارهم على الفرس ، لكن إخبار الله بانتصار الروم على الفرس ، وبالتحديد بعد بضع سنوات قد تحقق ، تأكيداً لقوله تعالى : « الم ، غلبت الروم ، فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .**

٢ — بنى قينقاع بطن من اليهود بالمدينة ، وعرض عليهم الرسول ﷺ الاسلام ، وهم يعرفون أنه رسول من عند الله ، كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » ولكنهم رفضوا فى وقاحة قائلين : يا محمد إنك ترى أنا مثل قومك (يريدون بذلك قريشاً الذى انتصر عليهم يوم بدر) لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس ، فأنزل الله عز وجل : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » . وحينما لم يقبلوا الاسلام قاتلهم النبى عليه السلام فهزموا شر هزيمة ، وبهذا وقع ما أخبر به من الغلبة عليهم .

٣ ـــ قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » إخبار عن القرآن الكريم بأن الله حافظ له من التغيير والتبديل ، وهذا حقيقة ثابتة فمنذ أن نزل القرآن على رسول الله ﷺ ، إلى هذا العصر والمسلمون فى الهند والصين وفى أندونيسيا وتركيا على اختلاف لغاتهم وأجناسهم يقرأون القرآن ، كما يقرأه إخوتهم العرب فى مكة والمدينة وفى بلاد الله الأخرى ، دون أن يزيد أحد على أحد فى قراءته حرفاً واحداً أو حتى نقطة واحدة ، وذلك رغم كل التحديات والمؤامرات ، والمحاولات المستمرة من أعداء هذا القرآن ، من أجل الوصول إلى تغيير أى شىء من آياته ، لكن وعد الله لحفظه ووعد الله لا يتخلف قد حال بين أعداء هذا القرآن وبين أن يكون فى مقدورهم الوصول إلى ما يريدون تحقيقه من العبث فيه بأى طريقة كانت .

٤ ـــ وقصة الاسراء والمعراج ، حيث أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عاد من ليلته إلى مكة ، قصة الاسراء والمعراج هذه كانت فرصة للمشركين لتكذيب الرسول عليه السلام فى أمر لا يمكن لعقولهم أن تصدقه ، ولذا فما كادت آذانهم أن تسمع هذا الخبر حتى أذاعته فى كل مكان ، واجتمع له أهل مكة ليسمعوا الحقيقة من محمد وعندما أخبرهم بأن ما سمعوه صحيحاً وأنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد إلى مكة فى ليلته حاولوا بكل الوسائل أن يكذبه الناس فيقع فى حرج لا يستطيع معه مواجهة الناس وبالتالى ينصرف الناس عن الاستجابة لما يدعو إليه ، من عبادة الله وترك عبادة الأوثان ، فطلبوا منه فى مشهد عام من سكان مكة أن يصف لهم بيت المقدس ، ليتأكد لكل الناس عدم صدقه ، والواقع أنه مطلب صعب إذ كيف يمكن أن يصف شخص مكاناً زاره لأول مرة وفى الليل ثم عاد منه فى ذلك الليل نفسه ، لكن الله سبحانه وتعالى ما كان ليترك نبيه يقع فى ذلك الحرج إذ مكنه من إعطائهم الوصف الحقيقى للمسجد وما فيه من أبواب وأعمدة وشبابيك وما إلى ذلك فبهت القوم ولما سقط فى أيديهم قالوا زيادة فى التعنت : فأين إبلنا القادمة من الشام ؟ فأخبرهم أنه مر عليها بمكان كذا وكذا وأنه انكسرت لهم ناقة حمراء ، وأنه يتقدمها جمل أورق ، وأنها ستصل إليهم بالغداة على الثنية ، وقد جاءت الابل فى الوقت الذى حدده عليه السلام ، كل هذه وأمثالها أمور تؤكد صدق رسالته عليه السلام ، وأكتفى بهذه الأمثلة الأربعة من القرآن الكريم ، لأذكر أربعة أحاديث فقط من تلك الأحاديث الكثيرة التى أخبر بها عليه السلام عن أمور غيبية تحققت بعد إخباره عنها :

١ ـــ ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ « ضنفان من أهل النار لم أرهما بعد ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات ، عاريات ، مائلات ، مميلات ، رؤوسهن كأسنة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » وقد حصل ما أخبر به النبى عليه السلام ، فقد وجدت

هذه السياط التى تشبه أذناب البقر ، وهى ما تعرف الآن باسم الكرابيج ، وهذه السياط ما كانت معروفة عند العرب قديماً ، وإنما كانت السياط عندهم من جريد النخل وغصون الأشجار وربما من الخيزران أيضاً ، وهذه السياط التى أخبر عنها الرسول عليه السلام هى التى يستخدمها الآن بعض رجال الشرطة ، وغيرهم لأغراض تأديبية ، أما النساء اللائى وصفهن الرسول عليه السلام بالكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، فهن الآن يعشن بيننا وفى نفس المكان الذى أخبر الرسول عليه السلام عنهن فيه ، ومعنى كاسيات عاريات يعنى أنهن يرتدين شيئاً يسمى كساءً ، لكنهن فى واقع الأمر بهذا الكساء عاريات إما لأن هذا الكساء شفاف لا يستر الجسم ، أو أنه قصير وتبقى أجزاء من الجسم عارية تماماً كما هو حاصل فيما يسمى بالمنيجوب (لباس قصير تسير فيه المرأة فى الشارع العام وهى عارية الصدر وجزء من الظهر والرقبة والذراعين ، والساقين الى نصف الفخذين) اذاً ماذا بقى من جسمها ؟ وأفظع من ذلك **ألبسة السباحة والرقص ، ومعنى مائلات ، يعنى أنهن يمشين مشية متكسرة فيها كل أفانين الفتنة** والاغراء ، ومعنى مميلات ، يعنى أنهن عن طريق تفننهن فى الاغراء بما يضعنه على وجوههن من مساحيق مختلفة الألوان والأشكال ، وما يقمن به من حركات الاغراء المقصود يملن إليهن من الجنس الآخر .. وهنا يتحقق قول الشاعر :

نظـــــرة فابتسامــــــة فســــلام فكـــــلام فموعـــــد فلقـــــاء

ومعنى رؤوسهن كأسنة البخت ، يعنى أنهن يسوين رؤوسهن بما يشبه أسنة الجمال وهذا حاصل الآن إذ أن بعض تسريحات الشعر التى تعملها النساء ، وخاصة تلك التسريحات التى تقوم على لف الشعر فوق الرأس بطريقة تصاعدية تشبه الى حد كبير سنام الجمل .

والحقيقة التى ينبغى التنبيه عليها هى أن هذه الأشياء التى أخبر الرسول عليه السلام عن وقوعها من قبل ألف عام وقد وقعت كما أخبر ، لدليل قاطع على أنه رسول من عند الله ، على أن هذا لا يعنى أن النبى عليه السلام يعلم الغيب ، ولكن الله جلت قدرته يخبره بما يشاء عن طريق الوحى .

٢ — كان أبى بن خلف قد حلف وهو بمكة ليقتلن محمداً ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك قال عليه السلام : « بل أنا قاتله إن شاء الله » فأقبل أبى مقنعاً بالحديد وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد ، فحمل على رسول الله يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله فقتل مصعب ، وأبصر رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ترقوة أبى من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بحربته ، فوقع أبى عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم فأتاه أصحابه فحملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك إنما هو خدش فقال : لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعين ، فمات .

ومن هذا نتأكد أن الرسول عليه السلام كان عالماً بأنه سيقتل أبياً ، ولا يمكن أن يعلم ذلك إلا بوحى من الله سبحانه وتعالى ، وهذا دليل على صدق رسالته .

٣ ــ ذكر ابن اسحاق فى مغازيه ، أن وهب بن عمير لما رجعت فلول المشركين إلى مكة وقد قتل منهم الله من قتل أقبل عمير حتى جلس إلى صفوان بن أمية فى الحجر ــ فقال صفوان : قبح الله العيش بعد قتلى بدر . قال : أجل والله ما فى العيش خير بعدهم ولولا دين علىَّ لا أجد له قضاء ، وعيال لم أدع لهم شيئاً لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عينى منه فإن لى عنده علة أعتل بها أقول : قدمت على أنى أفدى هذا الأسير . ففرح صفوان بقوله وقال له : علىَّ دينك وعيالك أسوة بعيالى فى النفقة ، فحمله صفوان وجهزه وأمر لسيف عمير فصقل وسم ، فأقبل عمير حتى قدم المدينة ، فنزل بباب المسجد ، وعقل راحلته ، وأخذ السيف فعمد لرسول الله ﷺ ، فنظر إليه عمر رضى الله عنه ، وهو فى نفر من الأنصار يتحدثون . فقال عمر : عندكم الكلب هذا عدو الله الذى حرش بيننا يوم بدر وحذرنا للقوم ، ثم قام عمر حتى دخل على رسول الله ﷺ وذكر الحديث إلى أن قال له رسول الله عليه السلام : ما أقدمك ؟ قال : أسيرى عندكم ففادنا فى أسرانا ، فإنكم العشيرة والأهل قال : فما بال السيف فى عنقك ؟ قال عمير : فبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ، إنما نسيته فى عنقى حين نزلت ، فقال له رسول الله : أصدقنى ما أقدمك ، قال : ما قدمت إلا فى أسيرى . قال : فماذا اشترطت لصفوان بن أمية فى الحجر ؟ ففزع عمير وقال : ماذا اشترطت له ؟ قال : تحملت له بقتلى على أن يعول بيتك ويقضى دينك ، والله حائل بينك وبين ذلك . فقال عمير : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، كنا نكذبك بالوحى وبما يأتى من السماء ، وهذا الحديث كان بينى وبين صفوان فى الحجر لم يطلع عليه أحد غيرى وغيره فأخبرك الله ، فآمن عمير وحسن إسلامه .

٤ ــ يروى الامام أحمد رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان الذى أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليسر بن عمرو وهو كعب بن عمرو أحد بنى سلمة . فقال له رسول الله ﷺ : كيف أسرته يا أبا اليسر ، فقال : لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل ، هيئته كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : لقد أعانك عليه ملك كريم ، وقال للعباس : يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن فهد ، قال : فإنى كنت مسلماً قبل ذلك وإنما استكرهونى . قال : الله أعلم بشأنك إن يك ما تدعيه حقاً فالله يجزيك بذلك ، وأما ظاهر أمرك فكان علينا ، فافد نفسك ، وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقية ذهباً . فقال : يا رسول الله احسبها لى من فداى . فقال : لا ذلك شىء أعطانا الله منك . قال : فإنه ليس لدى مال ، قال : فأين المال الذى وضعته فى مكة حين خرجت عند أم الفضل وليس معك أحد غيركما ، فقلت إن اصبت فى سفرى هذا فللفضل كذا ، ولعبد الله

كذا ، قال : فوالذى بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيرى وغيرها وإنى لأعلم أنك لرسول الله .

وبهذه الأمور الأربعة التى لا يمكن أن يدركها إلا نبى ينزل عليه وحى من الله .. أكتفى بهذا القدر ، وحسبنا أن نعلن فى عقيدة لا تقبل التردد أو النقاش ، بأننا لسنا فى شك من صدق رسالة نبينا ، لنسجل هذه الأدلة التى ذكرناها لكنها نوع من إقامة الحجة على أولئك الذين ما زالت على قلوبهم غشاوة علهم يجدون فى هذه الأشياء الخارقة للعادة والتى لا يمكن أن تتحقق إلا على يد نبى يوحى الله إليه من أمره ما يشاء .



هذه هي الشيوعية

يقوم المذهب الشيوعى حسبما يراه ماركس ، وستالين ، وماوتس تونج وأتباعهم على قاعدة إنكار وجود إله لهذا الكون ، والقضاء على كل الأديان الموجودة فى الأرض باعتبارها فى نظرهم خرافات يتوارثها الأبناء عن الآباء والمادة عندهم وحدها هى التى شكلت نفسها وما تزال تتطور حسب تفاعلات معينة ، فالسماوات فى اعتقادهم بما فيها من كواكب ثابتة ومتحركة ونظامها الذى لا يتغير منذ مئات الملايين من السنين وتعاقب الليل والنهار ، ليست فى عقيدتهم من خلق الله ، والأرض وما عليها من حيوان ونبات ، وسهول وجبال ، وبحور وأنهار ، كل هذه فى نظرهم كانت نتيجة لتفاعلات مادية ، لكن سؤالًا واحداً يقوض هذه العقيدة من أساسها والسؤال يقول : لو قدر لواحد من هؤلاء ولنفترض أنه ماركس مثلًا كان يسير فى أرض جرداء مترامية الأطراف لا ماء فيها ولا سكن ولا زرع فيها ولا شجر ، وأثناء سيره فى هذه الأرض الفسيحة رأى عن بعد بناءً شامخاً فى وسط هذه الأرض التى لا أثر للحياة فيها وحينما بلغه وجد مدرسة مهيأة بكل ما تتطلبه المدرسة من ملاعب رياضية ومعامل ومقاعد ، وتمديدات كهربائية وأدوات صحية وبرك للسباحة وما إلى ذلك مما هو ضرورى للمدرسة . فماذا يا ترى يدور فى لحظة هذه المفاجأة فى فكر ماركس ؟ هل يعتقد والحالة هذه أن هذا البناء وجد نتيجة للتفاعلات المادية ، وأنه لم يكن نتيجة عمل قام به مجموعة من الناس من عمال ومهندسين وحدادين وكهربائيين وغيرهم ؟ إذا كان يعتقد هذا فهو بين أمرين إما أنه مختل الشعور تماماً ، أو أنه معاند لا يعترف بالليل بأنه ليل ، ولا للنهار بأنه نهار ، أو يعتقد أنه كان نتيجة جهود كبيرة بذلت من مهندسين وعمال وفنيين ، وأن عامل الصدفة لا مجال له هنا ، وفى هذا هدم للعقيدة الشيوعية القائمة على الاعتقاد بأن التفاعلات المادية هى الأساس فى العقيدة الشيوعية .

وهنا نتساءل مع ماركس هذا السؤال : لماذا تعتقد أن هذا البناء المدرسى لم يكن من فعل الطبيعة ، وإنما هو من عمل الانسان ، ولا تعتقد أن هذا الكون بكل ما فيه مما نعلمه وما لا نعلمه من عمل خالق له وهو الله ؟ سؤال يحتاج إلى جواب مقنع من ماركس والماركسيين لكنهم لن يجدوا الجواب المقنع مهما حاولوا ذلك . وسيلجأون كعادتهم مكابرة وعناداً إلى الارتماء فى أحضان الطبيعة وإسناد كل مقومات الحياة إليها ، ومسكينة هذه الطبيعة التى جعلها الشيوعيون أساس عقيدتهم ، وهى ذاتها مخلوقة عاجزة عن أن تخرج قيد شعرة عما أراد الله لها أن تكون عليه .

ورغم أن الايمان بإله خالق لهذا الكون شيء مطبوع فى ذات الانسان بفطرته فإن قلوب الشيوعيين خالية من ومضات الايمان بالله ، وذلك بسبب استغلاق فى أذهانهم وعمى فى قلوبهم عن تقبل أى شيء عدا تعاليم آلهتهم أمثال ماركس ومن آمن بمذهب ماركس متحدين بذلك أبسط البديهيات التى تتمثل فى إيمان العقل الصحيح بأن كل ذرة فى هذا الوجود وما تحويه من أسرار إنما هى دليل على وجود خالق لها ، وأن الطبيعة التى ينسب إليها الشيوعيون كل شيء ما هى إلا جزء من هذا العالم الذى أوجده الله من العدم ، ومع تقدم العلم وعلى فرض أنه توصل أو سيتوصل إلى تحديد العناصر التى تتركب منها الحياة ، ومقدار كل عنصر ، وما ينبغى أن يتوفر لذلك من الجو المناسب والأمور الضرورية الأخرى ، فهل يمكن أن توجد الحياة ؟ لقد قرأت أن روسيا أرادت أن تبرهن على إمكانية نشأة الحياة كيميائياً ، وذلك كدليل تثبت فيه مذهبها الالحادى وطلبت من (أوبارين) رئيس المعهد الكيميائى التفرغ لهذا البحث وبعد عمل متواصل قارب عشرين عاماً أعلن الباحث النتيجة فى تقرير رسمى نقلته جميع وكالات الأنباء فى العالم وكانت النتيجة أن العلم الكيميائى عاجز عن إيجاد الحياة فى المختبر والعلم لا شأن له إلا بالمادة المحسوسة ، وذلك فى عام ١٩٦٢م .

إن الشيوعى أياً كان لونه أو جنسه وحيثما وجد وهو يحمل فى ذهنه المبادىء الماركسية يعيش مسلوب الارادة إلا من مبادىء ماركس وحده فهو إلهه والمشرع له ، ما قاله ماركس هو الصحيح وما قاله غيره هو الخطأ ، فهو مأسور الفكر دائماً لا يؤمن إلا بالمادة ، ولا يعيش إلا للمادة ، والحياة فى نظره كلها نتيجة للتفاعلات المادية ولهذا السبب فقلبه خال من إشراقة الله ، ونفسه قلقة لبعدها عن الله وحياته كلها لا يجد فيها اللذة التى يجدها المؤمنون بالله .

إن الشيوعى وهو لا يملك أقل رصيد من حب الخير لغير الشيوعيين أمثاله بسبب إنكاره لله وعدم إيمانه بالجنة والنار ، واعتباره الكتب السماوية بأنها عبارة عن خرافات الأقدمين ، وانطلاقاً من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة فإنه لا يتورع أبداً وبكل الوسائل التى يملكها ، أن يقوم بمحاربة كل الأديان السماوية وفى مقدمتها الاسلام الذى يعتبره الخصم الأول له فى هذه الحياة ، ولابد كذلك أن يقوم على هدم القيم والأخلاق الانسانية ، تمهيداً لنشر المبادىء الشيوعية التى لا تستطيع الحياة إلا فى ظل العقول الجاهلة ، والنفوس المنحرفة ، والأفكار المظلمة وما عسى الانسان أن يطمع فى خير للانسانية يأتى عن طريق أمثال هؤلاء الذين يريدون سلب إيمان البشر وقيمه وأخلاقياته ؟! كيف يمكن هذا وواقع حياتهم قائم على الدعايات الكاذبة والشعارات المزيفة ، والخيالات والأحلام ، ثم كيف يتصور حصول سعادة للبشرية عن طريق أناس لا وجود للأخلاقيات فى حياتهم ، ولا وجود لخالق لهذا الكون فى عقيدتهم ؟ الذى لاشك فيه أن الذين وقعوا تحت تأثير الدعاية الشيوعية يجدون أنفسهم فى النهاية مخدوعين ويعرفون بعد فوات الأوان أن الشيوعية ما هى إلا وسيلة لتسخير العمال والفلاحين لخدمة أعضاء الأحزاب الشيوعية فى الأماكن التى توجد فيها تلك الأحزاب ، وأن كل شيوعى شرقياً كان أو غربياً كان عربياً

أو غير عربي مدين بالولاء المطلق للوطن الأم (موسكو) ويتأثر فكرياً وعاطفياً بكل ما يقوله الحزب الشيوعي هناك ، وما هذا التخريب الذى يقوم به الشيوعيون العرب وغيرهم داخل بلدانهم إلا تعاطفاً مع أسيادهم فى كل من موسكو وبكين ، وهم على استعداد دائماً لأن يفسدوا كل العقائد والذمم والأخلاق ويكونوا الخلايا السرية من أجل الاغتيال والقتل والارهاب ، كل ذلك من أجل أن تسود الشيوعية العالم كله ، فهم مخلصون كل الاخلاص لشيوعيتهم ويبذلون كل شيء من أجلها حتى أرواحهم يخاطرون بها ، من أجل أوهام لا وجود لها إلا فى أذهان خاوية تظن أن الشيوعية ستحولهم فى طرفة عين من فلاحين وعمال إلى قادة شعوب وملاك عمارات وما علموا أن أتعس خلق هم من ابتلوا بتسلط الحكم الشيوعي الذى يعتمد على شبكات الجواسيس وعلى التسلط والعسف والارهاب ، وكبت الحريات وسلب الأموال ، وتحويل المجتمع إلى ما يشبه القطعان من الحيوانات تأكل وتشرب وتكدح لا من أجل الحصول على الحياة الحرة الكريمة ، وإنما لينعم أعضاء الحزب الحاكم بثمرة هذا الكدح ، والشعب كله مغلوب على أمره لا حول ولا طول ، والويل كل الويل لمن يريد أن يقول كلمة تخالف معتقد الحزب أو تصرفاته .

ولعل نظرة خاطفة على حياة البؤس التى تعيشها البلدان التى تخضع للحكم الشيوعى كافية لأن تعطى الدليل على مدى التعامل السيىء مع سكان تلك البلدان فمن كبت الحريات وسلب الأموال ، إلى اضطهاد الانسان وتسخيره لصالح الحزب ، ومن انتزاع المعانى الكريمة من النفس ، إلى التربية على أساليب المكر والخداع ، ومحاربة كل فكر يرتبط بغير الفكر الشيوعى .

إن الحرية والعدالة والمساواة التى هى شعار براق من شعارات الشيوعية هذه الأشياء لا وجود لها إلا على الورق ، أما عند التطبيق العملى فشيء لا وجود له فالصحافة فى البلاد الشيوعية خرساء لا تستطيع أن تقول كلمة واحدة تخالف رأى الحزب والحرية لا وجود لها إلا للصفوة الحاكمة ، والمساواة فى واقع المجتمع الشيوعى تتمثل فى طبقتين طبقة الصفوة الطبقة الممتازة ، وهى تنحصر فى أعضاء الحزب ، وطبقة أخرى هى بقية الشعب ، وهذه هى المساواة فى نظر قادة الأحزاب الشيوعية ومع هذا يصر أتباع هذا المذهب فى أذهان مغلقة على أن الشيوعية ، هى ملتقى الأمانى الجائعة والخيالات الرائعة ، لكن الكثير من المفكرين عندما يصطدمون بواقع حقيقة الشيوعية ، يكونون أشد عداء لها من غيرهم ، لسبب واحد فقط وهو أنهم لم يجدوا فيها غير فراغ وخداع فينصرفون عنها إلى غير رجعة ، أما أولئك الذين يبقون معها فى متاهات الفراغ ، فهم أناس ينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ﴾ .

مساكين هم أولئك الذين استهوتهم الشيوعية بسرابها الخادع ، فانطلقوا يلهثون وراء ذلك السراب فإذا هم فى النهاية يجدون أنفسهم فى إفلاس مستمر ، ففى الدنيا إفلاس من الايمان بالله الذى يملأ النفس راحة واطمئناناً ، وإفلاس كذلك من كل الآمال التى كانوا يحلمون بها فى الشيوعية ، وفى الآخرة

إفلاس من النعيم الخالد الذى أعده الله لعباده المؤمنين به ، ومن هنا تبرز حقيقة واحدة وهى أن الشيوعية إفلاس فى إفلاس وأن من آمن بها مريض فى عقله وتفكيره وصدق الله العظيم ، إذ يقول : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .



الإسلام والرق

من بين تلك الشبهات الكثيرة التى يريد من ورائها الشيوعيون وغيرهم من اليهود والنصارى زلزلة عقيدة المسلم فى دينه ، والتأثير على فكره ليبقى حائراً متردداً بين الكفر والايمان شبهة موقف الاسلام من الرق ، وقبل أن أبين بطلان هذه الشبهة من واقع ما ينادى به الاسلام من تحرير الانسان من كل الأغلال والقيود التى لا تتفق مع كرامته ، أجد من المستحسن أن أبين معنى الرق ، ووجوده عند الشعوب وعند العرب قبل الاسلام ثم موقف الاسلام منه .

الرق :

معنى الرق هو تجريد الانسان من حريته ، وجعله ملكاً لغيره يتصرف فيه مالكه بالبيع والشراء كيفما أراد .

الرق عند الشعوب :

لم يكن مولد الرق فى العالم متجاوراً مع إشراقة الاسلام ليقول الحاقدون عليه إنه أمر به أو حتى رضى عنه ، ذلك أن الرق كان موجوداً قبل مولد الرسول ﷺ بأزمان طويلة ، وكان نظامه سائداً وشائعاً فى أوربا وغيرها .

فعند اليونانيين كما ذكر ذلك الأستاذ علي شحاته فى كتابه (الرق بيننا وبين أمريكا) يقول : كانت بلاد اليونان تغص من أقصاها الى أقصاها بعدد هائل من الأرقاء ،وكانوا يرون أن الرق حق واجب وفرض لازم ، وينظرون إليه على أنه ضرورة اجتماعية ، وغيرة وطنية تحتمه وتفرضه رجولتهم ، وكان أفلاطون زعيم الفلسفة الأغريقية ، يدعو فى مدينته الفاضلة التى كان يفترضها ويدعو اليها فى ذلك الوقت ، إلى حرمان العبيد من حق المواطنة ويقضى بإجبارهم على الطاعة والخضوع لأسيادهم الأحرار ويحكم على من يتطاول منهم على سيد غريب أن تسلمه الدولة إليه ليقتص منه كما يشاء . ثم يأتى تلميذه أرسطو فيسير على نهجه ويقول : إن فريقاً من الناس خلقوا للعبودية وعرف الرقيق بأنه : آلة ذات روح أو متاع قائمة به الحياة ، كما يقرر أن الله خلق فصيلتين من الناس ، فصيلة زودها بالعقل والارادة ، وهى فصيلة اليونان ، وأن الله قد فطرها على هذا التقويم لتكون خليفته فى أرضه ، وسيدة على سائر خلقه ،

أما الفصيلة الأخرى فى رأى أرسطو فهى التى لم يزودها الله إلا بقوى الجسم وما يتصل اتصالًا مباشراً بالجسم وهم غير اليونانيين ، ليكونوا عبيداً مسخرين ، ولقد جاء وقت على بلاد اليونان ، كان عدد الأرقاء فيه أضعاف عدد الأحرار فكان عدد الأرقاء فى اسبرطة مثلًا ستة أضعاف الأحرار من الاسبرطيين ، أما فى أثينا فكان عدد الأرقاء أربعمائة ألف ، فى الوقت الذى كان عدد الأحرار فيه لا يزيد على عشرين ألفاً ، ومعنى هذا أن عدد الأرقاء الموجودين فى أثينا كان ضعف عدد الأحرار عشرين مرة .

وعند الرومان ، مصادر الرق متعددة ، فالشخص الذى يفر من الجيش أو يتهرب من دفع الضرائب يحكم عليه بالرق ، والذى يصدر بحقه حكم قضائى يعتبر من الأرقاء إذا عاد الى بلاده ، والشخص الذى يتسبب فى ضرر دولة أخرى ، يسلم إلى تلك الدولة لاسترقاقه ، والمرأة الحرة التى تتصل برقيق شخص آخر رغم تحذير سيده لها تصبح مسترقة لهذا السيد ، وهكذا من أمور أخرى يعتبرها القانون الرومانى من أسباب الرق ، ولأن الرومانيين ينظرون إلى الرقيق على أنه شيء وليس بشخص ، فإنهم لا يعترفون ببشريته ولأجل هذا فقد كانت معاملتهم للرقيق فى غاية السوء إذ كانوا يكلفون بالأعمال الشاقة وهم مكبلون بالسلاسل ، ويزاولون هذه الأعمال المضنية ليلاً ونهاراً تحت ضربات السياط ، على اعتبار أنهم ليسوا بآدميين ، لذا فهم يجمعون فى حظائر قذرة منتنة ، أقرب إلى زرائب الحيوانات منها إلى مساكن الآدميين ، يقضون فيها لياليهم التى تسير على نمط واحد .

وعند اليهود ، جاء فى الشريعة اليهودية فرض الاسترقاق كعقوبة على بعض الجرائم كالسرقة ، كما كانت تفرض الاسترقاق كنوع من الجزاء على المدين الذى يعجز عن سداد دينه فيصبح عبداً للدائن الذى له حق بيعه وسداد الدين من ثمنه ، وقد جاء فى سفر الخروج الاصحاح ٢٢ ما يلى :إذا سرق رجل ثوراً أوحملًا وذبحه أو باعه وجب عليه أن يرد لصاحب الثور خمسة ثيران ، ولصاحب الحمل أربعة حملان ، وإن كان ما سرقه ما يزال حياً فى يده سواء كان ثوراً أم حماراً أو حملًا ، فإنه يرد ضعفه لصاحبه . فإن لم يكن لديه ما يكفى للسداد وجب بيعه هو نفسه واستيفاء التعويض من ثمنه .

وجاء فى سفر التنبيه : « إذا باعك نفسه أحد من اخوانك رجلًا كان ، أو امرأة فإنه يخدمك ست سنين » . يعنى هذا أن استرقاق اليهودى لليهودى استرقاق مؤقت بست سنين ، أما غير اليهودى فإن استرقاقه يستمر مدى الحياة .

وعند المسيحيين ، فقد جاءت المسيحية ووجدت الرق فلم تلغه ولم تحرمه ولم تقف عليه حتى لقد قال : بوسويه (Bossuet) (إن النصوص الدينية تنصح الأرقاء بأن يظلوا أرقاء ، كما جاء فى الخطاب الأول للقديس بولس ، الذى وجهه للأثينيين ، وقد نصحهم كذلك بأن يخدموا سادتهم بكل إخلاص وتضحية ، وكل الذى فعلته الكنيسة من أجل الأرقاء أن نصحت السيد لا بعتق عبده ــ ولكن بمعاملته

المعاملة الحسنة) لكن الأوروبيين كانوا يعاملون الأرقاء أسوأ معاملة ، وعلى سبيل المثال فقد صدر فى فرنسا مرسوم بتاريخ ١٧ مارس سنة ٦٨٥ بتنظيم أحوال الأرقاء والعتقى فى المستعمرات الفرنسية وقد اعتبر هذا القانون أن الرقيق لا نفس له ولا روح ولا إرادة وهذه بعض مواد هذا القانون المشؤوم واسمه (القانون الأسود) :ـــ

١ ـــ إذا اعتدى الزنوج بأقل إكراه على ساداتهم أو على الأحرار ، أو ارتكبوا أخف السرقات ، فالجزاء هو القتل .

٢ ـــ عقاب العبد الآبق فى المرتين الأولى والثانية ، صلم الآذان ، والكى بالحديد المحمى وفى المرة الثالثة (القتل) .

أما فى أمريكا ، فلم نسمع عن دولة تفشى فيها الرق كما هو موجود بها ولقد سنت قانوناً للإبقاء على الرق ، ومحاربة العتق ، أسمته القانون الأسود فى أمريكا هذه بعض المواد الواردة فيه :

١ ـــ للسيد حق مطلق فى بيع العبد وشرائه ورهنه والمقامرة عليه وعلى العبد الطاعة .

٢ ـــ ليس للعبد حق الذهاب والمجىء ، وما كان له أن يخرج من الزرع إلا بإذن السيد .

٣ ـــ إذا اجتمع فى الطريق العام أكثر من سبعة يعدون مخالفين .

٤ ـــ لا يجوز للأرقاء أن يشهدوا فى قضية إلا على الأرقاء أمثالهم ولا ينبغى تحليفهم اليمين صوناً للقسم .

٥ ـــ أما فيما يتعلق بالواجبات المفروضة عليهم فيعاقبون على التفريط فيها بعقوبات تتدرج من الجلد إلى الاعدام .

٦ ـــ كل من اجترأ من الرقيق على دفع الأبيض عن نفسه إتقاء أذاه وشره وقتل الأبيض عد الأسود مرتكباً لجريمة القتل .

٧ ـــ تحريم السفر عليه وحظر إعطائه الجواز .

٨ ـــ كل من أشار على أحد الأرقاء أو على جماعة منهم بخلع الطاعة أو نشر كتب فى تحريض الأرقاء على عدم الامتثال أو أدخل بعلمه فى أرض الحكومة صحفاً أو كتباً مؤلفة فى الطعن على الاسترقاق يجازى أشد الجزاء .

وما يزال الرق قائماً رغم ما قيل عن إلغائه رسمياً فى أمريكا التى تدعى أنها زعيمة العالم الحر ، وحامية الحريات فى العالم ، فهناك حيث التفرقة العنصرية بين البيض والسود ، وحيث الجرائم الوحشية التى يرتكبها البيض ضد الزنوج ، وحيث تهدر كرامة الانسان ، وتلغى قيمته ولعل من المضحك المحزن أن هناك لافتات على كثير من الحدائق والفنادق ودور السينما ، تقول : (ممنوع دخول السود والكلاب) وحتى كلاب السود لا تدفن فى مقابر كلاب البيض ، أعلن ذلك صاحب مقبرة للكلاب فى واشنطن عام ١٩٤٧ م . قائلاً : إنه لن يقبل منذ اليوم (وقتها)

الكلاب التى يملكها زنوج ، وقد برر عمله هذا بقوله : إنه يعلم أن جماعة الكلاب لن تجد غضاضة فى أن تدفن كلها فى جبانة واحدة ، ولكنه لاحظ أن زبائنه البيض قد ساءهم أن تعامل كلابهم المدللة هذه المعاملة المنكرة بعد الوفاة . أما الاضطهاد والابادة المنظمة لأولئك العبيد التعساء فشىء لا يصدقه العقل .

وإلى جانب الرق عند هؤلاء وأولئك ، كان يوجد رق عند الصينيين ، والفرس وقدماء المصريين ، وكذا عند الهنود .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن الاسلام لم يحدث رقاً ، ولم يأمر به وإنما جاء ليجده منتشراً فى جميع أنحاء العالم بما فى ذلك الجزيرة العربية .

وجرياً على سنة التدرج التى يسير عليها الاسلام فى حل المشكلات المتأصلة فى المجتمع فقد عالج هذه المشكلة على النحو التالى :

١ ــ أمر بمعاملة الأرقاء معاملة حسنة ، وأوصى بهم خيراً جاء فى قوله تعالى فى كتابه الكريم : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورا » . وجاء قول الرسول ﷺ : « اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » . وفضلاً عن ذلك ومراعاة لمشاعر الرقيق وحتى تكون العبودية لله وحده ، قال محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يقل أحدكم عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » .

٢ ــ ومن التوصية بالاحسان إلى الأرقاء ، انتقل إلى ما هو أهم من الاحسان وهو تقرير وحدة الأصل والمنشأ والمصير : « كلكم لآدم وآدم خلق من تراب » وتأكيد مبدأ المساواة ، حيث جاء عن الرسول ﷺ قوله : « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ، ومن أخصى عبده خصيناه » وهذه فى الواقع فترة انتقالية بين الرق والتحرير .

٣ ــ والخطوة التى خطاها بعد هذا لتحرير الانسان من الرق هى :

أولاً : أنه جعل كفارة القتل الخطأ دية مسلمة إلى أهل القتيل وتحرير رقبة ، جاء ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا » .

ثانياً : تحرير الرقيق نفسه مقابل مبلغ من المال يتفق عليه بينه وبين مالكه ، وهذا ما يعرف بالمكاتبة ، يوضح هذا قول الله سبحانه وتعالى : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

ثالثاً : الحنث فى اليمين ، كما جاءت بذلك الآية الكريمة : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » .

رابعاً : الظهار ــ وهو أن يقول الرجل لزوجته ، أنت علىَّ كظهر أمى ، فإنه بذلك يكون قد حرمها على نفسه ، ولا يجوز له مراجعتها إلا بعد أن يعتق رقبة ، دليل ذلك فى كتاب الله الآية الكريمة : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ﴾ .

خامساً : عتق أمهات الأولاد ، وهو أن الجارية ، إذا أنجبت من سيدها ولداً فإنه يصير حراً منذ لحظة ولادته ، وتصير الأم حرة بمجرد وفاة سيدها لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « أيما وليدة ولدت من سيدها فإنه لا يبيعها ولايهبها ولا يورثها وهو يستمتع منها فإذا مات فهى حرة » .

سادساً : عتق ذوى القربى ، لقول الرسول ﷺ : « من ملك ذا رحم محرم فهو حر » .

سابعاً : من نذر عتق رقبة عندما يتحقق له مطلب معين من مطالب الحياة وجب عليه الوفاء بالنذر عند تحقق ذلك المطلب .

ثامناً : الجماع عمداً فى نهار رمضان ، يبطل الصيام ، وفيه عتق رقبة ، إن قدر على ذلك .

وفضلاً عن هذا وذاك فهناك العتق الاختيارى ، وهو أن يعتق المالك مملوكه تقرباً إلى الله ورجاء ثوابه ، وهنا الأحاديث الكثيرة التى تحث على ذلك وترغب فيه منها قوله عليه الصلاة والسلام ، للاعرابى الذى قال له : يا رسول الله ، دلنى على عمل يدخلنى الجنة ، فقال : « عتق النسمة ، وفك الرقبة » قال الاعرابى : يا رسول الله أوليس واحداً ؟ قال : « لا ، عتق النسمة أن تتفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها » .

وقوله عليه السلام : « أيما رجل أعتق امرأً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من النار » . وقوله : « أيما رجل كانت له جارية أدبها، فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها وأعتقها وتزوجها فله أجران » .

وحديث أبى ذر الذى يقول فيه : سألت رسول الله ﷺ أى العمل أفضل ، قال : « إيمان بالله وجهاد فى سبيله » قلت : فأى الرقاب أفضل ؟ قال : « أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها » .

وحتى المزاح بالعتق يوجب العتق لقول الرسول ﷺ : « ثلاث هزلهن جد : الطلاق ، والنكاح ، والعتق » .

وبهذا جفف الاسلام منابع الرق القديمة ، كلها عدا منبع واحد فقط ، وهو رق الحرب ، وهو اجراء يفرضه مبدأ المعاملة بالمثل فالأعداء الذين يحاربون دعوة الاسلام ويقعون أسرى في أيدى المسلمين ليس من السياسة الحربية ولا من مصلحة الاسلام أن يطلق سراحهم ، بينما يحتفظ العدو بأسرى المسلمين ، هذا من ناحية ومن جانب آخر فإن الاسلام جاء والأسر بين المتحاربين أمر متعارف عليه ، وكان الأسرى يخضعون لأحد أمرين إما الاسترقاق لكل من يستولون عليه من رجال ونساءوأطفال ، أو القتل . أما الاسلام فقد نهج فى هذاالسبيل نهجاً أفضل وأكرم ، إذ ترك لولى الأمر حسبما يراه من المصلحة العامة ، أحد أمرين إما أن يعتقهم لوجه الله وإما أن يطلب افتداءهم بالمال أو الأنفس ، إن كان للمسلمين أسرى لدى أعدائهم ، لقول الله سبحانه وتعالى : (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب **الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلُواْ بعضكم ببعض**) .

هذا هو موقف الاسلام واضحاً وضوح الشمس ، فهل يقال بعد هذا إنه يدعو إلى الرق أو يشجع عليه .. إن قال أحد هذا فهو إما جاهل بالاسلام ، أو عدو يفترى الكذب عمداً على دين الله . .



لا ليست كل سافرة فاجرة

في العدد ٥٦٤ – ٥ رمضان ١٣٩٦ هـ . نشرت مجلة الدعوة على الصفحة ١٥ كلاماً لا أستطيع إلا أن أسميه هذياناً أقل ما يدل عليه ضحالة علم صاحبه ، وضيق أفقه وتحجر عقله ومع مزيد من المرارة المؤلمة ، أن هذا الكلام منسوب إلى خطيب مسجد ، أى إلى شخص يتلقى المجتمع عنه مبادىء الدين والأخلاق ، ويأخذ عنه بيان الحلال والحرام ، واللافت للنظر أن هذا الكلام المتهافت نشرته جريدة السياسة فى عددها الصادر فى ٤ /٧ /١٩٧٦ م . ص (٦) ونقلته عنها مجلة اللقاء العربى ثم نقلته عن مجلة اللقاء مجلة الدعوة ، وإذ افترضنا سوء النية وهو وارد فى حرص السياسة على نشر هذا الكلام ، وقلنا إن مجلة اللقاء قد نقلته جهلاً منها بما ينطوى عليه من أخطاء لا تستحق التجاهل ، فما هو العذر الذى نلتمسه لمجلة الدعوة فى نشر هذا التخريف ، لقد نشر هذا الكلام تحت عنوان (كل سافرة فاجرة بلا استثناء) ونسب إلى خطيب مسجد اسمه طليس الجميلى ، ومن عنوان المقال ، نستطيع أن نحكم على صاحبه بالجهل الفاضح لحكمه بالفجور على كل امرأة سافرة مسلمة كانت وغير مسلمة ، حتى ولو كانت من أعبد خلق الله ومن العنوان انطلق صاحب هذا الكلام يتحدث عن الحجاب والسفور ، وسألخص ما ورد فيه فى نقاط محددة وسأركز على النقطة الجوهرية التى جعلتنى أقوم بالرد عليه ، قال : إن الحجاب من الاسلام ، والسفور من بقايا الاستعمار ، وإن الدافع الذى حدا به إلى الكتابة فى هذا الموضوع أن عدداً من المسلمات إتصلن به يسألنه فيما نسب إلى سيدة مصر الأولى من أن الحجاب بدعة ، وأنه حسب قوله تردد فى الرد لاعتبارات يعلمها هو ، لكن نظراً لأنه يحمل نوعاً من المسؤولية لأنه يكتب للمسلمين فى السياسة جواب مشكلات الأسبوع فقد قام بالرد ، وتساءل بعد ذلك عن زمن ظهور السفور فى العالم وفى أى مكان تصمم أزياء المسلمات وأين تصمم أزياء المسلمات ، ويجيب هو على ذلك بأن بداية تبرج النساء وسفورهن لم يظهر إلا فى الثلاثينات والأربعينات أى أنه جاء مع الزحف الاستعمارى على الأمة الاسلامية ، وهنا نقف قليلاً لنوضح بأن بداية تبرج النساء وسفورهن سبق ظهور الاسلام بزمن طويل ، وليس كما يقول صاحب المقال بأنه بدأ مع بداية الثلاثينات والأربعينات ، بدليل ما ورد فى القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ .. ومعنى هذا أن التبرج كان موجوداً فى الجاهلية ،

ولم يأت مع بداية الاستعمار للعالم العربى ، كما يدعى ذلك صاحب المقال ، والسفور أيضاً كان موجوداً قبل ظهور الاسلام وإلا لما جاء الأمر بالحجاب فى قول الله تعالى : ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ . ومعنى هذا أيضاً أن السفور فى العالم الاسلامى لم يفد مع الاستعمار وإنما كان موجوداً قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام .. وبعد ذلك أخذ يورد الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الحجاب فأورد الآيات الآتية :ـ

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾ إلى آخر الآية ، وقوله تعالى : ﴿ يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ﴾ إلى آخرها وقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ .

وعلق عليهن بقوله : (ففى الآية الأولى حرم إبداء الزينة لغير الأصناف التى ذكرتهم الآية) وهذا حق لا اعتراض عليه ، (وما ظهر منها لم يقل مفسر قديماً أو حديثاً إن معناه الشعر أو العنق أو الساقان ، وإنما رجح الأكثرون أن المراد الوجه والكفان) وهنا يبدو من ظاهر كلام صاحب المقال ، أن كشف الوجه والكفين لا يسمى ذلك فى نظره سفوراً ، بدليل ما ذكره من أن أكثر المفسرين رجح ، أن معنى قوله تعالى : (إلا ما ظهر منها) الوجه والكفان ، ولم يعترض على ذلك وركز على أنه لم يقل أحد من المفسرين ، أن معناه أى معنى قوله تعالى : ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ (الشعر أو العنق أو الساقان) ومناقشتنا معه حول هذه النقطة ، هى أن عنوان الكلمة (كل سافرة فاجرة بلا استثناء) فإن كان يقصد بالسفور هنا الوجه والكفين فقط فذلك خطأ لأن موضوع السفور أى كشف الوجه والكفين والقدمين ، أمر مختلف عليه من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا ولكل من المجوزين لكشف الوجه واليدين والقدمين والمحرمين له أدلته الواضحة ولذا فإن وصف المرأة السافرة عن وجهها وكفيها ورجليها بالفجور أمر مجانب للصواب إذا كان يقصد بالسفور الوجه واليدين والقدمين ، وإن كان يقصد بالسفور كشف الشعر أو العنق أو الساقين فإن الوصف بالفجور أيضاً لا يجوز وكان يمكن أن يقول : إنها عاصية لله بسبب كشف مالا يباح لها كشفه أما وصفها بالفجور فأمر يخالف الواقع ، فكم لله من امرأة مسلمة فاضلة سافرة ، وكم لله من امرأة متحجبة فاجرة .

ولست هنا أدعو إلى السفور أو أشجع عليه ، لكننى أقول إن الحجاب لا يدل على الطهر والعفاف ، كما إن السفور لا يدل على الدعارة والفجور ولذا فالمسألة مسألة إيمان وعدم إيمان ، فكلما كان إيمان المرأة بالله قوياً كلما كانت شريفة وعفيفة ، وكلما كان إيمانها بالله ضعيفاً كلما كانت وضيعة ودنيئة ، وليس أدل على ذلك من وجود نساء كثيرات متحجبات داخل السجون بسبب انحرافهن خلقياً ، بينما كثير من النساء السافرات لايعرفن طريق السجون فى حياتهن ، إذاً إطلاق الفجور على

كل سافرة ودون استثناء لا يدل إلا على جهل صاحب المقال بشريعة الله القائمة على اليسر وعدم الحرج ، والوقوف طويلاً أمام إصدار الأحكام تحليلاً أو تحريماً ، ثم علق صاحبنا ــ هداه الله ــ على الآية الثانية بكلام يؤكد فيه أن ما أمرت به نساء النبى عليه الصلاة والسلام إنما هو أمر لكل النساء فكما أن نساء الرسول ﷺ مأمورات بالتقوى وعدم ترك الصلاة والزكاة وعدم التكسر والتغنج فى الكلام كذلك بقية النساء ، وهذا كلام جميل يحمد عليه .

وعلى الآية الثالثة كان تعليقه عليها بالحرف الواحد (فى الآية الثالثة تصريح بشمول أحكام الحجاب لنساء المؤمنين جميعاً ، فلا تخرج عنه منكرة إلا كافرة ، ولا تدعو لخلافه إلا مرتدة والعياذ بالله من الخذلان) والكلام هذا خطير للغاية ، يدخل تحت قول الرسول ﷺ : « من كفر مسلماً بغير حق فقد كفر » والرجل بكلامه هذا حكم حكماً مطلقاً ، على كل من قال بعدم شمول الحجاب لكل النساء بالكفر والارتداد عن دين الله ، وكما أسلفنا سابقاً بأن موضوع الحجاب موضوع الخلاف فيه بين علماء المسلمين ما يزال قائماً فإن هناك من العلماء من يقول : (إن الحجاب خاص بزوجات الرسول ونساء المؤمنين فى عصر الرسول عليه السلام) فهل معنى هذا أن كل عالم اجتهد فى تفسير هذه الآية من كتاب الله وقال : بأن الحجاب خاص بزوجات الرسول والنساء المؤمنات فى ذلك العصر يكون كافراً ؟ إذا كان يرى ذلك وهو ظاهر كلامه فإنه رأى فاسد لا يعتمد على دليل من كتاب الله ولا سنة رسوله ، وفى نهاية الكلمة أورد بعض الأحاديث الواردة فى السنة ومنها الحديث الذى يقول فيه الرسول ﷺ : « **يا أسماء إن المرأة إذا عركت (بلغت) لا يحل أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه** » ولا أدرى وأنا أقرأ هذا الحديث الذى أورده صاحبنا ــ هداه الله للخير ــ على أنه دليل على عدم جواز كشف شيء من جسم المرأة عدا وجهها وكفيها ، أقول لا أدرى كيف أوفق بين كلامه بأن كل سافرة فاجرة بلا استثناء ، وبين الحديث الذى أورده صريحاً فى جواز كشف المرأة لوجهها ويديها ، والذى هو دليل من أدلة القائلين بجواز كشف المرأة لوجهها ويديها ، لاشك أن هذا تناقض واضح اللهم إلا إن كان السفور فى نظره ما هو موجود الآن فى كثير من المجتمعات من كشف المرأة لبعض أعضاء جسمها غير الوجه واليدين ، فهذا وإن كان بلاشك وقاحة واستهتاراً وعدم حياء وخروجاً على الآداب العامة ودليلاً على عدم التزام المرأة بتعاليم الاسلام ، لكنه لا يخرجها من الاسلام ولا تكون بهذا العمل كافرة ولا مرتدة عنه ، كما يدعى صاحبنا ، وأنا هنا لا يهمنى أمر السفور ــ أى كشف الوجه والكفين والقدمين أهو جائز أم غير جائز ؟ ــ فقد قال العلماء فى ذلك آراءهم ولكل منهم دليله أقول لا يهمنى ذلك بقدر ما يهمنى أمر إصدار الأحكام باسم الاسلام بطريقة لا تتفق مع التعاليم التى جاء بها ، لأن هذا يفتح المجال للطعن فى دين الله وإتهامه بما هو منه براء فمثلاً صاحبنا هذا وهو يصدر حكمه بالكفر على مسلمة موحدة قائمة بما فرض الله عليها من صلاة وغيرها لأنها استباحت لنفسها

كشف أجزاء من جسمها لو أنه تروى قليلاً لعلم أن عملها هذا لا يجعلها مرتدة عن دين الله ، لكنه تسرع فأخطأ فى الحكم وبسبب خطئه هذا فتح مجالاً للطعن فى الاسلام على اعتبار أن الاسلام يطرد تابعه من دائرته الواسعة عندما يخطىء فى ارتكاب ذنب أو يقع فى شراك معصية وما هذا بمنهج الاسلام ولا طريقته وكل من كفر مسلماً بغير دليل واضح من شريعة الله فقد أخطأ فى حق الاسلام وأساء إليه من حيث يشعر أو لا يشعر .

ولذا نقول : إن واجب المسلم ألاَّ يقول فى أمر من الأمور إنه حلال أو حرام — إلا إذا كان لديه دليل قاطع فى ذلك وإلا فليتق الله فى نفسه ودينه .. ورحم الله امرأً قال خيراً فغنم أو سكت عن شر فسلم ..



تعلّم قبل أن تتكلّم

فى العدد ٥٨٥ ــ ١٢ صفر ١٣٩٧ هـ . من مجلة الدعوة رأيت رداً على مقال لى سبق وأن نشرته على صفحات المجلة المذكورة منذ نصف عام ، هذا الرد بقلم الأستاذ / سليمان بن محمد فائع .

وباختصار فإن ملخص ما حصل هو أن جريدة السياسة فى عددها الصادر ١٩٧٦/٧/٤ (صـ ٦) نشرت كلاماً نسبته إلى خطيب مسجد أسمته طليس الجميلي تحت عنوان (كل سافرة فاجرة بلا استثناء) ونقلته عن السياسة مجلة اللقاء ونقلته عن اللقاء مجلة الدعوة ، ورأيت بعد اطلاعى عليه أخطاء لا يصح السكوت عليها وكتبت فى مجلة الدعوة رداً على هذا الكلام تحت عنوان (لا ليست كل سافرة فاجرة) وقد انحصرت ملاحظاتى فى نقاط ثلاث : ــ

الأولى : على قوله : (كل سافرة فاجرة بلا استثناء) .
والثانية : على قوله : (إن السفور لم يظهر إلا فى الثلاثينات والأربعينات) .
الثالثة : قوله : (بشمول أحكام الحجاب لنساء المؤمنين جميعاً ، فلا تخرج عنه منكرة إلا كافرة ولا تدعو لخلافه إلا مرتدة) .

ووجه اختلافى معه بالنسبة للملاحظة الأولى : هو أنه يرى أن كل امرأة مسلمة سافرة فاجرة حتى ولو كانت أعبد خلق الله فى الأرض ، وأنا أرى إطلاقه الفجور على كل مسلمة سافرة خطأ ، وقلت فى ردى عليه بالحرف الواحد : إن موضوع السفور أى كشف الوجه والكفين والقدمين ، أمر مختلف فيه من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا ولكل من المجوزين لكشف الوجه واليدين والقدمين والمحرمين له أدلته الواضحة ، ولذا فإن وصف المرأة السافرة عن وجهها وكفيها وقدميها بالفجور ، أمر مجانب للصواب ، لمجرد سفورها عن وجهها وكفيها وقدميها .

وبالنسبة للملاحظة الثانية ، فهو يقول : (إن بداية تبرج النساء وسفورهن لم يظهر إلا فى الثلاثينات والأربعينات أى أنه جاء مع الزحف الاستعمارى على الأمة الاسلامية) ، وكان ردى عليه أن الكلام هذا غير صحيح وقلت له بالحرف الواحد : إن التبرج كان موجوداً فى الجاهلية ، ولم يأت مع بداية الاستعمار للعالم الاسلامى كما يدعى ذلك صاحب المقال ، والسفور أيضاً كان موجوداً قبل

ظهور الاسلام ، واستدللت على ذلك بقول الله سبحانه وتعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » ومعنى هذا السفور لم يفد مع الاستعمار ، وإنما كان موجوداً قبل بعثة الرسول ﷺ ، وبقوله تعالى : « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ومعنى هذا أن التبرج كان موجوداً فى الجاهلية ولم يأت مع بداية الاستعمار للعالم الاسلامى كما يدعى ذلك صاحب المقال .

أما بالنسبة للملاحظة الثالثة ، وهى أهم شيء فى الموضوع ، فهو يقول : (فى الآية الثالثة تصريح بشمول أحكام الحجاب لنساء المؤمنين جميعاً ، فلا تخرج عنه منكرة إلا كافرة ولا تدعو لخلافه إلا مرتدة) .

وكان ردى عليه أن هذا الكلام خطير للغاية يدخل تحت قوله ﷺ : (من كفر مسلماً بغير حق فقد كفر) والرجل بكلامه هذا حكم حكماً مطلقاً على كل من قال بعدم شمول الحجاب لكل النساء بالكفر والارتداد عن دين الله ، مع أن هناك من العلماء من قال : إن الحجاب خاص بزوجات الرسول ونساء المؤمنين فى عصره ، فهل معنى هذا أن كل عالم اجتهد فى تفسير هذه الآية من كتاب الله ، وقال : بأن الحجاب خاص بزوجات الرسول والنساء المؤمنات فى ذلك العصر يكون كافراً ؟ إذا كان يري ذلك وهو ظاهر كلامه ، فإنه رأى فاسد ، لا يعتمد على دليل من كتاب الله ولا سنة رسوله .. هذا هو ملخص ما حصل .

الذى يظهر لى كما يبدو واضحاً أن الأخ الفائعى — هداه الله — لم يرق له هذا الكلام الذى قلته رداً على صاحب المقال ، فانطلق فى رده يكيل لى التهم ، ويصفنى بالنفاق والعمالة للاستعمار ، ويؤكد انتصارى لمدرسة سلامة موسى ، وتأييدى لأفعال كمال أتاتورك ، وميلى للهوى والانتصار للنفس ، وتورطى فى أمر لا أعرفه ، وما إلى ذلك من سخرية وتجريح ، وأنا هنا أمام هذا الحشد الهائل من هذا الكلام الذى ذكرته وما لم أذكره ، لا أملك إلا أن أدعو الله لصاحبنا هذا بالهداية ، أولا وأطمئنه ثانياً إلى أننى لن أرد على كلمة واحدة من هذا الكلام لا عجزاً وإنما ترفعاً ، والحقيقة التى ينبغى أن يعرفها القارىء الكريم أنه لولا أن صاحبنا — عفا الله — عنه قد حمل كلامى فوق ما يحتمل ، وفسره بما يوافق رغبته هو لما كلفت نفسى بالرد عليه ، لأنى لم أجد كلاماً جوهرياً يقوم على العلم والمنطق ، ولهذا سوف أتجاوز عن الكثير مما ذكره مما هو خارج عن الموضوع وسأركز على ما أظن أن القارىء فى حاجة إلى معرفته لتتضح الحقيقة .. يقول الأخ الفائعى : إنه تبين له من خلال قولى : (أنا لست أدعو إلى السفور ، ولا أشجع عليه) إننى من خصوم الحجاب ومن أنصار التبرج ودلل على ذلك بقولى : (السفور لا يدل على الدعارة والفجور) كما أنه اتضح له ذلك من دفاعى عن كاشفات الشعور والأعناق والسيقان ، ومن قولى : (كم لله من امرأة مسلمة فاضلة سافرة) وقولى : (كم لله من امرأة متحجبة فاجرة) .

وفى كثير من التعجب وبقليل من العتاب أقول للأخ الفائعى لقد أسأت الفهم لما أردت وحملت كلامى ما لا يحتمل ، وإلا فكيف أقول : فى صراحة تامة : (إننى لست أدعو إلى السفور ولاأشجع عليه) ثم تعكس أنت المعنى وتحوله حسب رغبتك ، وتفسره حسبما يحلو لك وتقول : إنه تبين لك من قولى هذا أننى من خصوم الحجاب ومن أنصار التبرج وتدلل على هذا الفهم الذى فهمته ، بقولى : (السفور لا يدل على الدعارة والفجور) وحسب هذا المفهوم وحتى لا تتهمنى بأننى من دعاة السفور ، أتريد منى أن أقول : إن السفور يدل على الدعارة والفجور ؟ لو قلت هذا يا أخى لكان معنى ذلك إتهام كل مسلمة سافرة فى هذه الدنيا بهذه التهمة الظالمة ، وأنا حينما قلت : (السفور لا يدل على الدعارة والفجور) إنما أقرر بهذا حقيقة واقعة لا تنكر ، فإذا كنت أنت ترى أن كل مسلمة سافرة داعرة وفاجرة ، فأنت وما تشاء ، أما أنا فأبرأ إلى الله أن أصف مسلمة بالدعارة والفجور لمجرد سفورها ، ولكنى وقد فهمت من عنوانك أنك من منطقة عسير بالذات ، فإنى أتوجه إليك بهذا السؤال : هل النساء عندكم فى المزارع والمراعى وفى أكثر القرى سافرات أم متحجبات ؟ سؤال جوابه موجود لديك ومن واقع المجتمع الذى تعيش فيه ، الذى أعرفه ويعرفه كل الناس وأنت تعرفه دون شك أن النساء السافرات عندكم أكثر من المتحجبات ، وأن النساء يجلسن مع الرجال فى القرى وهن سافرات ويختلطن بالرجال فى الأسواق المتنقلة لأعمال التجارة وهن سافرات ، وتقوم المرأة بمقابلة الضيوف **واكرامهم نيابة عن زوجها إذا كان غائباً وهى سافرة فهل هؤلاء النساء السافرات عندكم واللاتى ربما تعرف** الكثير عن عفتهن وطهارتهن فى نظرك فاجرات وعاهرات ؟ أو هل تريد منى أن أصف مثل هؤلاء وهن مصليات صائمات عفيفات بالدعارة والفجور ؟ لا يا أخى هذا لا يجوز وينبغى أن تراجع نفسك فى هذه المسألة ، لترى أنك على غير حق .

ويقول الأخ الفائعى ، إننى دافعت عن الكاشفات للشعور والأعناق والسيقان وهذه مغالطة لا مبرر لها فأنا أرى تحريم كشف شىء من هذه كلها ولم يرد فى كلامى من قريب أو بعيد ما يوحى بذلك ، سوى أننى قلت لو وصفت المرأة التى تكشف عن شعرها بأنها عاصية أولى من وصفها بالفجور ، فهل فى هذا ما يدل على أننى أدافع عن المرأة التى تكشف عن شىء محرم من جسمها ، وحسبك أن ترجع مرة ثانية إلى كلامى لترى أننى لم أقل هذا الكلام أبداً .

ويأتى الاستدلال الثالث ، والذى استنتجه من قولى : (كم لله من امرأة مسلمة فاضلة سافرة وكم لله من امرأة متحجبة فاجرة) ويعقب قائلا اننى قرنت الفجور مع الحجاب ، والسفور مع الفضيلة ، وهذا أيضاً تحريف لكلامى أعاتبه عليه ، فأنا لم أقل إن كل النساء السافرات فاضلات ، ولم أقل كذلك إن كل النساء المتحجبات فاجرات ، حتى يقوم بهذه المقارنة التى لم تكن فى محلها وإنما قلت : كم لله من امرأة وكلمة من هذه فى اللغة العربية تفيد التبعيض أقصد أن هناك كثير من النساء المسلمات السافرات

فاضلات ، كما أن هناك من النساء المسلمات المتحجبات فاجرات وهذه حقيقة لا يجادل فيها إلا من لا يريد أن يعترف بالواقع .

ولم يعجبه أيضاً أن أقول : (إن المسألة مسألة إيمان وعدم إيمان) ولا أدرى لماذا ينكر علىَّ هذا القول ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « ألا وأن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » .

ومعنى هذا أن القلب إذا كان مشرقاً بنور الله ، مملوءاً بالايمان به ، ابتعد الانسان عن الأشياء المحرمة ، أما إذا خلا هذا القلب من الايمان وقع الانسان فى الكثير من المصائب وانطلاقاً من هذا فإن المرأة كالرجل تماماً إذا خلا قلبها من الايمان فسدت حتى ولو كانت متحجبة ، وإذا كان قلبها مليئاً بالايمان حصنها إيمانها من الفساد والانحراف ، حتى ولو كانت سافرة ، أفلا يزال صديقنا يرى أن كلامى هذا حق أريد به باطل كما يزعم ، وألا سمع قصة ذلك الصحابى الذى لحق بواحد من المشركين فى غزوة من غزوات الرسول ﷺ فقتله بعد أن قال :أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فعتب الرسول على ذلك الصحابى فى شدة قائلا : أقتلته بعدما شهد أن لا إله إلا الله ، فقال الصحابى معتذراً إنه نطق بالشهادة خوفاً من القتل ، فقال الرسول عليه السلام : « أشققت قلبه ؟ » وأنا أقول للأخ الفائعى إن أسرار القلوب لا يعلمها غير خالق القلوب فهل اطلعت على ما فى قلبى ، حتى تقلب معنى كلامى من حق إلى باطل وتحمله مالا يحتمل ، وتقول عنى ما لم أرده ؟ لا يا أخى ما كان ينبغى لك هذا ، وما هذا التصرف بلائق من مثلك إذ كنت تريد الحق .

ويستمر الأخ عفا الله عنه فيقول : (إن الجندول يحوم حول المرخيات للحجاب المسدلات للنقاب يلمزهن ويهزأ بهن ويجعل أكثرهن مظنة السوء ومحط الجريمة ، أما النساء السافرات فهو يزكيهن) وقد استنتج هذا الفهم كما يقول من قولى : (إن الحجاب لا يدل على الطهر والعفاف كما إن السفور لا يدل على الدعارة والفجور ، ولذا فالمسألة مسألة إيمان وعدم إيمان فكلما كان إيمان المرأة بالله قوياً كلما كانت شريفة وعفيفة ، وكلما كان إيمانها بالله ضعيفاً كلما كانت وضيعة ودنيئة ، وليس أدل على ذلك من وجود نساء كثيرات متحجبات داخل السجون بسبب انحرافهن خلقياً بينما كثير من النساء السافرات لا يعرفن طريق السجون فى حياتهن إذاً إطلاق الفجور على كل سافرة ودون استثناء لا يدل إلا على جهل صاحب المقال بشريعة الله القائمة على اليسر وعدم الحرج وعدم التسرع فى تكفير المسلم) .

وعلى طريقة الأخ فى التهويش وتحميل الكلام غير ما يحتمل أخذ يقول : إننى بهذا القول قد نلت من عرض المتحجبات ورفعت به من قدر السافرات ، وجعلت نسبة العهر والزنا والسجن فى النساء المتحجبات أكثر منه فى السافرات المتبرجات .

وهذه مغالطة واضحة ، فهو يقول : إننى قلت : أكثر النساء ، وأنا لم أقل هذا وإنما كان قولى : (كثير من النساء) وهناك فى اللغة العربية فرق كبير بين كثير وأكثر فلو قلت أنا : (إن أكثر النساء المتحجبات من نزلاء السجون وأكثر النساء السافرات لا يعرفن السجون) لاعترفت بخطئى والاعتراف بالخطأ فضيلة ، ومن صفات المؤمن الاعتراف بالخطأ ، ولكنى لم أقل هذا وإنما قلت (كثير من النساء) وهذا لا يعنى كل النساء ولا أكثرهن ، ظنى أن الأخ لعدم فهمه للغة العربية كان يعتقد أن كلمة أكثر وكثير بمعنى واحد ، فراح يعلق بعيداً عن المعنى المراد ، وأطال حول هذه النقطة بالذات وخرج عن الموضوع كثيراً ، وتعرض لنقاط عديدة لم يكن لها وجود فى كلامى وسأعلق على ثلاث نقاط منها تاركاً بقية الكلام له لعدم الفائدة منه .

أولى هذه النقاط : قوله : (أما المتحجبات فما عرف الانحراف فيهن إلا كالكبريت الأحمر يندر وجوده ، وكالشعرة السوداء فى جلة النور الأبيض) والرجل إما أنه مكابر للواقع الملموس ، أو أنه يعيش فى عزلة تامة لا يعرف ما يدور حوله من مشاكل المجتمع ، ولو أنه قبل أن يطلق هذا الحكم اتصل بالرجال المتفرغين للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وخاصة فى المدن الكبيرة لأخبروه بالواقع المؤلم ، ولعلم أن التربية الايمانية التى تحول بين المرأة وبين الانحراف ، تكاد أن تكون مفقودة فى المنزل والمدرسة لكنه لم يكلف نفسه بالبحث ، ربما لرغبته فى أن يظهر كل متحجبة بمظهر الطهر والعفاف ، وهى رغبة غالية نلتقى معه فيها ، فكم نتمنى والله أن تكون كل امرأة متحجبة مثالا للصلاح والطهر والعفاف ، لأنهن بهذا يعطين المثل الأعلى للمرأة المسلمة الفاضلة ، لكن ماذا نفعل والواقع مرير ومن الصعب إنكار الواقع ؟

ثانيها : يقول : (ولا عبرة مطلقاً بامرأة تلفعت بالخرق وهى منافقة ثم وقعت فى الفساد وارتكبت الجريمة) والأخ الفائعى ، بهذا الكلام يسجل اعترافاً بأن المرأة المتحجبة تقع فى الفساد وهو بهذا يناقض نفسه بنفسه عندما اعترض علىَّ حينما قلت : (إنما المسألة مسألة إيمان وعدم إيمان) وكنت أقصد بذلك أن الحجاب ليس هو كل شيء بالنسبة لعفة المرأة وطهارتها ، وأن الأمر يعتمد فى الدرجة الأولى على ما تتمتع به من صلاح وتقوى ، لا على الحجاب وحده دون غيره ، ثم يأتى بعد قليل من اعترافه بأن المرأة المتلفعة بالخرق ويعنى بها المتحجبة المنافقة تقع فى الفساد وترتكب الجريمة ، ليقع فى تناقض آخر إذ يقول : (ولو سلمنا جدلا بأن امرأة ما كانت متحجبة ثم قدر عليها أن تنحرف خلقياً إن ذلك لم يكن إلا بعد أن سفرت وتبرجت) هذا ما قاله ، والحقيقة أن هذا الأخ إما أنه يتناسى أفكار الناس وعقولهم عندما يكتب ، أو هو يظن أنهم لا يفهمون ما يقول ، مرة يقول إن المرأة المتحجبة تقع فى الفساد ، ومرة يقول : إن المرأة لا تفسد خلقياً إلا بعد أن تكون سافرة .

وعلى أى حال فقد حاولت التوفيق بين هذين القولين ، لكنى لم أتوصل إلى نتيجة مقنعة .

ثالثها : يقول : ــ بعد كلام غير مترابط الأفكار ــ : (ويومها سوف لن أسمع من الجندول وأمثاله إلا القول بأن الحجاب من الاسلام وأن التبرج والسفور من الاستعمار ، إما نفاقاً ليأمنوا على حياتهم وليأكلوا لقيمة العيش أو بالقوة حتى يتوبوا أو يموتوا فى أعماق السجون) ، وأنا هنا ليس لى من رد على هذا الكلام ، سوى تكرار ما سبق وأن قلته : من أن السفور كان موجوداً قبل الاسلام وكذلك التبرج ودللت على ذلك بآيات من القرآن الكريم ، وليس فى استطاعتى أن أحيد عن شيء دليله واضح من كتاب الله ،أما إذا أصر الأخ الفائعى على أن السفور والتبرج ما وجدا فى العالم إلا فى الثلاثينات والأربعينات ، فهو وما يشاء لكنى أقول إنه مخطيء إذا بقى على اصراره هذا ، ومخطيء كذلك عندما وجه إلىَّ تهمته بأنى قدمت شهادة حسن سيرة وسلوك للمستعمرين ومنحتهم براءة ذمة من أنهم فرضوا التبرج والسفور على المجتمع الاسلامى حينما قلت : (إن السفور والتبرج كانا موجودين قبل مجيء الاسلام وإن بدايته لم تكن بداية الاستعمار للعالم الاسلامى أى فى الثلاثينات والأربعينات كما يرغب هو) لكنه كعادته لا يثبت على مبدأ واحد فقد قال بعد ذلك الاتهام أننى قلت : (إن الذى فرض التبرج والسفور هو مجتمع الجاهلية قبل الاسلام فقط) وقد جانبه الصدق فى هذا فكلمة (فقط) لم ترد فى كلامى وإنما هى زيادة من الأخ أراد بها تعزيز موقفه ورأيى واضح ولن أعيده مرة ثانية ، وبعد هذا الاتهام يأتى هداه الله فى تناقض عجيب ليقول بالحرف الواحد : (أنا لا أنكر أن التبرج والسفور من عادات الجاهلية الأولى بنص القرآن الكريم) وأعود لأقول له : إن هذا هو نفس الكلام الذى قلته أنا ، إذاً فما وجه اعتراضك على هذا الجندول المسكين الذى اتهمته بشتى التهم والصقت به أموراً هو منها براء ، براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

لقد وصفتنى بالنفاق ، واتهمتنى بالعمالة والتبعية ، وظلمتنى بتحميلك كلامى غير ما يحمل ثم قسوت علىَّ عندما طلبت القائى فى أعماق السجون ، حتى أتوب أو أموت ، لم كل هذا التحامل يا أخى وأنا لم أقل إلا حقاً ؟ وما وجه هذه الحملة الشعواء وأنا لم أقل ما يخالف الحقيقة ؟ وعلى أى حال فأنا من جانبى أقول لك : لا حرج عليك ولا تثريب وسامحك الله ، عن كل ما قلت من زور وبهتان .

وبقيت لى معك نقطة أخيرة أختلف معك عليها اختلافاً كبيراً ، وهى أنك ترى كفر وردة كل من يقول بعدم شمول الحجاب للنساء جميعاً ، وأنا أخالفك كل المخالفة وأقول لك : اتق الله فى نفسك وكن معتدلا فى رأيك ، ولن أزيد على أن أذكرك بما قلته للأستاذ الجميلى ، بأن من كفر مسلماً بغير حق فقد كفر كما ورد ذلك عن الرسول عليه السلام ، وأن هناك علماء اجتهدوا فى تفسير آية الحجاب وقالوا : إن الحجاب خاص بزوجات الرسول والمؤمنات فى عصره ، بصرف النظر عن صوابهم أو خطئهم ، لكنهم اجتهدوا فكان هذا رأيهم والعالم إذا اجتهد فأصاب له أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد .

ومن هذا المنطلق فإن إطلاق الكفر والردة على كل من لم يقل بشمول الحجاب لكل النساء أمر لا يتفق مع روح الشريعة ، وإن القول بأن كل سافرة فاجرة بلا استثناء أمر يرفضه الاسلام .

وبعد ... فإنى أدعو الله لك بالهداية والتوفيق ، وآمل منك عدم التسرع فى الحكم على الآخرين ، وأقول لك فى النهاية .. يا أخى تعلم قبل أن تتكلم ..



أفكار بلا نور

نظرة سريعة على ديننا وتعاليمه الواضحة المعالم تعطينا الدليل القاطع الذى لا يقبل المناقشة على أن هذا الدين الخالد لم يضع فى اعتباره الأمور الشكلية ولم يعرها إهتماماً ، ولم ينظر إليها نظرة فيها شيء من الجدية بل اعتنى بالأمور الجوهرية التى تضيء جوانب النفس ، وتغرس فى القلب معنى الخير ، وروح التسامح ، ونشر الفضيلة بكل معانيها ، وجميع أشكالها ــ لذا جاء حديث الرسول ﷺ ليوضح هذا المعنى ويؤكده ، إذ قال : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ، فالوجه المنير والمال الكثير وكل كبير وصغير لا ينظر الله إليه ما لم يكن مصدر خير وسعادة .

لأجل هذا لم يهتم الاسلام بالمظاهر المجردة من المعانى الكريمة ، ولم يكن هذا الدين فى كثير من المجتمعات مظهراً فقط إلا بعد النكبات الطويلة والمحن التى مرت به فى عصور مظلمة كادت أن تقضى عليه ، لولا ضمان من الله سبق أن قطعه على نفسه حيث قال سبحانه وتعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، وإخبار من نبيه عليه الصلاة والسلام إذ يقول : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » .

هذا الاخبار وذلك الضمان اللذان لولاهما لم يبق من هذا الدين سوى المظهر الذى هو أشبه ما يكون بالسراب الخادع يراه الرائى فيظنه ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً هكذا الدين الحق والدين الصورة ، هذا لا يعدو أن يكون مظهراً يخدع الأبصار بمظهره وذاك حقيقة واضحة لا خداع فيها ولا غرور .

ومن هنا يظهر الفرق بين ما ينفع وما لا ينفع ، بين ما هو شريعة الله حقيقة ، وما هو مظهر لتلك الشريعة ، فالدين الصحيح ليس فى تكبير العمائم ، وتطويل المسابح واستنكار كل ما يأتى به العلم من جديد ، ولكنه قبس من نور الله يشع فى العقل فيمنحه ألواناً من المعرفة وضروباً من الفهم ، والدين الصحيح ليس فى طأطأة الرؤوس تظاهراً بالذل والتواضع والانكسار ، ولكنه إيمان فى القلب ثابت

لا نفاق فيه ولا رياء لأجل هذا قال عمر رضى الله عنه ، لذلك الشاب الذى رآه يمشى منكساً رأسه : « يا هذا ارفع رأسك فإنما الخشوع فى القلب » .

والدين الصحيح يمنح العقل قوة فى الايمان كلما اكتشف الانسان سراً من أسرار الكون أو لغزاً من ألغاز الحياة ، أما الدين الصورة القائم على الخرافة والتخريف فإنه يزلزل من القلب الايمان الصحيح القائم على الفهم ، والتفكير السليم فى مظاهر الكون وأسرار الحياة ، والدين الحق معناه تحرر العقل من العبودية إلا لله ، ومعناه كذلك الصراحة فى الحق والبعد عن الملق والرياء ومقت النفاق والمنافقين ،— والاستهانة بالمتاجرين بالمبادىء والقيم الروحية ، والسخرية منهم والحذر من أفعالهم ، أما الدين الصورة فطابعه الذل وطريقه الرياء والملق ، والنفاق ، ولهذه الأشياء ما لها من خطر على المجتمع الذى يسعى المصلحون من أجل تهذيبه ، وتنقيته من عناصر الشر وعوامل الفساد ، ليكون مجتمعاً مستنيراً فى عقله نزيهاً فى خلقه مستقيماً فى تفكيره .

والشىء الذى يجب أن نعترف به كحقيقة ثابتة هو أن هذا الدين القائم على الخرافة دخيل على الاسلام حدث فى أوقات خاصة وشجعه أعداء الاسلام لأغراض خاصة ، ولا شك أن هذا الدين الصناعى قد لعب دوراً خطيراً فى تغيير العقيدة الاسلامية الصحيحة لدى كثير من الناس وما هذه الرواسب التى ما تزال باقية تشوه جمال الاسلام وتفتح الباب للطعن فيه ، وفى تعاليمه إلا من صنع تلك العقول التى أفسدتها الخرافة وسلكت بها سبيلاً غير سبيل الله ، فضلت وأضلت وفسدت وأفسدت وتاجرت بالقيم والمبادىء يدفعها إلى ذلك غرض رخيص وغاية حقيرة وفكر مظلم .

عوامل مختلفة كان من آثارها المشؤومة أن تفرقت الأمة الاسلامية إلى فرق كثيرة متباعدة فى الأفكار والمذاهب ، والاتجاهات ، ومن هنا كان الضعف بجميع أشكاله وصوره وكان التأخر بكل ألوانه ومصائبه ولهذا السبب وصف المسلمون بالجمود ، والرجعية ووصف الاسلام بأنه وسيلة من وسائل التخدير ، ونحن فى الواقع لا نستبعد ممن لم يدرس الاسلام أن يقول مثل هذا القول ،ما دام أنه لم يعرف من هذا الاسلام سوى مظاهر غير كريمة يقوم بعرضها على مسرح الحياة جماعة لعبت الخرافة بأفكارها ، فتمسكت بالقشور دون اللباب واستعاضت بالصورة عن الحقيقة فأظهرت الاسلام فى صورة مضحكة وجعلت الدين مظهراً فقط وجسماً لا روح فيه فضعف الوازع الدينى من النفوس ولهذا السبب حلت الخيانة محل الأمانة وتربعت الرذيلة على عرش الفضيلة واتفق العرف أو كاد على تسمية الشخص الذى يعتمد الكذب فى حديثه والخداع والمراوغة فى معاملته بالرجل المحنك وعلى وصف الخائن الفاقد لضميره بالماهر ، كما أصبح من المعروف لدى كثير من المجتمعات أن الشخص الذى لا يعرف إلا الصراحة والصدق ، والنزاهة والاخلاص ، شخص غير مرن وغير فاهم لطبيعة الزمن ، والذى لا يستبيح لنفسه أن تهبط إلى مستنقعات الخيانة وأوكار الرذيلة شخص يعيش بعقله فى عالم غير عالمه وإذاً فهو مسكين يحتاج إلى شىء من الرحمة والرثاء .

وإننا إذ نحاول تعليلاً واضحاً لهذا الانحراف ، وذلك الاتجاه لم نجده إلا فى شيء واحد فقط وهو أن الدين فى كثير من المجتمعات دين صناعى يعتمد على الادعاء والانتساب وعلى الدروشة والتخريف وكل هذه يحاربها الدين الصحيح الذى جاء به نبى البشرية محمد عليه الصلاة والسلام .

ولأجل أن يوجد المجتمع الذى يسعى إلى فعل الخير وإصلاح الفرد واقرار الحق والعدل والمساواة يجب أن نعمل فى إخلاص تام على أن يكون الدين حقيقياً لا ادعائياً أو خرافياً .. وبهذا نضمن لأنفسنا وللبشرية السعادة والسلام وللاسلام العزة والانتشار ..



الطلاق في نظر الإسلام

نظام الأسرة فى الاسلام يقوم على أساس ثابت من الألفة والمحبة ، واحترام كل من الزوجين لمشاعر وإحساس الآخر وهذا يعنى أنه يهتم — كل الاهتمام — باستقرار الحياة الزوجية ويحرص — أشد الحرص — على أن يعيش كل منهما إلى جانب الآخر فى سعادة واطمئنان كاملين .

لذا أمر الله الزوجين أن يتعاملا معاملة تقوم على الحب والاحترام لكل منهما فقال تعالى فى كتابه العزيز : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وذلك من أجل الابقاء على الروابط الزوجية .

وكعلاج حاسم فيما إذا لم يكن بين الزوجين ألفة ووفاق ، أباح الطلاق وإن كان يبغضه لقوله عليه الصلاة والسلام : (أبغض الحلال الى الله الطلاق) وما كان الطلاق بغيضاً إلى الله إلا لما له من نتائج سيئة ومآس كثيرة — أهمها قطع الروابط التى كانت قائمة على أساس المحبة والتآلف وتقويض بناء الأسرة وتشتيتها وما الطلاق فى الاسلام إلا علاج للموقف الحرج الذى استنفدت كل الوسائل الممكنة للحيلولة دونه ، فهو أشبه ما يكون بعملية بتر عضو من أعضاء الجسم بعد أن يستنفد الطب وسائله للحيلولة دون البتر فيضطر إلى ذلك ليستريح الجسم من الآلام التى لا تهدأ إلا لتعود من جديد .

وعلى هذا فإن قطع الروابط الزوجية لنزوة طائشة أو لأسباب واهية كثيراً ما تسبب ندماً للزوج على تسرعه فى أمر حرص الاسلام على ألّا يكون موضع تسرع فقد قال الرسول ﷺ : « لا تطلقوا إلّا من ريبة » . وقال : « إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات » كما جاءت الشريعة تهدد المرأة حين تطلب الطلاق بغير سبب . يروى ثوبان رضى الله عنه فى ذلك أن النبى ﷺ قال : « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » .

ولقد اعتبر أعداء الاسلام مبدأ الطلاق مطعناً فى تعاليم الاسلام ، ونحن كأمة تؤمن بأن مبدأ الطلاق مظهر من مظاهر التسامح واليسر فى الديانة الاسلامية ، لا نعرف بالتحديد لماذا اعتبر النصارى وغيرهم الطلاق سبباً من أسباب التخلف ، هل لأنه أوجد الحل العملى لعلاج مشكلة استنفدت كل الوسائل فى حلها فأوجد لها هذا الحل للخروج من أزمة مستحكمة لا سبيل للخروج منها إلا به ؟ أم لأنه دين واقعى يضع تعاليمه حيث توجد المصلحة ؟

إننا نتساءل مع هؤلاء فيما إذا كان من المصلحة إرغام الزوجين على البقاء فى ظل حياة لا تزداد إلّا سوءاً على سوء ، وفى وقت يرى كل منهما أن هذا الرباط الذى كان مقدساً من قبل قد أصبح فى نظرهما قيداً بغيضاً يكره كل واحد منهما رؤيته ويتمنى تحطيمه ؟ أم أن المصلحة فى أن يخلى كل منهما للآخر سبيله ليجد فى متع الحياة ما يملأ نفسه طمأنينة وسعادة ؟

إن كثيراً من المعترضين على مبدأ الطلاق قد آمن بفائدته كما ذكر ذلك الأستاذ محمد كرد علي حيث قال : (ومن الغريب أن يصبح الطلاق اليوم عند المسلمين إلى جانب القلة ويشيع عند من كانوا إلى الأمس ينكرونه أشد الانكار ويهزأون بمن يرتكبونه إذ أخذ أهل المدنيات الحديثة يعمدون إلى الطلاق من غير نكير ، وأولوا قوانين الدين والمدنية على ما يخرجهم من الحرج) .

ولا يبعد أن يدخل الطلاق عليهم بعد قليل بمقياس أوسع مما كان عند المسلمين فإنه يقع فى الولايات المتحدة الأمريكية كل سنة أكثر من مائتى ألف طلاق ، وفى أوروبا يبت فى عشرات الألوف من هذه القضايا ولا سيما فى فرنسا ، وأكثر الطوائف النصرانية فى الغرب لا تشدد فى الطلاق على نحو ما كانوا عليه فى القرن الماضى ويوشك أبناء دينهم فى الشرق أن يسيروا بسيرتهم وإن عدوا من حيث مراعاة القديم من أشد المحافظين .

على أننا نرى الآن كثيراً منهم حينما يضيق ذرعاً بزوجته وليس فى استطاعته التخلص منها حسب تعاليم الديانة عندهم يعلن إسلامه حقيقة أو حيلة لكى يتخلص من زوجته التى لا مفر له منها إلاّ بالدخول فى الاسلام ، وكذا بالنسبة للمرأة حينما لا تقدر على البقاء مع زوجها . ومعنى هذا أنهم آمنوا بأن مبدأ الطلاق يجب أن يكون وأن الاسلام كان على حق حينما سن مبدأ الطلاق . أما البقية من المعترضين على مبدأ الطلاق ، فأولئك قوم تحللوا من كل القيود والواجبات على الرغم من أن الديانة المسيحية واليهودية لا يبيحان الزنا ، لذا فقل أن توجد امرأة إلاّ ولها عشيق أو أكثر ، ولا رجل إلاّ وله صاحبة أو صواحب حتى ولو كان كل من الرجل والمرأة متزوجاً ، وقد أصبحت هذه عادة معروفة مألوفة لا يستنكرها الرجل ولا تستغربها المرأة من أجل هذا فالزنا يكاد يكون شيئاً عادياً ، فإذا ما حدث نزاع بين الرجل والمرأة فلا يهتم أحدهما من الآخر ما دام أن كلاً منهما يحصل على إشباع رغباته الجسدية فى أى وقت شاء .

أما نحن فديننا يحول بيننا وبين الزنا إلى جانب الشرف والمروءة وخوف الفضيحة التى يحسب لها كل واحد فى بلادنا حساباً غير يسير وعلى هذا فالمرأة عندنا حينما يحدث بينها وبين زوجها نزاع لا يكون هناك حل إلاّ الصلح — إذا أمكن الصلح — أو الطلاق وإلاّ فستبقى مدى الحياة محرومة من نعمة الحياة الزوجية التى تنشدها كل امرأة فى العالم كغريزة خلقها الله معها يوم وجدت فى دنيا الناس ، وهنا تأتى المناسبة لنوضح أن الاسلام قد وضع الضمانات الكثيرة للحيلولة دون وقوع الطلاق بأن

ننقل ما ذكره (سيد قطب) رحمه الله فى ظلال القرآن نقلاً عن كتاب (السلام العالمى والاسلام) يقول : (والاسلام لا يسرع إلى رباط الزوجية فيفصمه لأول وهلة ولأول بادرة من خلاف إنه يشد على هذا الرباط بقوة فلا يدعه يفلت إلاّ بعد المحاولة واليأس) .

إنه يهتف بالرجال (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) فما يدريهم فى هؤلاء النسوة المكروهات خيراً وإن الله يدخر لهم هذا الخير فلا يجوز أن يفلتوه إن لم يكن ينبغى لهم أن يتمسكوا به ويعزوه ، وليس أبلغ من هذا فى استحياء الانعطاف الوجدانى واستثارته وترويض الكره وإطفاء شرارته فإن تجاوز الأمر مسألة الحب والكره إلى النشوز والنفور فليس الطلاق أول خاطر يهدى إليه الاسلام ، بل لابد من محاولة يقوم بها الآخرون وتوفيق يحاوله الخيّرون « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيرا » . « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير » .

فإن لم تجد هذه الوساطة فالأمر إذاً جد ، وهناك مالا تستقيم معه هذه الحياة ولا يستقر لها قرار وإمساك الزوجة على هذا الوضع إنما هو محاولة فاشلة يزيدها الضغط فشلاً ومن الحكمة التسليم بالواقع وإنهاء هذه الحياة على كره من الاسلام فإن أبغض الحلال إلى الله الطلاق . وزيادة على هذه الحواجز التى وضعها الاسلام للحيلولة دون وقوعه فإنه قد جعله مقسماً إلى ثلاث مراحل فللمسلم عندما يكون فى حرج من حياته الزوجية أن يطلق الطلقة الأولى وعندما تزداد الحالة سوءاً يطلق الطلقة الثانية ، وفى كلتا المرحلتين يترك باب الأمل مفتوحاً علهما يصطلحان وتعود العلاقات الزوجية إلى ما كانت عليه من صفاء ومحبة وفى أثناء هاتين المرحلتين يجيز الاسلام للزوج مراجعة زوجته .

أما إذا وقعت الطلقة الثالثة فإن الزوجة تحرم على زوجها إلاّ بعد أن تتزوج زواجاً حقيقياً فإذا طلّقت من الزوج الأخير فإن الاسلام لا يمانع فى أن يرجع كل منهما لصاحبه برضاهما بعد عقد جديد .

هذا هو الطلاق فى نظر الاسلام ، وهذه هى الضمانات التى وضعها للحيلولة دون وقوعه ، ثم ها هم المعترضون على مبدأ الطلاق يعودون اليوم ليعترفوا بقيمته الاجتماعية .

والذى لا ريب فيه أن الطلاق ضرورة عندما تتحطم الروابط الزوجية ولم يعد فى الامكان إصلاحها فهو علاج حاسم تقتضيه مصلحة الحياة ..

تعدد الزوجات

أباح الاسلام فيما أباح تعدد الزوجات ، بدليل قول الله سبحانه وتعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » . وإباحة تعدد الزوجات مشروط باستطاعة العدل ، أما إذا لم يكن العدل مستطاعاً فممنوع التعدد .

وإباحة تعدد الزوجات أمر تقتضيه ضرورات الحياة ، لكن أعداء الاسلام ، وفى مقدمتهم اليهود والنصارى ، رغم أن تعدد الزوجات موجود فى الديانتين اليهودية والنصرانية جعلوا من إباحة تعدده فى الاسلام مطعناً عليه ولم يعتبروه مطعناً على المسيحية أو اليهودية وتابعهم فى ذلك كتاب مسلمون جغرافياً .

ونحن نقول لهؤلاء ، وأولئك ، لماذا تعيبون على الاسلام إباحته لتعدد الزوجات عن طريق الشرف والكرامة ، وفى حدود ما تأمر به تعاليم الشريعة ، ولا تعيبون على أنفسكم إباحة تعدد الزوجات عن طريق السفاح ، والدعارة ، والفجور ، وإتخاذ الصديقات والخليلات ؟ إننا نتساءل عما إذا كان من الأفضل أن يتزوج الشخص بأربع من النساء ، يعشن جميعاً مع هؤلاء وأولئك تحت حماية ورعاية رجل واحد ، ينفق عليهن ، ويحفظ كرامتهن ، أو تترك له الحرية لكى يتزوج زواجاً غير شرعى ، بمن يشاء من النساء ومتى شاء ؟

إن التعدد الذى أباحته الشريعة الاسلامية تعدد محدود ومشروط ، والتعدد الذى يريده أعداء الاسلام ، والذى هو واقع فعلاً فى أوروبا وغيرها تعدد غير محدود ، وغير مشروط فأيهما أنبل وأشرف وأحسن ؟. التعدد فى نظر الشريعة أم التعدد فى رأى الاباحية المتحللة ؟ .

أكبر الظن أن المنكرين لتعدد الزوجات والمعارضين له ، لا يعارضون المبدأ لذاته فهم يعلمون أن هناك زوجات لا ينجبن أطفالاً ، ولا يقدرن على فراق أزواجهن ، أو أزواجهن لا يقدرون على فراقهن لما بينهم من محبة وألفة ، ووفاق ، وهناك زوجات لا يقدرن على أعمال المنزل وإدارة شؤون البيت لسبب من الأسباب ، وهناك حروب يهلك فيها الكثير من الرجال بحيث يكون عدد النساء أضعاف عدد

الرجال ، وفى هذه الأحوال وغيرها من ظروف الحياة يصبح التعدد ضرورة لازمة ، وإلا فالفوضى الجنسية ، والفساد الذى ما بعده من فساد .

وإنما يعارضونه لأمر آخر وهو أن هذا المبدأ حينما ينتشر ، ويصبح لدى الشخص ثلاث أو أربع زوجات مثلاً فى عصمته ، فإن معنى هذا ألّا تكون هناك امرأة عاطلة عن الزواج ، ولا تعدد غير محدود ((زواج غير شرعى)) وتبعاً لذلك تنعدم التجارة الرخيصة تجارة بيع الأعراض ، والكرامات ، وهذا مالا يعجب أمثال هؤلاء ولا يرضيهم .

ونحن كأمة يحكمها دين له قيم إنسانية سامية لا نرضى لبناتنا أو أخواتنا أو إحدى أقاربنا أن تختلط بغير محارمها ، ولا أن تضم إلى صدرها شاباً لتراقصه ، ولا أن تطوق ذراعها بذراع رجل ، ليس محرماً ولا زوجاً ، أما الغربيون فلا حرج عندهم ، فى أن تعانق الفتاة من تشاء ، من الشباب ، وتراقصه ، وتقبله ، على مشهد من الجميع دون استنكار وفوق هذا فديننا ينهانا عن الميل عن طريق الشرف ، والكرامة ، والمروءة ، ضماناً لسلامة المجتمع من التدهور الخلقى فيحرم علينا الزنا تحريماً قاطعاً ، ويبيح لنا عن طريق الزواج الشرعى أن نأخذ أكثر من زوجة ، إذا كنا نرغب ذلك ، على شرط إقامة عدالة تامة ، بين الزوجات جميعاً وحتى الديانات الأخرى لا تبيح الزنا بأى حال من الأحوال ، غير أن الحياة المادية هناك قد طغت على الحياة الروحية ، فلا تكاد توجد فتاة إلا ولها صاحب ، ولا امرأة متزوجة إلا ولها عشيق .

وقد قرأت فيما قرأت ، أن الرجل هناك فى الغرب وفى البلاد الشيوعية قد يصاحب المرأة المتزوجة ويعاشرها معاشرة الأزواج ، وقد تصادق المرأة شخصاً ، فتعطيه من نفسها ما تعطيه لزوجها كل ذلك يجرى بعلم من كلا الزوجين ، فلا يحدث شيء ، وكأنما الأمر فى غاية البساطة ، والأمثلة من هذه المهازل والمساخر تساوى أكثر من ثلاثة أرباع سكان أوروبا إن لم يكن أكثر .

ولكى نعرف أن الاسلام بإباحته لتعدد الزوجات لم يك مبتدعاً وأن إباحته للتعدد كانت لمصلحة تحتمها ظروف الزمن ، نذكر بعض ما أورده الأستاذ : محمد كرد علي ، صاحب كتاب (الاسلام والحضارة الغربية) نقلاً عن بعض الغربيين يقول : وقد ردّ لوبون على الاقتصادى « لوروابوليون » يوم زعم هذا أن نظام تعدد الزوجات عند المبسلمين كان من موجبات جمودهم فقال : (إن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائى عند الأوروبيين ، وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين) .

ويقول : ولقد توسع الأوروبيون بعد الحرب العالمية ، وأثاروا حرباً شعواء على عادة الاكتفاء بزوج وأرادوا من شعوبهم على أن يرجعوا إلى تعدد الزوجات ، إذ ليس فى التوراة ما يناقضه إذا لم يكن فيها ما يدعو إليه ، وهم أمم توراتية ما خرجوا عن أحكام كتاب اليهود ، وذكروا أن عدداً من الأنبياء كان

تحتهم عدة زوجات ، وأوردوا أسماء كثيرة من الملوك لم تشبعهم الزوجة الواحدة ، فقالوا بتعدد الزوجات ، وأفتاهم رجال الدين بذلك .

وفى اليهودية يقول نيوفله صاحب كتاب « قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين » — « إن التلمود والتوراة معاً قد أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه ، وإن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد فى عدد الزوجات ، وإن قوانين البابليين وجيرانهم من الأمم التى أختلط بها بنو إسرائيل كانوا جميعاً على مثل هذه الشريعة فى إتخاذ الزوجات والاماء ».

ويقول : ولقد توسع كتاب فرنسا فى كتاب « الخليلة الشرعية » فأصدروا فتاوى من الرجال والنساء ، ذهب فيها أكثرهم إلى وضع تشريع جديد ، فى هذا الشأن ، وإلغاء المادة التى تعاقب من يتزوج من اثنتين ، وكلهم مجمعون على أن هذا التعدد موجود فى الغرب بالفعل وإن لم تعترف به القوانين الموضوعة ، وأنه قل أن يسلم أحد المتزوجين من إتخاذ خليلات يزنى بهن .

وحجتهم أن امرأة واحدة ، لا تقوم بحاجة الرجل طوال السنة ، وأن الطبيعة جعلت للذكور من الحيوانات إناثاً متعددات ، وكذلك حكم الانسان ، وأن هذا التعدد وإيلاد أولاد شرعيين أشرف وأنفع من السفاح ، وما يعقبه من الأمراض السرية الوبيلة ، التى تنتشر انتشاراً هائلاً حتى ربما أصيب بها نصف النسل ، وتراجعت قوى الجنس ، والعنصر .

هذه بعض الآراء فى هذا الموضوع الحيوى ، الذى اعتبره بعض الحاقدين على الاسلام مطعناً من المطاعن عليه ، وكان يجب لو كان هناك إنصاف ، أن يعتبر هذا من محاسنه ومن سماحة تعاليمه .

وهنا نقف قليلاً مع منطق العقل لنقول فى تساؤل صريح .. هل تعدد الزوجات فى نطاق محدود ، وعن طريق علاقة شريفة ، أفضل من تعدد الزوجات فى نطاق غير محدود وعن طريق غير شريف أم لا ؟!..

إننا نترك الحكم للقارىء المنصف ليقول كلمة الحق ، ولن نريد غير كلمة الحق ..



التعدد .. حلال .. وليس بحرام يا بثينة

فى العدد ٦٤٦ ــ ٦ جمادى الثانية عام ١٤٠١هـ . من مجلة اليمامة صفحة (٧٤) تحدثت كاتبة اسمها بثينة عن تعدد الزوجات محاولة بذلك إصدار فتوى بأن تعدد الزوجات حرام ، وعجبت كيف تتجرأ هذه الأخت ــ هداها الله ــ أو غيرها من الكتاب على التحدث فى أمور هى من شأن ذوى الاختصاص الذين يعرفون الحلال عن طريق الأدلة الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولكن إذا رأيت كثرة المتصدرين للفتوى فى هذا العصر فى الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون عذرت الأخت بثينة فى أن تكون واحدة من هؤلاء المفتين ، فقد أصبحت الفتوى فى مقدور كل من هب ودب ، وهذا من شأنه أن يوقع فى أخطاء جسيمة لا حدود لها ، يأتى فى مقدمتها إيقاع السامع والقارىء فى حيرة مما يسمع وما يقرأ من بعض الفتاوى المتناقضة التى تصدر من هذا وذاك وهذه وتلك ممن أصبح عندهم جرأة على إعطاء الفتوى ، دون أن يعلموا أن أمراً كهذا يدعو إلى اتهام تعاليم الاسلام بالتناقض ، وهذا أمر لا يرضى عنه الله ، ومن أجل هذا جاء القرآن الكريم يقول : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب » ..

وإنى لأعجب لو أن شخصاً لا يحسن الطب أخذ يصف العلاج للمرضى ماذا يقول الناس عنه ؟ أو لو أن شخصاً عادياً لا علم له بالهندسة تصدى لانتقاد ما اتفق عليه المهندسون من تصاميم منشأة معينة ، ماذا تكون نظرة الآخرين إليه ؟ وهكذا العلوم الأخرى على اختلاف تخصصاتها لو انتقدها غير متخصص لعدّ ذلك من التصرف الأهوج ، فلماذا يخوض فى أحكام الله من ليس متخصصاً فى الشريعة ؟ ليس معنى هذا أننى أدعو إلى حصر علم الشريعة على جماعة معينة من الناس إذ المفروض فى كل مسلم ذكراً أو أنثى إن لم يكن عالماً بشريعة الله ، أن تكون ثقافته الاسلامية واسعة ليعرف ما أوجب الله عليه فى هذه الحياة ولكن إذا كان نصيب الشخص من فهم الشريعة قليلاً فلا يجوز له أن يقتحم ميدان الافتاء ليصدر فتاوى توقعه فى الاثم ، وتوقع غيره فى الخطأ .

بدأت بثينة كلامها حول هذا الموضوع ، بقول الله سبحانه وتعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، وبقوله : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

وبثينة .. هنا وقد أسقطت من الآية الأولى آخرها ، ومن الآية الثانية نهايتها ، تشبه إلى حد كبير ذلك الذى يورد الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة » ثم يترك آخر الآية التى تقول : « وأنتم سكارى » وأنا لا أتهم هذه الأخت بأنها قد تعمدت عدم ذكر آخر الآيتين وإن كان الاحتمال وارداً ، إلا أن المسلم ينبغى أن يحسن الظن دائماً ..

ولذا أقول ربما أن صاحبة المقال قد سهت عن ذكر آخر الآيتين ، أو أنها لم تكن حافظة لكتاب الله فلم تذكر تكملة الآيتين المذكورتين ، ولأن ذكر ما أسقطته الأخت الكاتبة من الآيتين ، أو سقط منها سهواً ، له دور كبير فى بيان جواز تعدد الزوجات ، فإنى سأورد الآيتين الكريمتين مع ما أسقط منهما ..

فالآية الأولى تقول : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » ، فكلمة أو ما ملكت أيمانكم لم تذكر ، **والآية هنا كما هو واضح تبيح التزوج من إثنتين وثلاث وأربع ، وتشير إلى أن الأولى إذا خاف الزوج من عدم القدرة على العدل الكامل بين الزوجات أن يقتصر على واحدة « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ثم** الآية « أو ما ملكت أيمانكم » يعنى إن خفتم عدم العدل بين الزوجات الحرائر فاقتصروا على نكاح زوجة واحدة أو على نكاح الاماء ، « ملك اليمين » لأنه ليس لهن من الحقوق مثلما للزوجات الحرائر وتنتهى الآية بقوله تعالى : « ذلك أدنى ألا تعولوا » يعنى ذلك الاقتصار على واحدة أو على ملك اليمين أقرب إلى عدم الميل إلى إحدى الزوجات دون الأخرى ، وهذا دليل على جواز تعدد الزوجات وليس على تحريم التعدد كما تراه كاتبة المقال .

والآية الثانية تقول : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ، وهنا نرى أن كلمة فلا تميلوا كل الميل ، لم تذكرها كاتبة المقال ، والآية تدل بوضوح على أن العدل المطلق مستحيل لخروجه عن حد الاستطاعة ، حتى لو بذل الزوج كل جهده ، ذلك أن التسوية فى المحبة وميل القلب ليس فى مقدور الانسان ، وما دام الأمر كذلك فلا حرج على الزوج عندما يميل قلبه لا إرادياً إلى زوجة دون أخرى ، والآية هنا بعد أن أوضحت عدم قدرة الانسان على العدل الكامل ، قالت : « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ، والمعنى أنه ما دام العدل المطلق غير متحقق لأنه غير مقدور للزوج ، فلا حرج عليه فى الميل اليسير الذى لا إرادة له فيه ، بحيث لا يصل الأمر إلى جعل الزوجة الأخرى كالمعلقة التى ليست بذات زوج ولا مطلقة وهذا دليل على تعدد الزوجات ، خلاف ما تعتقده الكاتبة من تحريم التعدد .

ومن هذا المنطلق فإن هاتين الآيتين وقد أوردتهما الكاتبة المذكورة كدليل على تحريم تعدد الزوجات تكون دليلاً على جواز تعدد الزوجات ، وقد جانبها الصواب عندما قالت بالحرف الواحد : (إن هذه الآية تحرم تعدد الزوجات لأنها تشترط العدل بين الزوجات وهو شرط يستحيل على الرجل تحقيقه ، لأن

معنى التعدد هو التفضيل ، تفضيل الزوجة اللاحقة على الزوجة السابقة ، ويكفى هذا التفضيل ليجعل العدل مستحيلاً على أى رجل وإن كان نبياً .. إن الرسول محمداً عليه السلام كان يفضل زوجته عائشة ويحبها أكثر من زوجاته الأخريات) ، هذا ما قالته الكاتبة حرفياً ، وفى هذا الكلام ثلاثة أمور غير محمودة :

الأول : المغالطة لاستدلالها بالآيتين الكريمتين على تحريم تعدد الزوجات ، مع دلالتهما على جواز تعدد الزوجات .

ثانياً :الجهل باللغة بجعل التعدد بمعنى التفضيل ، والحقيقة أن التعدد شىء ، والتفضيل شىء آخر .

ثالثاً : سوء الأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى أنه لم يحقق العدل بين زوجاته لاستحالة ذلك بدليل أنه كان يفضل عائشة على باقى زوجاته ، ويحبها أكثر من غيرها .

وهنا أحب أن أقف مع الكاتبة قليلاً ، فأقول أنا معك فى أن العدل المطلق بين الزوجات غير متحقق مهما حاول الانسان ذلك ، لكن ينبغى أن نحترم شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام فلا نوجه إليه الاتهام بأنه لم يستطع العدل بين زوجاته سيما وهو لم يثبت عنه أنه جار فى حق أى زوجة من زوجاته ، ولا مال إلى إحداهن عن الأخرى ، وعلى فرض أنه كان يحب عائشة رضى الله عنها على بقية زوجاته كما تقول الأخت بثينة فإن هذا الحب لا يعنى أنه لم يكن عادلاً بين زوجاته فيما يقدر عليه ، ولذا كان من دعائه عليه السلام قوله : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما لا أملك » وعسى أن تشاركنى الأخت الكاتبة هذا الرأى وهو أن الزوجات لا يمكن أن يكن على نمط واحد فى الصلاح والتقوى واللطف ودماثة الخلق وفى القيام بمهام الأسرة وغير ذلك ، فإذا كان الأمر كذلك فمن غير المعقول أن تكون مكانتهن واحدة فى نفس الرجل وهذه هى حقيقة يجب الاعتراف بها ، وتمضى الأخت بعد أن اعتبرت الآيتين السابقتين دليلاً على تحريم تعدد الزوجات فتقول : (إن علماء الدين منقسمون إلى فريقين فريق يعارض تعدد الزوجات ، ولم تذكر من علماء المسلمين المعارضين للتعدد سوى الشيخ محمد عبده — رحمه الله — وقالت إنه من الذين حاربوا تعدد الزوجات ، بدليل أنه قال (حسبما ذكرت) : (إذا كان لتعدد الزوجات فوائد فى صدر الاسلام فقد أصبح ضرراً على الاسلام) ومع عدم اطمئنانى إلى هذا الكلام المنسوب للشيخ محمد عبده ، على هذه الصورة التى ذكرت فى الكلام المنقول عنه ، فإنه لم يصرح بتحريم تعدد الزوجات ، وإن كنت لا أستبعد أنه يرى عدم التعدد ، لعدم القدرة على العدل المطلق بين الزوجات ، والرأى شىء والتحريم شىء آخر وحتى لو رأى الشيخ محمد عبده أو غيره تحريم تعدد الزوجات ،فرأيه مردود لمعارضته للآيات القرآنية الواضحة ، وفعل الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما أجمعت عليه الأمة الاسلامية وأوردت شواهد أخرى على تحريم التعدد ، فقالت : (إن تعدد الزوجات ممنوع فى تونس وأن كلاً من القانون فى سوريا والعراق يمنع الجمع بين زوجتين إلا بأمر من القاضى) ، وردى على هذا أن هذه القوانين ليست من عند الله وهى مخالفة

تمام المخالفة لأحكام الله ومصادمة لشريعته ، ولاشك أن استبدال شريعة الله بقوانين من صنع البشر تجرؤ على الله وتحد لأوامره .

ومع هذا فالكاتبة **تقول** : إن كلاً من القانون فى العراق وسوريا يمنع الجمع بين زوجتين إلا بأمر القاضى وهى عندما ذكرت هذا كانت تعتبره دليلاً لها على تحريم التعدد ، والحقيقة غير هذا ، فهذه القوانين تمنع الجمع بين زوجتين إلا بأمر من القاضى ومعنى هذا أنها تبيح تعدد الزوجات لكن لا يتم ذلك إلا عن طريق القضاء فإذاً استدلالها بهذه القوانين على تحريم التعدد خطأ واضح ..

ثم تستمر هذه الكاتبة فى مقالها هذا متعرضة لموضوع الطلاق ، وأن مجتمعنا يظلم المرأة لأنها أصبحت سلعة تباع وتشترى تحت شعار الزواج ، وأنه قد أهدرت قيمتها الانسانية ، وأن الرجل يراها قطعة من الأثاث له أن يضربها ويبيعها فى وقت الطلاق كما تقول أو يشترى عليها زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة ، وما إلى ذلك من الكلام الذى لا علاقة له بالتعدد ، ولذا لا أتعرض لهذا الكلام بأى نوع من أنواع المناقشة لخروجه عن الموضوع الذى نحن بصدده .

وتأتى الكاتبة بعد ذلك لتتحدث عن الفريق الثانى المؤيد للتعدد ، **فتقول** بالحرف الواحد : (أما الجانب الثانى **فهو** إذا كان أحد الزوجين مصاباً بالعقم وافترقا فيمكن لهما الزواج من ثان أو ثالث ، والحالة الثانية إذا لم يتفقا على المعيشة وأصبح الطلاق ضرورياً فيحق لهما بعد الطلاق) .. هذا هو كل ما ذكرته عن الفريق الثانى ، وهو تصرف يدل على عدم الأمانة العلمية ذلك لأنها لم تذكر أى دليل من أدلة تعدد الزوجات وإنما اقتصرت على هذا الكلام القصير العائم الذى لم تفصح فيه **عما تريد أن تقول من رأى ، ويعلم الله أننى** بقدر ما حاولت **فهم المقصود منه ، لم أستطع ذلك** ، لكن الذى أريد أن أقوله إنه كلام فيه إبهام وفيه نوع من المغالطة وفى الوقت نفسه دليل على أنها عن قصد أرادت ألا تذكر أى دليل على جواز التعدد لأنها لا تريد فيما يبدو إلا أن تقول إن التعدد حرام ولا غير ذلك ، وهذا رأى مرفوض وغير مقبول لأنه لا يتفق مع إباحة تعدد الزوجات الذى ذكره القرآن الكريم .

وبعد .. يا بثينة ، فلعل من المناسب أن أنقل لك ما كتبته فى هذا الموضوع فى كتاب (الجنس الناعم فى ظل الاسلام) تحت عنوان تعدد الزوجات ، عسى أن يكون فيه ما يفيدك ، قلت : « كثيراً ما يشن المتعصبون من غربيين وغيرهم حملات فيها كثير من المغالطات والقسوة على الاسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات ، متخذين من ذلك دليلاً على عدم إهتمام الاسلام بالمرأة ..

وهم بهذه الحملات التى لا تهدأ يدركون أن تعدد الزوجات كان موجوداً قبل ظهور الاسلام عند المصريين والصينيين والبابليين والهنود وغيرهم ، وكذا فى الديانة اليهودية التى تبيح التعدد بلا حدود وقد جاء فى التوراة أن نبى الله سليمان كان له سبعمائة امرأة من الحرائر وثلاثمائة من الإماء ، كما ذكر أن أحد أباطرة الصين كان عنده ثلاثون ألف امرأة .

أما الديانة النصرانية فليس فيها نص صريح يمنع التعدد ، يقول جرجى زيدان (فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بامرأتين فأكثر ، ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزاً عندهم ، ولكن رؤساءهم القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها).

ونجد الارساليات التبشيرية المسيحية الآن تعترف بتعدد الزوجات غير المحدود للمسيحيين الأفارقة وتعترف بذلك الكنيسة رسمياً .

وأكبر من هذا شيوعية المرأة للاستمتاع بها بين الرجال ، لكن هؤلاء وأولئك دائماً يكذبون على الاسلام حينما يدعون أنه هو الذى سبق إلى إباحة تعدد الزوجات ، ومع هذا فالاسلام حينما أباح تعدد الزوجات إنما كان ذلك لمصلحة تمليها ظروف الحياة ، والله سبحانه وتعالى الذى خلق الخلق هو الذى يعلم ما يصلح شأنهم فإذا أباح ذلك فإنما لحكمة يعلمها هو وحده .

وحتى تتضح بعض جوانب الحكمة فى هذا الأمر نقرر الحقائق التالية :ـــ

أ ـــ أن الاسلام أباح تعدد الزوجات ولم يجعله واجباً .
ب ـــ أمر بالعدل بين الزوجات وعدم الحيف على أية واحدة منهن .
ج ـــ عند الخوف من عدم العدل المستطاع أمر بالاقتصار على زوجة واحدة .
د ـــ الاسلام وهو يبيح للمسلم أن يتزوج بأربع زوجات حرائر كحد أعلى ، لم يكن هدفه من ذلك مجرد إشباع الرغبة الجنسية لدى الرجل وكفى ، وإنما هناك أشياء أخرى قد تحمل الرجل على أن يتزوج بأكثر من واحدة .. على سبيل المثال :ـــ

١ ـــ أن تكون الزوجة مصابة بمرض مزمن لا تستطيع معه القيام بالواجبات الزوجية فيضطر الزوج إلى أن يتزوج عليها بأخرى ، وتبقى فى عصمته يرعاها بما تحتاج إليه من مسكن وكساء ودواء وغير ذلك مما تحتاجه فى حياتها ، ولاشك أن إبقاء الرجل زوجة هذه حالتها تحت عصمته من الأمور التى يستحق عليها الثناء والأجر .
٢ ـــ أن تكون عقيماً لا تنجب فلا يكون أمام الزوج من خيار من أجل الحصول على ذرية إلا أن يتزوج بأخرى ، وهنا تكون الزوجة الأولى بين حالتين ، إما البقاء فى عصمة زوجها ولها من الحقوق الشرعية مثل ما للزوجة الثانية ، أو الطلاق والبقاء بلا زوج سيما إذا تبين للآخرين أنها عقيم لا تنجب ، ولاشك أن بقاءها فى عصمة زوجها أفضل لها من بقائها بلا زوج .

وقد ظهر من التجارب الكثيرة والواقعة أن كثيراً من النساء اللاتى ثبت عدم إنجابهن من أجل البقاء مع أزواجهن يقمن بأنفسهن بالبحث لأزواجهن عن زوجة يكون لديها الاستعداد للانجاب وتبقى هى إلى جانب الزوجة الجديدة .

٣ ــ أن تسوء العلاقة بين الزوج وأم أولاده ، فلا يجد حلاً لذلك فيكون بين أمرين إما طلاقها وفى هذا يحصل أمران أحلاهما مر :

أولهما : التنكر للماضى وتناسى العشرة الطيبة التى دامت نصف العمر أوأكثر .

وثانيهما : تشرد الأولاد وهدم مستقبل حياتهم وفى هذه الحالة لا مفر للزوج من التزوج بأخرى والابقاء على أم أولاده لرعاية أبنائها والاشراف عليهم .

٤ ــ فى بعض مجتمعات من العالم نتيجة للحروب وهى فى هذا العصر الذى تعددت فيه وسائل الدمار التى تذهب بمئات الآلاف من أرواح المقاتلين فى الجبهات الحربية وأكثر المقاتلين عادة من الرجال ، ولأجل هذا يكون عدد النساء فى تلك المجتمعات أكثر بكثير من عدد الرجال ، وفى هذه الحالة يكون التعدد أمراً مرغوباً فيه ، وتقريباً لفهم هذه النقطة ، لنتصور مجتمعاً تعداد أفراده من مائة ألف رجل ، ومائتى ألف امرأة مثلاً أو أكثر ، فماذا يكون الحال لو لم يكون هناك إباحة لتعدد الزوجات ؟ الذى سوف يحصل دون شك أن الفساد سوف ينتشر وسوف تكثر بيوت الدعارة ، وستمتلىء الملاجىء بالأولاد غير الشرعيين ، وسوف يصبح المجتمع كله أشبه ما يكون بمجتمع حيوانات ، وهذا ما لا يرضاه مخلص لأمته فضلاً عن محاربة الأديان السماوية لمثل هذا الفساد . .

إذاً الاسلام لم يبح تعدد الزوجات اعتباطاً وإنما لحكمة فيها مصلحة للمجتمع البشرى كله ، ولكن ما غاية أعداء الاسلام من هذه الحملات ضده بسبب تعدد الزوجات ، وهو موجود عندهم دون تحديد باسم الصديقات والخليلات ، مع إدراكهم أن التعدد عندهم غير أخلاقى وغير إنسانى لقيامه علاقات غير مشروعة نتيجتها أولاد غير شرعيين ؟ الغاية فى الحقيقة مجرد مغالطة الواقع من ناحية وإظهار الاسلام فى نظر بسطاء العقول من الناس بالمظهر المنفر منه .

ولكن السؤال الملح والهام ، هو أيهما أفضل إباحة تعدد الزوجات فى حدود أربع زوجات عن طريق مشروع ، أم تعدد الزوجات دون تحديد وعن طريق غير مشروع ؟

الاجابة بداهة وبلا توقف ، أن أربع زوجات يعشن تحت رعاية زوج واحد يحفظ عليهن شرفهن وكرامتهن وينجبن أولاداً شرعيين ، أسعد حظاً ، وأعلى مقاماً ، من امرأة لها فى كل وقت عدة أزواج لا تربط بينها وبينهم سوى رابطة الجنس المحرم ، ومن هنا فإن المقارنة منتفية بين امرأة تعيش داخل إطار من العزة والكرامة ، وبين امرأة أهدرت كرامتها للذة محرمة أو مادة رخيصة ..

ولا أدرى الآن ماذا يقول أعداء الاسلام بعد هذا التوضيح ؟ إن كانوا يبحثون عن الحق فسيعترفون بأن الاسلام كان حكيماً فى إباحته للتعدد ، وأنه لا مقارنة بين العدد المحدود والمشروع ،

وبينما هو حاصل عندهم من تعدد غير محدود ولا مشروع ، وإن بقوا على ما هم عليه من مغالطة وعناد فلا وسيلة مجدية مع مكابر أو معاند » انتهى ..

وعلى أى حال فرأيى للأخت بثينة ــ هداها الله ــ ألا تدخل نفسها فى مواضيع علمية شائكة مثل هذا الموضوع إلا إذا كان لديها من العلم فيما تريد أن تتحدث عنه من الأدلة القاطعة من مصادر التشريع ما يجعلها تقول عن رؤية واضحة وفهم كامل ، وإلا فستقع فى أخطاء كبيرة ..

ورحم الله امرأ قال فيما لا يعلم : « الله ورسوله أعلم» .



لا يا صحافة

دأبت فى الآونة الأخيرة بعض الصحف على تخصيص صفحة من صفحاتها لنشر صور لممثلات ومغنيات ، وآخر صورة رأيتها منشورة فى بعض هذه الصحف صورة لامرأة عارية الصدر والذراعين تقول الجريدة عنها إنها زوجة أكبر راقص روك فى الولايات المتحدة الأمريكية ولو أن الأمر سيقف عند هذا الحد لتركنا هذا الأمر يمر كما مر غيره من قبل لكن الوضع استمر وسيستمر أكثر وأكثر إذا ترك دون لفت النظر إليه سيما والمشرفون على بعض هذه الصحف ماضون فى طريقهم قليلاً قليلاً وبطريقة ماكرة وحذرة حتى يمر وقت من الزمن ويصبح هذا شيئاً عادياً لا يحق لأحد الاعتراض عليه وهم ليسوا بمغفلين بل — وعارفين بحساسية عمل مثل هذا فى مجتمع متمسك بدينه ، لكنهم فيما يبدو لا يهمهم استقامة المجتمع أو انحرافه ولا صلاحه أو فساده ، ووسائل الاعلام بما فيها الصحافة ليس من حق القائمين عليها أن ينشروا فيها كل ما يريدون ، وإنما كل ما يصلح المجتمع ويصحح أخطاءه لأن هذه الوسائل تدخل فى كل بيت ويقرأها رجال ونساء وشباب وفتيات ، فإذا كان فيها ما يمس العقيدة أو يهدد الأخلاق فإن من واجب الدولة أن تقوم بمنع هذا لحماية المجتمع من الانهيار والفساد ، والحقيقة أننا لا ندرى ما هو هدف المشرفين على بعض هذه الصحف من متابعة نشر هذه الصور لنساء ساقطات مغنيات وممثلات وراقصات فى ألبسة عارية ؟ هل المقصود من ذلك زيادة ثقافة القارىء عن تطور الأزياء النسائية فى العالم ؟ أم الهدف دعوة النساء المسلمات فى هذا البلد المسلم إلى أن ينتقلن من لباسهن المحتشم إلى ارتداء ألبسة خليعة مثل ألبسة هذه النسوة اللائى لا أخلاق لهن ؟ إن كان هذا أو ذاك فكلا الأمرين شر ، أم أن الأمر يقصد منه أن يقال عنا إننا تقدميون وهذا أشنع وأفظع ولا بارك الله فى تقدمية لا تقوم إلا على هدم الأخلاق عن طريق وسائله المختلفة ومنها عرض الصور الخليعة التى لا مصلحة للأمة منها فى قليل أو كثير ، إننا نأسف والله إذا كانت هذه هى نظرة المشرفين على هذه الصحف لأنها تدل إما على ضحالة فى الفهم والتفكير ، أو على سوء نية — لا سمح الله — لمجتمع مسلم مثل مجتمعنا ، لكننا هنا نذكر أمثال هؤلاء إذا كانوا ينظرون فعلاً إلى أن عملاً كهذا نوع من أنواع التقدمية بأن التقدمية ليست فى مثل هذه المظاهر المبتذلة فى نظر كل صاحب فكر نظيف ، وإنما توجد التقدمية حيث توجد المعامل والمصانع والجامعات ، وحيث يزدهر الأدب وتكثر نوادى العلم وتجارب العلماء فى الحقول العلمية

المختلفة ، وبالتالى يوم يوجد المجتمع الواعى الفاضل ، أما التفاهات والأشياء غير المفيدة للمجتمع فنحن نربأ بالصحافة فى بلد الاسلام بأن تترفع عنها ، وتصرف وقتها إلى ما هو أنفع للمجتمع وأصلح له ، وهنا ربما يسأل أحد فيقول : وما معنى الانتقاد لصحافتنا فى نشرها لمثل هذه الصور ، وهذه الصحف والمجلات تدخل إلى البلاد وفيها من الصور ما لا تسمح صحفنا بنشرها ؟ وأنا أقول : نعم هذا صحيح ومؤلم فى الوقت نفسه لكن هذا لا يعنى أن تسير صحافتنا المسلمة وخاصة إذا كانت تصدر فى أرض اختار الله أن تكون مكاناً لبيته ، ومنطلق لرسالة الاسلام ، فى خط تسير عليه صحافة موجهة لأغراض معينة وفى مقدمتها محاولة هدم أخلاق العالم ، بل بالعكس مفروض فى صحافتنا وهى تصدر من أرض شع منها نور الهداية ، أن تعطى دروساً للصحافة فى جميع أنحاء العالم فى السلوك النظيف ، والتوجيه الهادف لا لمصلحة المسلمين فحسب وإنما لمصلحة البشرية كلها .

والأمر الذى ينبغى أن نفهمه جميعاً هو أن خطر هذه السموم التى تجلبها إلى بلادنا هذه المجلات المنحرفة أشد بكثير من خطر الأمراض المعدية التى تجند لها الدولة عند حدوثها كل طاقاتها ، وتوجه المجتمع دائماً للتطعيم ضدها لتجنب أضرارها ، ذلك أن مرض القلوب أشد من مرض الأبدان ، وعلاجها أصعب من علاجها .

هذا وإذا كانت بعض هذه الصحف قد سنت ولا شك سنة سيئة انتشرت عدواها إلى جميع الصحف المحلية فإن الكلام هنا وإن كان موجهاً أساساً إلى بعض الصحف فإنه يعنى كل جريدة أو مجلة فى بلادنا تسير فى نفس الخط الذى يتجه فى طريق معاكس للخط الذى تسير عليه هذه الدولة ، وهو خط الاسلام الواضح الذى يأمر بالمحافظة على القيم والأخلاق التى جاءت بها شريعة الله والحقيقة الثابتة أننا مهما حاولنا الحصول على مبرر معقول ومقبول للاستمرار فى نشر صور مثل تلك التى أشرنا إليها ، فلن نجد ذلك ، اللهم إلا إذا أردنا أن نسيء الظن بمن يشرف على هذه الصحف . . وهو أمر وارد إن بقى الحال على هذا المنوال . .



إنه شرك والله

فى يوم من أيام الله وأنا أسير فوق الرصيف لحق بى شخص لا سابق لى بمعرفته وأظن أنه لا يعرفنى اللهم إلا إن كان قد سأل عنى بعض المصلين فى المسجد ، سمعته وهو متجه إلىَّ يسلم ورددت عليه التحية ، وقبل أن يصل عندى قال : تسمح لى ، قلت : تفضل ، قال : هل قرأت الجريدة الفلانية الصادرة فى يوم الأربعاء الموافق ١٧/١٢/٩٦ هـ . قلت له : ما رأيتها ، خيراً إن شاء الله ، فقال : وأين الخير ؟ كل شيء نتصوره إلا السماح بنشر الشرك فى صحفنا ، قلت : وما الذى حدث ، قال : فى هذا العدد من الجريدة إياها قصيدة لشاعرة اسمها عاتكة الخزرجية ، فيها شرك صريح ، واندفع الرجل فى حماس يدل على غيرة على هذا البلد وأهله ، وانطلق فى حديثه يبين مضار ما يحصل فى المجتمع من انحرافات وخطرها على مستقبل الأمة وهالنى ما تكلم به وأكبرت فيه صراحته وبدلاً من أن أشاركه فى الكلام بقيت مستمعاً لأمور أجهل الكثير منها وتعجبت من وضوح هذا الرجل مع شخص لم يسبق له فى حياته أن تحدث معه ورجعت إلى نفسى وقلت : إن هذا هو شأن المخلصين دائماً وأبداً تذوب أرواحهم من أجل إصلاح مجتمعاتهم ، وبقيت وإياه واقفين إلى ما قبل أذان العشاء وهو يتحدث إلىّ فيما يتعرض له المجتمع من أخطار فى العقيدة والأخلاق ، ووعدته بأن أبحث عن العدد من تلك الجريدة لأطلع على تلك القصيدة ، وفى يوم ٢٩ /١٢/ ٩٦هـ . رأيتها منشورة فى العدد ٤٧٩ من مجلة مشهورة تصدر فى بلادنا ، وأسفت كل الأسف لصحافة تنشر مثل هذه الخرافات فى مكان حارب فيه ، محمد بن عبد الله ، عليه السلام الخرافة وما زالت تعاليمه تدعو إلى محاربتها فى كل مكان ، على أى حال نحن لا نسيء الظن بالقائمين على هاتين المؤسستين فنقول إنهم قد تعمدوا نشر هذه القصيدة مع علمهم بما تحويه من شرك بالله تعالى ، ولكن ذلك فى ظننا حصل نتيجة جهل بما تدل عليه هذه المعانى من أمر السكوت عنه محرم ، لما فيه من مساس بالعقيدة الاسلامية الصحيحة ، والتى تسير عليها هذه الأمة فى هذا البلد المقدس ، لقد جاء فى هذه القصيدة قول الشاعرة :ـــ

تيمم إذا جئت البقيع بتربة ومرغ به خداً وكفاً ومعصماً
وعرج على قبر الحبيب ولذ به قد عز من بالمصطفى لاذ واحتمى

والشاعرة فى هذين البيتين تدعو إلى أمرين :

الأول : التبرك بتراب البقيع وهذا العمل ليس من الاسلام ولا مما أمر به وليس لتراب البقيع مزية على غيره من التراب حتى يمرغ فيه خده فى ذلة ومهانة ، وما عمل كهذا إلا نفس ما كان يعمله أهل الجاهلية قديماً ، حيث كانوا يتبركون بالجمادات من أشجار وأحجار وغيرها الأمر الذى يؤدى بالانسان فى النهاية إلى الشرك بالله ، الذى توعد عليه بأقسى العقوبات .

الثانى : الدعوة إلى الملاذ والاحتماء بقبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، والملاذ بغير الله سبحانه وتعالى شرك ، والرسول عليه الصلاة والسلام ، هوأول المحاربين للشرك والاشراك ، وعلى هذا فالملاذ نوع من العبادة لا تصح إلا لله وحده دون غيره ، وإذا كانت الشاعرة تجهل هذا فإننا لا نعذر أصحاب المؤسستين الصحافيتين — وهم قد عاشوا فى هذه الأرض — بجهل مثل هذه الأمور التى يعرفها الطلبة فى كتبهم المدرسية ، سيما وهذه ليست هى المرة الأولى التى تقع فيها بعض صحافتنا فى مثل هذا الخطأ الفاحش ، فقد نشرت مجلة أخرى من قبل فى عددها رقم ٣٦٩ وبتاريخ ١٤ /٩ /١٣٩٥ هـ . كلاماً شبيهاً بهذا ، وكتبت بذلك خطاباً للمسؤولين فى المجلة بينت لهم فيه وجه الخطأ فى الموضوع ، لكن تلك المجلة نفسها كررت الخطأ مرة ثانية بنشرها مقالاً تحت عنوان (فى الهواء الطلق) جاء فيه كلام موجهاً إلى شهر رمضان يقول : (يا هذا الشهر الكريم ،أيها الضيف الذى يهل علينا كل عام عزيزاً وغالياً وصافياً كالجواهر اجعلنا من عوادك هذا العام وكل عام) إلى آخر الدعاء ، والملاحظة على هذا الدعاء أن صاحبه وقع فى الشرك من حيث لا يدرى ، وقلت : كيف غاب عن ذهن الأستاذ ... أن رمضان شهر مخلوق لله ، لا يستطيع أن يجعل أحداً من عواده فى العام المقبل أو غيره ، وإنما هذا شىء من خصوصيات الله الذى يملك إطالة الأجل ؟ ولو أنه قال : اللهم يارب هذا الشهر الكريم اجعلنا من عواد رمضان لكان الكلام صحيحاً ، لكنه كان يخاطب رمضان نفسه ، ويطلب منه أن يكون من عواده ، ورمضان لا يملك هذا الشىء .

إننا ونحن نقدر جهود المخلصين من المهتمين بالصحافة ، نقول لهم من باب التذكير والمشاركة فى العمل الهادف البناء ، إن الصحافة سلاح ذو حدين يمكن أن توجه للخير ويمكن أن توجه إلى غيره ، إذاً فهى خير إن قامت على دعوة الخير ، واهتمت بحلول مشكلات المجتمع بأسلوب هادىء وتخطيط سليم ، وهى فى الوقت نفسه عامل هدم وتخريب إن هى قامت على إضعاف العقيدة وتحطيم الأخلاق ، والصحافة فى العالم كما يعلم رجال الصحافة منها ما هو خير كله ، وهى تلك التى لا تهتم إلا باسعاد الانسان فى دنياه وآخرته ، ومنها ما هو شر كله وهى تلك التى تقوم على إفساد العقائد وهدم الأخلاق ، ومنها ما بين هذا وذاك — فيها المفيد وغير النافع ، وصحافتنا فى هذا البلد الذى ينظر إليها جميع المسلمين كقدوة لهم فى كل شىء لا أقول ينبغى ولكن أقول : يجب أن أؤكد على أن الكلمة يجب أن يكون لها طابعها المميز ، وأن تكون إهتماماتها الأساسية توضيح موقف الاسلام من الحياة ، وطريقة

معالجته للمشكلات الاجتماعية ، وعرض الأسس التى قام عليها فى صورة مشرقة وبأسلوب رفيع وطريقة واعية .

ومن هذا المنطلق تستطيع الصحافة فى بلادنا أن ترسم الصورة الحية لهذا المجتمع وقيمه وأخلاقياته ، وإلى جانب هذا تقوم بحرب لا مجاملة فيها على كل ما هو دخيل على هذه الأمة من عادات سيئة وأخلاقيات مريضة .

أعود فأقول : إن كل شيء يمكن أن يتساهل فيه ما عدا نشر الشرك بالله فى أرض طهرها الله منه بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وبجهود دعاة الاصلاح من بعده ، ولئن تساهل أصحاب البصائر النافذة المخلصون لهذا البلد من أبناء هذه الأمة فى الانكار على تركيز اهتمامات بعض الصحف والمجلات فى هذه البلاد على حياة المغنيين والمغنيات ، وتسليط الأضواء على الممثلين والممثلات وإبرازهم وكأنهم قادة فاتحون ، أو مهرة مخترعون ، أو نوابغ مكتشفون ، وغير ذلك من أمور لا قيمة لها فى حياة الأمة ، فإنه لا يجوز لهم السكوت عن إنكار كل ما يخالف تعاليم الاسلام وفى مقدمة ذلك محاربة نشر الشرك بالله وبقدر أسفنا إلى نشر مثل هذه الأمور التى كثيراً ما يخرج بها صاحبها من دائرة الاسلام ، نأسف لعدم استيعاب أصحاب هذه الصحف لما ينشر فى صحفهم ، ونقول كما قال الشاعر :ـــ

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وهدى الله الجميع إلى ما فيه الخير ..



الاعلام سلاح ذو حدين

الاعلام فى أى مكان كان ، وفى أى زمن من الأزمان سلاح ذو حدين يمكن أن يستعمل فى الخير ويمكن أن يوجه للشر فهو إن قام على الاشراف عليه رجال مخلصون لله كان خيراً وإن قام على الاشراف عليه آخرون غير مخلصين كان مصدر شقاء للأمة والدولة ، ومسؤولية التوجيه أمام الله كبيرة وخطيرة إلى أقصى حدود الخطورة .

والدمار إذا حل بأرض لا يفرق بين إنسان وآخر ، وأخطر ما يكون إذا هددت الأخلاق من داخل المجتمع وعن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، والأمانة وسلامة الاتجاه مطلبان أساسيان فى كل من يشرف على هذه الوسائل وذلك حتى لا تتسرب إلى هذه الوسائل الهامة أشياء من شأنها أن تؤثر على القيم السائدة فى المجتمع ، وإذا كان غيرنا لا يمانع فى أن يتعدى إعلامه حدود الآداب العامة فإن ذلك لا يجوز بالنسبة لنا لأمرين :ـــ

الأول : أن مثل هذه الأشياء محرمة لأنها دعوة للفجور ووسيلة من وسائل هدم الأخلاق .
الثانى : أننا أصحاب دعوة لعودة المسلمين إلى المنابع الأصيلة من دين الله .

فأغانٍ منحطة سافلة ومناظر مبتذلة ساقطة من شأنها أن تجعلنا متناقضين مع ما ندعو إليه من التمسك بالأخلاق الاسلامية والآداب الفاضلة ، إننا نأمل أن يكون إعلامنا المرئى والمسموع له طابعه المميز ومنهجه الواضح ، مثل الاذاعةِ والتلفازِ الصحافةُ فهى خير إن هى أسست على دعوة الخير وهى فى الوقت نفسه عامل هدم وتخريب إن هى قامت على إضعاف العقيدة وتحطيم الأخلاق ، والصحافة فى العالم كله منها ما هو خير ومنها ما هو شر ومنها ما هو بين هذا وذاك والصحافة فى أى بلد كان تهتم أول ما تهتم بقيم تلك البلد وأخلاقيات مجتمعه ومقومات حياته اللهم إلا ما ينحرف منها عن هذا الخط بدافع من إغراء مادى أو إتجاه عقائدى والصحافة الناجحة والمخلصة من وجهة نظرى هى تلك التى تصور واقع المجتمع ، ومن ذلك الواقع تقوم على تغذية وتحسين ما هو صالح ، وتعمل على إصلاح ما هو ذميم وغير مفيد ، وبهذا تكون قد أدت رسالتها فى المجتمع ، وإذا كان لكل أمة من الأمم مقاييس ومعايير معينة ، تمارس من خلالها مختلف أنشطتها ، فإن الأمة الاسلامية لها معايير ثابتة ومقاييس محددة يمارس

المسلم فى نطاقها حياته الفكرية والاجتماعية ، وهى وإن اختلفت عما عليه من المعايير والمقاييس لدى الكثير من الأمم والشعوب إلا أنها هى الطريق إلى خير الانسان وسعادته ، والأمثلة على ذلك فى حياة المجتمعات البشرية كثيرة وللتوضيح أقول إن هناك أموراً كثيرة يراها غير المسلمين من خصوصيات الانسان والقانون عندهم لا يعاقب عليها بينما يراها المسلمون أمراً محرماً يجب الابتعاد عنها وتحل العقوبة بمن فعلها .. أقول هذا حتى لا تنحرف صحافتنا وراء التقليد الضار فتسير فى طريق معاكس — لا سمح الله — للخط الاسلامى الذى نحرص جميعاً على ألّا نحيد عنه مهما كانت الظروف والملابسات .

وشىء آخر لا يقل خطورة عن الاعلام ذلك هو السيل الجارف من المجلات وكتب الجنس والالحاد التى تفد إلينا من بلاد قريبة منا وبعيدة ، هذا الغثاء الذى لا تقع العين عليه إلا لترى صورة خليعة أو مقالاً سخيفاً أو خبراً هازلاً كل هذا من أجل تضليل أفكار الشباب وتهديم أخلاقهم ، وهذا الغزو الفكرى الموجه إذا لم يحارب بكل الوسائل تكون النتيجة — لا سمح الله — تهديد العقيدة والأفكار والأخلاق ونحن بهذا لا نريد أن نحول بين الناس وبين المعرفة ولا أن نمنع المجتمع من الاطلاع على كل ما ينشر مما هو مفيد ولكننا فقط نريد حماية المجتمع من كل شىء يضر بمصلحة الأمة وفى المقدمة غزو أفكار الشباب فى قلب البلاد عن طريق كتب الالحاد والانحلال التى تزخر بها أكثر المكتبات والتى يشرف عليها فئات لا تهمها العقيدة ولا يهمها فساد المجتمع بقدر ما يهمها الحصول على الكسب المادى ، وأرضنا هذه فى وسط هذا الصراع الفكرى العالمى فى مسيس الحاجة إلى حمايتها من كل فكر دخيل لا يتفق وأهداف الاسلام ، وهذا الوباء المتسرب إلينا من أعدائنا فى العقيدة إن لم نمنع تسربه إلى بلادنا أصابنا ما أصاب غيرنا من خلخلة فى العقيدة وتدهور فى الأخلاق شئنا أم أبينا .

وبعد هذا فإن أملنا الوحيد هو أن يكون إعلامنا المسموع والمرئى والمقروء ، متميزاً بسماته الخاصة به وإتجاهاته الواضحة ، وأسلوبه المتميز ، نريده إعلاماً يستمد منهجه من أعلى قمة فى التشريع ، ليعطى بذلك الصورة الحية ، عن المبادىء والأسس التى تقوم عليها الدولة المسلمة ، وليبرهن للعالم كله عن سماحة تعاليم الاسلام وتقبلها لكل جديد من شأنه إسعاد الأمة فى يومها وغدها ، وبذلك نستطيع أن نعطى للعالم كله الصورة الناصعة للاعلام المفيد ، الذى يعتمد على صدق الكلمة ، وطهارة الخلق ، ونظافة التفكير ، ووضوح الرؤية ، والعمل على سعادة الانسان من حيث هو إنسان ومن هنا نقول للاعلام ، الذى لا يقوم على خلق أو دين ، وليس له من مبدأ معين سوى التضليل وقلب حقائق الأمور ، والدس والوقيعة ، وإذكاء نار العداوات ، نقول له هذا هو الاعلام الملتزم القائم على الدعوة إلى الخير ، وتفجير الطاقات الانسانية ، من أجل سعادة الانسان وأمنه ورخائه ..

القضاء والقدر

الكلام فى القضاء والقدر يحتاج إلى شيء من التروى ، لاختلاف الآراء فيه .

فقيل إن القضاء والقدر بمعنى واحد — كما قيل فى ليلة القدر إنها التى تقدر وتقضى فيها أرزاق العباد وأعمالهم ، وقيل إن القضاء شيء آخر — كما قال الله سبحانه وتعالى : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، فالمحو والاثبات عبارة عن القدر و« أم الكتاب » عبارة عن القضاء . وقيل عكس ذلك بمعنى أن القدر التقدير الأزلى ، والقضاء الايجاد على وفقه ، وعلى هذا فعبارة « جف القلم بما هو كائن » عبارة عن التقدير « كل يوم هو فى شأن » عبارة عن القضاء ، وسواء كان المعنى هذا أو ذاك ، فإننا نؤمن إيماناً لا يقبل الشك بأنه ليس ثمة شيء موجود أو حتى سيوجد فى عالم المستقبل من صغير أو كبير ساكن أو متحرك إلا بقضاء وقدر من الله سبحانه وتعالى ، تلك هى العقيدة التى يجب أن يؤمن بها كل أحد .

وكعادة الملحدين دائماً فى تلمسهم كل شيء عسى أن يجدوا فيه مدخلاً على الاسلام من أجل التشكيك فيه والتقليل من شأنه وبلبلة الأفكار فى صلاحية تعاليمه ، اعتبروا عقيدة القضاء والقدر لدى المسلمين من أهم أسباب ضعفهم ، على اعتبار أن الايمان بالقضاء والقدر معناه الاستسلام للأمر الواقع ، والرضاء من الحياة بما يأتى من غير تعب ولا مشقة ، والاعتماد على الله فى كل شيء دون فعل الأسباب ، وساعد على تعزيز هذا الرأى الخاطىء جماعة من المسلمين استسلموا لليأس ورضوا من الحياة بأتفه ما فيها ، فاتخذوا الكسل شعاراً لهم واعتقدوا أن هذا شيء قدره الله عليهم ، فكانوا أسوأ مثل للمسلمين وأبشع صورة للاسلام .

والحقيقة أن هذه الجماعة التى تؤمن بهذه العقيدة ، لا تمثل الاسلام الصحيح ولا تفهم تعاليمه الواضحة الصريحة ، ذلك أنه لو كان معنى القضاء والقدر فى نظر الاسلام كما يزعم الملحدون والمخرفون من المسلمين ، لما رعى محمد عليه الصلاة والسلام الغنم لأهل مكة مقابل أجر ليعيش به ، ولما قطع المسافات البعيدة فى تجارة لخديجة من أجل أن يعيش عيشة شريفة عن طريق ما يكسبه من عمله ، ولما كان للصحابة تجارات فى الشام واليمن وفى الحجاز ونجد ، ولما حرثوا الأرض وأكلوا من خيراتها ، بل

ولما كانت لهم أساطيل تجارية وحربية بلغت بها الحضارة الاسلامية منتهى عزها ، ورقى فيها الفكر الاسلامى إلى حد استطاع معه أن ينتج وأن يبتكر وأن يرسم للعالم طريق العلم والحياة الكريمة فى وقت كانت فيه أوربا تعيش فى تخلف وجهل لا نظير لهما .

ولو كان معنى القضاء والقدر فى نظر المسلمين الذين يعيشون الاسلام فكراً وروحاً ، كما يزعم ذلك الملحدون وغيرهم هو هذا لما رأينا اليوم المصانع الحربية ، والمدنية ، تشيد فى كل البلاد الاسلامية ، ولما رأينا مدرجات الجامعات تموج بالشباب المسلم لينهل من مناهل العلوم المختلفة ،ولما رأينا كذلك الأساطيل البرية والجوية والبحرية تملأ كل مكان من العالم الاسلامى ، فهل معنى هذا أن عقيدة القضاء والقدر لدى المسلمين قد حالت بينهم وبين أن يأخذوا مكانتهم بين الأمم قوة وتجارة وصناعة وعلماً وثقافة ؟ هذا كاف فى إبطال هذا الزعم الذى لا يستند على حقيقة ثابتة .

إن عقيدة القضاء والقدر فى نظر الاسلام معناها الاعتراف بما لابد للعقل أن يعترف به من أن شيئاً لن يكون إلا بأمر الله الذى خلق هذا الكون كله ، يصحب هذا الاعتراف إيمان بأن شيئاً لن يكون إلا بسبب ، وبهذا الفهم الصحيح وبأن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن عرض المسلمون حياتهم للموت من أجل الدعوة إلى الاسلام ، والدفاع عن الرسول ﷺ ، وبذلوا أموالهم سخية فى سبيل المبدأ والعقيدة ، فالجندى فى ميدان القتال وفى قلب المعركة ، يؤمن فى قرارة نفسه بأنه لن يموت قبل إنتهاء أجله ، والقائم على تجهيز جيوش المسلمين بالأسلحة والذخائر ، والأدوية والمواد الغذائية يعتقد فى أعماق نفسه أن رزقه الذى قسمه الله سوف يأتيه ، وهكذا فى كل أمر من الأمور — وفى كل عمل من الأعمال اعتراف بأن كل شيء بقضاء وقدر وبأن العمل سبيل الحياة ، وطريق المجد وأن الأسباب من قدر الله ومن خلال هذه النظرة نعلم حقيقة أن عقيدة القضاء والقدر لدى المسلمين لم تكن عائقة لهم عن التقدم فى أى ناحية من جوانب الحياة كما تؤكد ذلك الحقيقة الواقعة .

وإذا أنكر جماعة من المسلمين عقيدة القضاء والقدر ،فقالوا لا قضاء ولا قدر ، وكل ما فى الأمر أن الانسان فى الحياة هو الذى يخلق أفعال نفسه ، وليس لله دخل فى ذلك ، فإن هذا الكلام معناه أن العبد إذا كان يخلق أفعال نفسه يكون بذلك شريكاً لله فى الخلق ، وأصحاب هذا الرأى هم ما يعرفون باسم القدرية ، وهو رأى فاسد يثبت فساده قول الله سبحانه وتعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » وقوله : « والله خلقكم وما تعلمون » وقوله : « ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير » وقول الرسول ﷺ فى الحديث الذى يرويه عبد الله بن عمرو ابن العاص حيث قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » الحديث رواه مسلم فى صحيحه وما جاء فى حديث عبادة بن الوليد حيث قال : حدثنى أبى قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت : يا أبتاه أوصنى واجتهد لى .فقال: أجلسونى ، فقال : يا بنى إنك لن تجد طعم الايمان ولن تبلغ

حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه وكيف أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يا بنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » يا بنى إن مت ولست على ذلك دخلت النار .

على عكس هذا الرأى جماعة أخرى تقول .. إن العبد مجبور على أن ما يأتيه من أعمال وما يفعله فى حياته من طاعات أو معاص وإنه مسلوب الارادة ، وليس له تصرف فى نفسه وهذه الجماعة هى ما تعرف باسم الجبرية ، وهذا الرأى أيضاً باطل كالذى قبله لأنه لو كان صحيحاً لما كان هناك فائدة من إنزال كتب من الله ترسم للبشرية طريق الخير ، ولما كان هناك قيمة من إرسال رسل يوضحون للناس الحلال والحرام ، وهو رأى يؤدى إلى معنى خطير وهو أنه إذا تعدى شخص على آخر فقتله أو سرق ماله أو انتهك محارمه أوشرب خمراً أو فعل جريمة من الجرائم فلا يعاقب على عمله ما دام أنه مجبور ، وليس له اختيار فى عمله وهذا شيء لا يقره عقل لأن معناه الفوضى بكل معانيها ، وفساد النظام الاجتماعى بكل صوره وإلغاء تعاليم الشريعة بجميع أشكالها .

نأتى إلى رأى ثالث هو رأى أهل السنة والجماعة .

هذا الرأى يقول : إن الله سبحانه وتعالى قدر مقادير الكائنات قبل خلق السمٰوات والأرض — وعلم ما كان وما يمكن أن يكون من صغير أو كبير حتى ما تأكله الحشرات الصغيرة فى جحورها من غذاء ، وأنه ما من شيء يحدث إلا بقضاء وقدر غير أن الله سبحانه وتعالى مع هذا قد أمر الناس أن يؤدوا ما أمرهم به من طاعات وعبادات ، ونهاهم ألّا يقعوا فيما حرم عليهم من ذنوب ومعاصٍ ، ومنح الفرد عقلاً يميز به بين الخير والشر والصالح وغير الصالح بين ما ينفع وما لا ينفع ومنحه أيضاً إرادة يستطيع بها أن يسلك السبيل الذى أباحه الله وأن يجتنب بها طريق الشر ، وعلى هذا فالفرد هو الذى يوجه نفسه حسب اختياره ودون إجبار على ذلك فهو إن شاء وجهها إلى طريق الخير وإن شاء صرفها إلى طريق (الضلال) وهنا ربما يسأل سائل ليقول : إذا كان الله سبحانه وتعالى قد قدر كل شيء فما الفائدة من العمل ..؟

يجيب على هذا السؤال حديث الرسول الذى يرويه علي بن أبى طالب رضى الله عنه إذ قال : كنا فى جنازة فى بقيع الفرقد فأتى رسول الله ﷺ ، فقعد وقعدنا من حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها فى الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » فقال رجل : يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ومن كان من

أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة » ثم قرأ : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

ومعنى هذا أن الانسان بطوعه وقد أعطاه الله إرادة وفكراً ، هو الذى يختار لنفسه طريق الخير وطريق الشر ..



من مظاهر الوحدة الإسلامية

الاسلام هو الدين الذى اشتملت تشريعاته على كل ما يحتاج إليه الانسان من غذاء لفكره ، وتنظيم لشؤون حياته ضمن إطار فيه كل السهولة واليسر وعدم الحرج ، لأنه دين الله وما ارتضاه الله لعباده فهو الخير كل الخير والسعادة كل السعادة ، والفلاح كل الفلاح ، لذا ومهما حاول البشر من إيجاد طرق لسعادتهم فى حاضرهم أو مستقبلهم فلن يجدوا أفضل ولا أحسن مما اختاره الله لهم لأنه هو خالقهم ، وخالق البشر هو وحده العالم بما يصلح وما لا يصلح لاستقرار نفوسهم ، وتنظيم حياتهم ، ومن هذا المنطلق فإن كل فكر لا يقوم على العقيدة الخالصة لله ، فكر يعيش فى متاهات من الضلال وكل تنظيم لا يقوم على تشريع الله تنظيم لا يلبث أن ينهار أمام متطلبات حياة الانسان المتطورة .

والاسلام حينما يربط بين قلوب الملايين من المسلمين برباط العقيدة الواحدة (عقيدة التوحيد) إنما يريد بذلك تحقيق الوحدة الشاملة للأمة الاسلامية ، الواردة فى قوله سبحانه وتعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، وفى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ، ولاريب أن التقاء قلوب المسلمين حول رب واحد وقرآن واحد ورسول واحد وقبلة واحدة ، تحقق معنى الوحدة القائمة على أن الله هو الخالق لكل شىء والقادر على كل شىء ، والمتصرف فى كل شىء من هنا يوجد المجتمع الذى لا يتحرك إلا حيث يوجد رضاء الله ، وهذه هى نقطة الانطلاق فى إيجاد المجتمع المسلم الفاضل الذى يعيش الاسلام عقيدة ونظام حياة ، وبتحقق هذا المجتمع على هذا النحو تتحقق للمسلمين القوة وتتحقق للاسلام العزة ، وهما مطلبان أساسيان لانتشار الاسلام من أجل خير الانسان الذى عانى الكثير من الحيرة والضياع .

والوحدة التى تحقق تماسك المجتمع المسلم ، هى القاعدة الصلبة التى تتحطم عليها كل الأطماع وكل الأفكار التى تحاول القضاء على الدين ، والسيطرة على أفكار الأمة ، ولذا كان لابد لحماية المجتمع الاسلامى من التفكك ، الحرص على تحقيق وحدة الأمة عن طريق تلاحم القلوب حول تعاليم الاسلام التى تحدد علاقة الانسان بربه ، وبالمجتمع الذى يعيش فيه والتى تجعل المسلم فى أى مكان من الأرض

يعيش بعقيدته وأفكاره التى هى الطابع المميز للمسلم الملتزم بتعاليم الاسلام ، وتلاحم القلوب معناه اجتماع كلمة المسلمين فى السراء والضراء ، وفى الحرب والسلم وفى الآلام والآمال ، وهذه هى الوحدة التى ينشدها الاسلام لحماية الاسلام من الأعداء ، وصيانة كرامة المسلمين من الاهانة ، ولو تتبعنا اهتمامات الاسلام بالوحدة الاسلامية لوجدنا ذلك واضحاً وظاهراً فى كل تشريعاته على أن من أبرز ذلك مظاهر الوحدة فى الحج ، تلك الوحدة التى تتمثل فى تحديد أمكنة يحرم منها كل قاصد للحج فإذا ما تجاوزها أحد بغير إحرام كان حجه غير صحيح ، وفى تجرد كل حاج من ثيابه ليرتدى لباساً مخصوصاً لا يتميز فيه شخص عن آخر ، وفى الطواف حول بيت الله الذى يعلن فيه كل حاج عبوديته وولاءه لله رب البيت ، وفى السعى بين الصفا والمروة سبع مرات امتثالاً لأمر الله ، وطاعة له ، وفى الوقوف بعرفة حول جبل الرحمة ، لا تقرباً لجبل فهو جماد لا يضر ولا ينفع ، وإنما تنفيذاً لأمر الله وطلباً منه المغفرة والرضوان فى هذا المكان ، ثم فى رمى الجمرات وبقية مناسك الحج حيث يفرض على الحجيج كلهم ، القيام بأعمال متماثلة ، لا فرق فى ذلك بين حاكم ومحكوم ولا بين غنى وفقير ولا بين عربى وغيره ، وإنما أمة واحدة تقف أمام الدنيا كلها معلنة أن لا عبودية إلا لله ، ولا دين إلا ما جاء به خاتم الأنبياء ، وقدوة الأتقياء محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، ولا ريب أن طواف الحجاج حول بيت واحد ، وسعيهم فى واد واحد ، ووقوفهم بعرفة فى يوم واحد ومكان واحد وانصرافهم منه فى وقت واحد ، كل هذه الأمور وغيرها من أعمال الحج التى لا يتميز فيها مسلم عن أخيه لهو الدليل القاطع على أن الاسلام يهيىء أمة الاسلام ، لتكون أمة واحدة ، فى عقيدتها ونظام حياتها ، فى سلمها وحربها.

والحقيقة التى يجب أن يفهمها كل أحد أن مظاهر الوحدة فى الإسلام لا تقتصر على أعمال الحج فهناك الصلاة مثلاً حيث يقف المصلون فى صفوف متراصة متوجهين لإله واحد وقبلة واحدة ، يؤدون عملاً واحداً ، خلف إمام واحد ، وهناك الصيام حيث يمتنع أهل كل بلد عن الطعام والشراب فى وقت واحد ويفطرون فى وقت واحد ، كل هذا من أجل أن تتحقق الوحدة الشاملة للأمة الاسلامية كلها ، وتحقق الوحدة بين المسلمين معناه اجتماع بعد تفرق ، والتآم بعد تمزق ، وتماسك بعد تفكك ، والذى لا ريب فيه أن الأمة الاسلامية عندما تلتقى حول عقيدة واحدة ، وتقيم نظام حياتها على شريعة واحدة ، تكون بذلك قد حققت لنفسها ضماناً من تكالب الأعداء عليها ، وأقامت من عقيدتها الصلبة سداً يحول بينها وبين تسرب الأفكار التى تشكك فى تعاليم الاسلام ، أو تهون من شأنها ، كما كانت تفعل عبر السنين التى كان فيها أعداء الاسلام يقومون بجهود مضنية من أجل خلخلة عقيدة المسلمين وتلويث أفكارهم وتهديم أخلاقهم ، عن طريق اتهام الاسلام بأشياء هم أنفسهم يعرفون كذبها ، ولكن جرياً على ما يقال : الغاية تبرر الوسيلة ، يسلكون فى ذلك كل السبل حتى ولو كانت غير شريفة للوصول إلى أهدافهم ، التى فى مقدمتها التشكيك فى صلاحية تعاليم الاسلام لمتطلبات الحياة ، وإغراقهم بالمغريات لمتطلبات الجسد ، حتى إذا ما اهتزت العقيدة فى النفس وانحدرت الأخلاق صوب مستنقعات الرذيلة ، سهل التأثير على عقل المسلم ولقد نجح أعداء الاسلام فى هذا المجال نجاحاً كبيراً حتى أن كثيراً من

سكان البلدان الاسلامية خرج من الاسلام إلى النصرانية ومنهم من أصبح لا دينياً والسبب فى ذلك تفكك الأمة الاسلامية وعدم ترابطها ، والتفكك دائماً طريق الهلاك جاء ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » معنى هذا أن الأمة عندما تتفرق فى أفكارها ، فى سلوكها ، فى اتجاهها ، فى أهدافها مصيرها الفشل ، أما إذا توحدت فى أفكارها وفى اتجاهها وأهدافها ، فلن يستطيع أحد أن ينفذ إليها بسوء ، والمسلمون اليوم وقد بلغ بهم التفرق مبلغه ، ونال منهم العدو ما نال ، رغم حرص الاسلام على وحدتهم ، هم فى أشد الحاجة إلى العودة من جديد إلى دين الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، يقرأونه ويتدبرونه يعرفون أسراره ، لتضىء به جوانب نفوسهم وتتعدل به انحرافات سلوكهم ليكونوا كما أراد لهم الله : خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، وعن طريق هذا الايمان والتمسك به ، ومن خلال مظاهر الوحدة فى الحج ، تكون الأهمية البالغة لتحقيق هذه الوحدة الشاملة قولاً وعملاً لأنها الدرع الحصين لحماية الأمة من الانحراف عن طريق الله ، ومن هنا يتحقق الخير كل الخير لأمة الاسلام .



الإيمان بالبعث

الحياة التى يعيشها العالم منذ وجد الانسان إلى فناء العالم ، حياة محدودة بحدود ، ولها أجل كما لكل كائن فى هذه الدنيا أجل .

ومعنى هذا أن يوماً آت لا ريب فيه ، ينتهى فيه أجل هذه الحياة وينتقل بعده البشر إلى حياة أخرى ، هى حياة ما بعد الموت ، حياة الثواب والعقاب ، ثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وعقاب الذين كفروا وسلكوا طريقاً غير طريق الله .

والايمان بالله واليوم الآخر هو الذى يقف أمام الرغبات الجامحة أن تنطلق فى طريق الضلال ، وهو الذى يحمل النفوس إلى أن تتجه إلى ما فيه سعادة الانسان .

ولولا هذه الحياة التى يلقى فيها المحسن جزاء إحسانه ، ويتحمل فيها المسىء نتيجة عمله ، لما كان هناك فرق بين المؤمنين بالله والكافرين به ، من ناحية الثواب والعقاب ، ولكن الله سبحانه وتعالى الذى لا يظلم أحداً وعد ووعده صادق لا يخلف ، بأنه سوف يجزى كل عامل بعمله قد جعل هذه الحياة الآخرة ليربح أفراد ، ويخسر آخرون ، وتثقل موازين ، وتخف أخرى ، كما قال الله سبحانه : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ﴾ .

ولولا هذه الحياة أيضاً وما بها من جزاء ، لكان الانسان فى حيرة من ثمرة عمله ، ونتيجة مجهوده فى هذه الدنيا ، ثم لولا الطمع فى النعيم الخالد الذى وعد الله به المتقين فى هذه الحياة ، والخوف من العقاب الذى توعد الله به المنحرفين ، لما منع أحد نفسه من ملاذ الحياة المحرمة عليه ، طالما أنه ليس هناك ثواب للطائعين ، وعقاب للعاصين ، شأن كل المنحرفين الذين أنكروا كل القيم والمبادىء ، فأطلقوا العنان لشهواتهم ، وملأوا الأرض فساداً إلى أن وصل العالم إلى ما هو عليه الآن من تدهور فى الضمائر ، وانحلال فى الأخلاق ، وفساد فى العقائد ، إذاً فالايمان بالبعث هو الذى يقف دائماً أمام الشهوات الطائشة والنفوس المنحرفة ليذكرها بعاقبة المصير ، فتقف وتتفكر ثم تتراجع لتسلك سبيلاً غير سبيل الضلال .

على أن عقيدة الايمان باليوم الآخر هذه ، قد أنكرها منذ القدم كثيرون مستبعدين عودة الانسان إلى الحياة مرة ثانية ، بعد أن فارق دنيا البشر ، ناسين أن الذى خلقهم أول مرة قادر على يعيدهم كما خلقهم ، كما صرح بذلك القرآن المنزل من عند الله بقوله : ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً ﴾ .

وما يزال إنكار البعث فى ازدياد مستمر فى جميع أنحاء العالم تبعاً لانتشار موجة الإلحاد التى تتسابق مع الزمن .

ولا شك أن حياة البشر بعد موتهم حقيقة ثابتة دعت إلى الايمان بها كل الرسالات السماوية وأجمعت على كفر من ينكرها ، ولقد جاء كتاب الله الكريم ليؤكد هذا بقوله : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ وما سمى الله الرسل مبشرين إلا لأنهم يبشرون ذوى النفوس الطاهرة والضمائر الحية وأصحاب الاستقامة فى الحياة بالجزاء العادل فى الآخرة ، وحينما نكون مؤمنين حقيقة بأن الله هو الخالق للانسان وأنه قادر على كل شيء ، فلا يستبعد ولا يستغرب بأى حال من الأحوال ، أن يعيد البشر إلى الحياة مرة ثانية ، وبعد أن تفنى عظامهم ، وتبلى أجسامهم .

ولقد أثبت القرآن وقوع البعث وأوضح عملية جمع العظام ، وإعادة الأجسام بعد فنائها حين قال : ﴿ أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ .

كما أخبر عن حقيقة القيامة وعن الانقلاب المروع الذى تنتظره دنيا البشر ، من اختلال النظام الكونى بأجمعه وعن الأحداث الضخمة التى تكون بها نهاية الحياة ومن ذلك ما أخبر عنه من أن الأرض تجف وتضطرب والشمس ينطفىء نورها فتبقى بلا حرارة وبلا نور ، والنجوم تتناثر وتظلم أجسامها ، والجبال تفقد ثباتها وتماسكها ، والابل يتركها أصحابها ، ويتخلى عنها أهلها ، والوحوش تتجمع إلى بعضها ناسية طباعها ، فى ذهول وخوف ، والبحار تلتهب وتتفجر ، والصحف تنشر ويعرف ما بها ، والسماء تنشق وتزول ، والأرض تمد وتتخلى عما فى جوفها من أسرار لا يعلمها إلا الله ، وتلك كلها آيات تنذر بفناء العالم وبدء حياة جديدة هى حياة الآخرة ، يوم الفصل بين العباد ، يوم الجزاء والحساب يوم يأخذ كل كتابه بيمينه ، أو بشماله ، ويوم يلقى كل مصيره ، ويواجه عمله فلا وساطة هناك ، ولا محسوبية ولا مغالطة ، ولا مخادعة ، وإنما أعمال تنشر لا جور فيها ولا ظلم ، وميزان للعدل لا بخس فيه ولا حيف .

ولقد جاء ذكر القيامة فى القرآن الكريم بأسلوب رهيب وبلهجة صارمة ، تدعو إلى التفكر والتأمل وإلى أن الأمر يحتاج إلى الاستعداد لهذا اليوم بالأعمال الرفيعة .

أسلوب يهزّ النفس ، ويزلزل أعماق القلب ، فيه عبرة وعظة ، وفيه حفز لأن يتنبه كل واحد ويستيقظ ويفيق ، إنه أسلوب مذهل يرسم الصورة الحية للقيامة ، وما بها من أهوال تشيب لها الولدان .

ولعل المقام هنا قد كان مناسباً لأن نذكر نموذجاً من هذا الأسلوب يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ القارعة ، ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ الخ . . . ﴿ الحاقة ، ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة ، كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ﴾ الخ . . . ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ، يوم يتذكر الانسان ما سعى ، وبرزت الجحيم لمن يرى ، فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى ﴾ . . ﴿ فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ الخ . . . ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ، وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية ، تسقى من عين آنية ، ليس لهم طعام إلا من ضريع ، لا يسمن ولا يغنى من جوع ﴾ .

إنها صرخات قوية تنبعث من خلال هذه الآيات الكريمات لتوقظ الغافلين ، وتنذر المكذبين وتطمئن قلوب المؤمنين ، بأن كلاً سوف يلقى حصيلة عمله ، وأن الدنيا لم تخلق دون غاية وبلا هدف ، بل هى دار اختبار للعباد ، ينتقل البشر بعدها إلى دار الحساب ، حيث توجد نتائج الأعمال ، هناك مدونة ما كان منها حسناً وما كان غير ذلك ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً ، يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً ﴾ .

ويوم الفصل هذا هو يوم القيامة ، والنفخ فى الصور شىء مزعج ، لا نعرف كيفيته ، إلا أنه من هول صوته يفزع من فى السموات ومن فى الأرض حينما ينفخ فيه ، وعلى إثر صوته الهائل المدمدم تخرج الخلائق من تحت الأرض تنفض التراب من أجسامها ، متجهة إلى مكان التجمع والمحشر فى خوف وذهول ، مجردين من كل شىء ، حتى ما يستر عوراتهم ، الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، الأغنياء والفقراء ، الرؤساء والمرؤوسون ، كلهم سواء فى مكان واحد ، وعلى هيئة واحدة وكلهم لا يدرى أين يكون مصيره .

وفى هذا الاجتماع البشرى العام ، يقضى الله بين عباده ، قضاء عادلا ، فيذهب أهل الجنة إلى الجنة فى أمن وطمأنينة كما قال الله سبحانه وتعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ .

ويذهب أهل النار إلى النار ، فى خوف وهلع ، كما قال الله سبحانه وتعالى : « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » .

هنا ينادى مناد .. يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم ، ونحن هنا لسنا بصدد تفاصيل وصف الجنة أو وصف النار وليس هذا هو مدار بحثنا ، وعلى أننا نشير إلى أن فى الجنة من النعيم الخالد مالا يتصوره عقل ولا يخطر على ذهن إنسان ، وإن فى النار من الأهوال والمصائب ما تنخلع له القلوب فزعاً ، وإنه قد ورد أن أدنى أهل الجنة منزلة من له مثل عشرة أمثال ملك من ملوك الدنيا ، وأن أهون أهل النار عذابا من له نعلان من نار يغلى منهما دماغه .

على أن الذى يجب أن نفهمه ، والذى هو مدار بحثنا ، هو أن نؤمن فى يقين بأن الموت حق ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ..



المال في خدمة الدعوة

الكثير الكثير من الناس من يظن أن الدعوة إلى الله يكفى فيها أن يقوم واعظ فى مكان ما ليرغب الناس فى الجنة ويحذرهم من النار ثم لا شيء غير ذلك ، والقليل منهم من يدرك ما تتطلبه هذه الدعوة من كفاءات علمية متخصصة ، وامكانات مالية وفيرة ، وما يسبق ذلك من تخطيط ودراسة ، إذ أن كل عمل لا يقوم على التخطيط المدروس والدراسة المتكاملة ومعرفة ما يتطلبه هذا العمل من مستلزمات تكون نهايته الفشل ، والدعوة إلى الله كأى عمل من أعمال هذه الحياة ، يحتاج إلى وضع الأسس التى تضمن له إزالة كل العقبات والصعوبات التى يمكن أن تواجهه ، وأعظم ما يعترض طريق الدعوة ويجعلها غير قادرة على الاستمرار ، عدم توفر الوسائل المادية للرجال القائمين عليها والمهتمين بشأنها ، الشيء الذى يجعل الدعوة إلى الاسلام بطيئة الحركة ، لعدم امداد الجميعات الاسلامية والمؤسسات الدينية ، والدعاة المتجولين بالمال الذى يسهل لهم مهمتهم .. ويجعل تلك الجمعيات والمؤسسات قادرة على الصمود فى وجه أعداء الدعوة ، ونحن بما وهبنا الله من مال فى أكثر بلادنا الاسلامية ، لدينا القدرة على امداد كل العاملين فى حقل الاسلام بما يحتاجون إليه من مال يحقق لهم الهدف الذى يعملون من أجله ، وإذا كان أصحاب الديانات الأخرى من مئات السنين ينفقون الأموال بسخاء وينشئون المؤسسات التعليمية والخيرية من أجل اجتذاب الأمم إلى دينهم بما فى ذلك أمة الاسلام ، فإننا مدعوون للاسهام فى الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله ، وكما يكون الجهاد بالنفس يكون أيضاً بالمال وبهما معاً ، فمن كان عنده علم ولم يكن لديه مال جاهد بلسانه وقلمه ، ومن كان عنده مال ولم يكن لديه علم ، جاهد بماله ، ومن رزقه الله علماً ومالاً ، جاهد بهما معاً ، وان أفضل سبيل يمكن أن ينفق فيه المال هو سبيل الدعوة إلى هداية الناس ، وإنقاذهم من المخاطر التى تهددهم فى حياتهم ومعادهم .

وإن من توفيق الله للانسان ، أن ينفق وبسخاء مما أعطاه الله من مال ، ليؤكد اعترافه بفضل ربه عليه ، وليزيد رصيده من الحسنات عنده فى يوم لا ينفع فيه غير العمل الصالح ، ولقد ضرب أناس كثيرون من المسلمين ، فى أنحاء متعددة من العالم أمثلة كريمة فى الانفاق على الدعوة إلى الله وشريعته ، فأدوا بذلك بعض ما أوجبه الله عليهم من حق فيما أعطاهم من رزق حلال وساهموا مساهمة كريمة فى إنقاذ أبناء كثير من المسلمين ، من الوقوع فى شراك دعاة الكفر وهذا هو العمل الخالد والباقى ، الذى

أشار إليه الرسول عليه السلام بقوله : « ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » فإنقاذ المسلمين من المجاعة والتخفيف عنهم من آلام الفقر ، وتحسين أوضاعهم بانتشالهم من الجهل إلى العلم ، كل ذلك يشدهم إلى الاسلام ، ويبعد عنهم خطر الدعاية ، والمناوأة له ، من هنا كان واجب المسلمين نحو إخوانهم فى جميع أنحاء الأرض سواء على مستوى الحكومات أو الأفراد كبيراً ، فى مساعدتهم بالمال والكتب والدعاة ، وإنشاء المدارس لهم لتعليمهم ما يجب عليهم نحو ربهم وتحصينهم بالعقيدة الاسلامية الصلبة ، إلى جانب الدعوة المركزة لجلب غير المسلمين إلى دين الله ، وإذا كانت الارساليات التبشيرية تعمل للتنصير منذ مئات السنين ، بكل ما لديها من طاقات هائلة مالية وبشرية ، ولم تستطع أن تصل إلى الأهداف التى وجدت من أجلها ، فإننا ولاشك رغم تأخرنا فيما يجب عمله نحو الاسلام والمسلمين على ثقة تامة ، بأننا سوف لا نحتاج إلى زمن طويل ، للوصول إلى الأهداف الكريمة التى نتوخاها من دعوة الناس إلى دين الله ، ذلك أن ديننا لا غموض فيه ولا تقصير ، كل ما يحتاجه منا هو عرض مشرق وبأسلوب مقنع ، وما يسد حاجة الدعاة ، ويجعلهم قادرين على إقامة مدارس ومعاهد وكليات فى البلاد الاسلامية وغيرها ، من أجل حماية الاسلام ، وإيجاد المسلم المتفوق علمياً وأخلاقياً ، وتحرير الانسان من براثن الانغماس القاتل فى المطالب المادية .

وهذه هى رسالة المسلم فى الحياة ، دعوة إلى الله وجهاد فى سبيله بالنفس والمال وحب الخير للانسان أى إنسان ..



توكل .. لا تواكل

التوكل فى عرف العاجزين عن العمل ، والمتقاعسين عن طلب الرزق ، هو الخمول والركون إلى الراحة والدعة ، وانتظار الرزق ، دون مشقة أو تعب .

ومعناه كذلك فى عرفهم ، الذلة والمسكنة ، والعزوف عن الدنيا ومباهجها ، والرضا بالفضلات من الطعام والفتات من الخبز ، وما تمزق من الثياب ، وما تكرمت به الأيدى الرحيمة والنفوس الكريمة ، من معروف أو إحسان .

أما التوكل فى نظر الاسلام فمعناه الاعتماد على الله والسعى وراء الرزق بالطرق الشريفة النزيهة ومواجهة الحياة بقوة وعزم وتصميم ، ولذا فإن من خطأ الرأى ومجانبة الصواب أن يفسر التوكل فى نظر الاسلام ، على أنه الانزواء فى مكان من أمكنة العبادة والبعد عن طلب المعيشة ، إذ لو كان هذا هو معنى التوكل لما قال الرسول ﷺ حديثه المشهور الذى يقول فيه : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا » .

فالطيور التى لم تمنح من العقل ومن القوة ومن التفكير ما منح الانسان ومع هذا لم يأتها الرزق فى أوكارها وأمكنة تواجدها ، وإنما تذهب فى الصباح جياعاً وترجع آخر النهار شباعا .

وكان من أمر الله للانسان أن يسعى لطلب الرزق ويعمل لاكتساب المعيشة جاء ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾

فالله أمر بالسعى للرزق ، السعى على مناكب الأرض وأجنحة الهواء وعلى سطح الماء وفى قاع البحر وفى كل بقعة يمكن أن يوجد بها رزق حلال .

أما القعود عن العمل على اعتبار أن هذا من التوكل على الله فشىء لم يكن من أمر الله ولا من شريعته ، وإلا لما كلف محمد عليه الصلاة والسلام نفسه ، مشقة رعى الغنم لأهل مكة مقابل أن يأخذ على ذلك أجرا زهيدا ، ولما تحمل المتاعب إلى البلاد البعيدة للبحث عن ما يغنيه عما فى أيدى الآخرين .

إن الاسلام الذى رسم قانون العمل فى نظام الدولة الاسلامية قد وجه المسلم إلى ما يحفظ عليه عزته ويصون له كرامته يقول الرسول ﷺ : « والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

وحاشا بعد هذا أن يدعو الاسلام إلى البطالة أو يشجع على اجتناب العمل أو يرضى بأن تكون الأمة الاسلامية ضعيفة أو خاملة أو متكاسلة ، أو يكون المسلم عبئا على المجتمع .

وتحقيقاً للواقع وترفعاً بالاسلام من أن يوصم بأنه يأمر بالاستكانة ، أو يتوجه بالمسلم إلى ناحية هزيلة أو جهة غير كريمة تعرضه للذلة والمهانة ، نقول لهؤلاء القاعدين عن العمل والمتكاسلين عن طلب الرزق : ما هكذا ينبغى أن يكون المسلم الذى أعزه الله بالاسلام ورفع رأسه بهذا الدين الخالد وأمره أن يكون عضواً عاملاً فى مجتمعه ، ونذكرهم أيضاً بأن الرسول عليه الصلاة والسلام سمى الذين تكاسلوا عن العمل وخلعوا على أنفسهم لقب متوكلين أسماهم متواكلين لا متوكلين .

ومن هنا نعلم أن الاسلام لم يأمر بالابتعاد عن الدنيا وانه برىء ما نسب إليه من أنه دين مخدر يوجه أتباعه إلى الاعتماد على الله فى رزقهم وفى الدفاع عن حياتهم دون أن يبذلوا الأسباب لذلك .

إن تقاعس كثير من المسلمين عن العمل أقوى سلاح يروج به الحاقدون دعاياتهم ضد الاسلام ومبادئه التى تقول فى قوة وصلابة بأن لا كرامة لضعيف فى دنيا البشر ولا قيمة لخامل فى عرف الزمن ولا سيما فى عصرنا هذا عصر الماديات الذى لا يترك فيه القوى حقاً لضعيف إشفاقاً عليه ولا يمسح فيه الغنى دمعة الفقير رحمة به .

وان الاسلام ولا شك برىء من تلك الاعتقادات الهزيلة التى أوجدتها ظروف خاصة قصد منها إضعاف المسلمين وتعطيلهم عن العمل والقضاء على معنوياتهم بحيث يصبحون عالة ومستذلين ضعفاء ومحتقرين ، ولا ريب أن تلك الاعتقادات الدخيلة على الاسلام قد أوجدت طبقة من الناس احترفت العيش باسم التوكل على الله فأحاطت نفسها بهالة من التقى والصلاح المفتعل وتظاهرت بالزهد فى الحياة فاتخذت المسابح الطويلة كدليل على الصلاح ولبست المهلهل من الثياب كبرهان على الزهد وقتلت وقتها حول جدران أضرحة القبور وعلى حافات الطرق وأبواب المساجد واعتقدت أن هذا هو الاسلام وأنهم هم المسلمون حقاً فكانوا أسوأ مثل لأمة كان من أهم أهداف دينها الجد والعمل والمثابرة والكفاح المستمر وشجع على تكاثر أمثال هذه الطبقة العاطلة الخاملة ظروف سياسية ودينية مصطنعة حتى ظن كثير ممن يجهل تعاليم الاسلام أن هذه الطبقة المتكاسلة المتواكلة هى التى تمثل الاسلام أصدق تمثيل وتفهمه أدق فهم .

غير أن الحقيقة الثابتة أن هذه المجموعات من الناس وأمثالها فى واقع الأمر لا تمثل الاسلام ولا تفهم مبادئه ، التى تقوم على احترام العاملين وتشجيعهم حتى لا تصبح الأمة الاسلامية فى حاجة إلى أن تعتمد فى شؤون حياتها إلى أمم لا تدين بدينها فيدفعها ذلك إلى أن تخضع أو تذل أو تتخاذل أو تهون وهذا مالا يرضاه الاسلام للأمة الاسلامية بأى حال من الأحوال مهما كانت الظروف والملابسات ومن أجل هذا نقول لأولئك الجهلاء العاطلين ومن أصبحوا عالة على المجتمع: إن التوكل على الله معناه الجد والعمل والجهاد والكفاح .. أما الكسل والخمول وانتظار الرزق دون ممارسة الأسباب على اعتبار أن هذا من التوكل خطأ وعدم فهم لتعاليم الاسلام ..



رسالة الشباب

الحياة التى تحياها الأجيال المتعاقبة ، لا تكون حياة لها قيمتها ، ما لم تتوفر لها العناصر المبدعة ، وإلا فهى مجرد أوقات تمر ثم لا تعود .

والمجتمع فى أى عصر من عصوره المتقاربة أو المتباعدة ، يحاول بشتى الوسائل أن يكيف حياته بما يضمن له السعادة والخير ، وما يحقق له أسباب الرخاء والاستقرار ، ولذا فكل مجتمع من وقت لآخر يقوم بتغيير أنظمة حياته ليبتكر أنظمة أكثر فائدة وأعمق نفعاً .

والمخلصون دائماً فى كل مكان من العالم يضعون أنظمة الحكم وقوانين البلاد على ما من شأنه أن يحقق سلاماً وخيراً وسعادة .

ودور الشباب فى حياة الأمم الناهضة دور منتج ، يبدع ويخترع ، وينظم ويوجه ، والمتتبع لأطوار التاريخ ، ونهضات الشعوب ، يعرف جيداً أن الشباب هو القوة الدافعة إلى المجد وأنه الدعامة القوية فى بناء صرح المجتمع ، وفى تغيير مجرى التاريخ وتوجيه سفينة الحياة .

وشباب اليوم هم قادة الغد وسوف يتحملون مسؤولية مهمة البناء والتشييد ، وبلادنا منبع الاسلام ومولد محمد ، يجب أن تقوم النهضة فيها على قواعد مستمدة من المنبع الأصيل ، القرآن وشريعة محمد ﷺ شريعة الله .

وإذا كانت نظرة الشباب إلى الحياة فى أكثر بقاع العالم نظرة مادية خالية من الروح ، فإن نظرة الشباب فى هذه البلاد بحكم مركزها الروحى يتحتم أن يكون فيها الكثير من الاعتدال حسب تعاليم ديننا ، الذى رسم الخطط للحياة ووضع لها المبادىء ، لا على أنها حياة روحية بحتة ، ولا على أنها حياة مادية صرفة ، وهذه ميزة الاسلام على غيره من الديانات السماوية الأخرى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ ، « واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

وعلى هذا فرسالة الاسلام لا تنحصر فى المئذنة ، والمسجد ، ولا تقتصر على الصيام والحج ، ولكنها تتخطى هذه الحدود فتنظم سياسة الدولة وحقوق الفرد وشؤون الحياة .

وكذا رسالة الشباب فى الحياة يجب ألاّ تقف عند حد التأفف والتألم لأن هذا فى الواقع على حد ما يقال سلاح العاجزين ، ولقد عرفنا فيما عرفنا أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، فالصراحة فى الحق والوقوف فى وجه المشاكل التى تهدد المجتمع فى شجاعة وحزم ، ومحاربة المبادىء المنحرفة التى تهدد مقدسات الأمم ، وأخلاقها صفات يجب أن تتوفر فى الشباب لكى يقوم بدوره فى بناء صرح الأمة على أسس سليمة تحقق للجميع كل أنواع الطمأنينة ، والاستقرار ، وتحفظ مقدساتها الدينية حتى لا تنحرف أو تحيد عن طريق الخير ، وفى الطمأنينة راحة وهدوء وفى الاستقرار سعادة ونعيم وفى الحفاظ على مقدسات الشعوب خير وسلام .

ومن أجل هذا نقول : إن نهضة نحن الآن على أبوابها يجب أن تستوحى كل مقوماتها من واقع تعاليم ديننا ، وإلا فسوف تنحرف بنا وبأجيالنا القادمة إلى طريق يجر البلاد إلى كوارث نحن أحوج ما نكون إلى محاربتها ، شىء واحد نريده من الشباب لكى يكونوا دعاة خير ورواد إصلاح ، هو أن نقول لهم فى صراحة : إن دراسة الدين دراسة عمق وفهم أمر واجب وإن من الخطأ وعدم الانصاف أن تتجرأ ألسنة أو أقلام على أقدس ما فى حياة الأمة دون علم واضح ، ومن العيب كل العيب أن يحكم المرء بصلاحية شىء أو عدم صلاحيته دون ما فهم صحيح .

وكثير من شبابنا المسلم قد تغيرت مفاهيمه للدين أو قل إن شئت إنه لم يدرس الدين دراسة تمكن العقيدة من نفسه وتغرس الفضيلة فى قلبه وتكون حاجزاً بينه وبين أن ينحرف إلى مبادىء ليست من عند الله ولا من أمره .

وهنا نحب أن نوجه أذهان الشباب إلى ناحية هامة ينبغى أن يدركوها إدراكاً تاماً تلك هى أن الدين شىء ومن ينتسبون إلى الدين شىء آخر .

فإذا انتهج هؤلاء المنتسبون — لا سمح الله — منهجاً لا يتفق مع منطق الحياة القائم على المصلحة والخير ، فإن على الشباب ألا يتخذ من هذا المنهج طريقاً للطعن فى الدين وفى تعاليمه .

وإذا حصل تأخر فى حياة المجتمع على أى شكل كان فإن على الشباب أيضاً أن يفهم بأن الذنب ليس ذنب الدين ولكنه ذنب القائمين عليه ، ونحن جميعاً نعرف أن الاسلام فيه مرونة وتسامح ، وفيه عطف ورحمة ، وفيه محبة وإخاء ، وله دعوة إلى خير الانسان من حيث هو إنسان وتحذير من الشر للانسان من حيث هو إنسان كذلك ، وإن محاربة الجهل ، والفقر والمرض وتحقيق العدالة بين كل الطبقات مبادىء أمر الاسلام أن تظهر على مسرح الحياة .

وعلى هذا فنحن لا نزال نقول ونكرر القول بأن على الشباب أن يفهم هذا الدين على حقيقته ومن مصدره لا من أفعال من ينتسبون إليه ، فكل إنسان فى دنيا البشر إذا ما استثنينا الأنبياء عرضة لأن يخطىء عن جهل وقد يكون عن علم .

لذا فإن من مجانبة الصواب أن نعتبر كل أفعال رجال العلم فى عالمنا المسلم هى المنظار الذى نطل من خلاله على جوهر الدين أو هى المقياس الذى نقيس به صلاحية هذا الدين ومدى كفايته لتصريف شؤون الحياة .
وهذا ما يحملنا أن نقول لشبابنا المسلم افهم الاسلام من قرآنه ومن شريعة نبيه وإلا فأنت مخطىء حين تصدر حكمك عليه رجماً بالغيب ، وأنت واهم حينما تتهمه بالجمود أو أنه السبب فى تخلف الأمة فى أى مجال من مجالات الحياة ، وأنت واقع فى خطأ واضح عندما تظن أن كل أعمال رجال العلم هى دين الله وشريعته .

ولسنا فى شك أن الشباب حينما يؤمن عن يقين بصلاحية الاسلام لادارة شؤون الحياة فإنه سوف يدعو إليه فى حرارة وإيمان ، وسوف يدافع عنه فى صدق وإخلاص ، لتبقى الحياة كريمة للانسان فى كل مكان وهذه هى رسالة المسلم .

ثم لسنا متحاملين ولا مجازفين إذا قلنا إن كثيراً من علماء المسلمين القدامى والمحدثين ما زالوا مقصرين فى توجيه المجتمعات توجيهاً صحيحاً ، وأن على الشباب الآن بما لديهم من ثقافة وعلم أن يحملوا رسالة التوجيه بالطريقة التى تتفق مع منطق العصر ولا تخالف تعاليم الدين .

ولنا فى علم الشباب وثقافة الشباب وعقل الشباب وحكمته ما يجعلنا نطمئن إلى أنه سوف يقود سفينة الحياة إلى شاطىء الأمان فى قوة وتصميم وفى عزم وإيمان ويومها نقول ..

« سلام على الشباب ... وحيا الله أبطال الاسلام .. »



حياة الفرد في المجتمع

الفرد فى المجتمع تعتمد حياته أول ما تعتمد على الأمن لأنه دون أمن لا توجد راحة ولا استقرار ، ولا طمأنينة أو ازدهار .

ونعمة أمن الناس علي دمائهم وأموالهم وأعراضهم لا تعدلها نعمة فى الحياة . يؤكد هذه الحقيقة الثابتة قول الرسول ﷺ : « من أصبح منكم آمناً فى سربه معافاً فى جسمه عنده قوت يومه وليلته فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

ومن أجل أن ينعم المجتمع بالهدوء والطمأنينة كانت أعظم مهمة فى وظيفة الحاكم مهمة حفظ الأمن فى الداخل والخارج ، وهى ولا شك مهمة فى غاية الصعوبة والخطورة ، وما القيود التى فرضت على الأفراد فى هذه الحياة ، سواء منها ما فرضته التعاليم السماوية ، أو القوانين التى وضعها الانسان ، إلاّ لحماية هذا الأمن وتدعيمه والحفاظ على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم .

ولقد كان الاسلام حريصاً كل الحرص على أمن الانسان واستقرار حياته إذ شدد العقوبة على كل من حاول إثارة الفتنة أو أحدث الفوضى بين أفراد الأمة واعتبر ذلك فساداً وجريمة ومحاربة لله ورسوله ، والمراد بحرب الله هنا حرب شريعته وحرماته ، فجعل عقوبة أمثال هؤلاء المستهترين بحقوق المجتمع القتل أو الصلب حتى يموتوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو نفيهم من الأرض : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ .

وسبب نزول هاتين الآيتين على ما قيل أن عكل وعرينة قدموا على النبى ﷺ للاسلام فاستوخموا المدينة (وجدوها رديئة المناخ) فأمر لهم النبى ﷺ بذود (مجموعة من الابل) وراع ، وأمرهم أن يخرجوا

فيشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة ارتدوا عن إسلامهم فقتلوا راعى الابل وهربوا بالذود فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فبعث فى طلبهم فجىء بهم ، فأمر أن تسمر أعينهم (تكحل بمسامير الحديد المحماة) وتقطع أيديهم ، ويتركوا فى ناحية الحرة حتى يموتوا على حالهم .

وكما اهتم الاسلام بالأمن الداخلى ، فإنه قد أمر بأخذ الاستعداد لما عساه أن يحصل من غزو خارجى يهدد أمن المجتمع وكرامته — جاء ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ومعنى هذا أن المجتمع يتحتم عليه أن يكون دائماً على أهبة الاستعداد للأعداء ، بكل ما توصل إليه الانسان من وسائل الدفاع والهجوم ، كما أمر بتحصين الحدود بكل الوسائل الممكنة إلى جانب تحسين العلاقات السياسية مع كل الشعوب ، وبالاتجاه المخلص إلى الاصلاح الداخلى — كل ذلك من أجل أمن الانسان وراحته واستقرار حياته ، وإذا كان على الدولة أن تتحمل مهمة حفظ الأمن ، وضمانه لكل فرد فى المجتمع ، فإن على أفراد المجتمع أنفسهم أن يقوموا على تدعيمه بالحب ، والتعاون ، والتضحية ، ومحاربة الفساد والداعين إليه ، ولقد رغب الاسلام فى كل من هذه الأمور الثلاثة .

ففى الحب ، مثلاً جاء قول الرسول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » واعتبر المتحابين فى الله من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وإذا تتبعنا تعاليم الاسلام نجد أنها تقوم على دعائم من الحب المتبادل ، ففى ميدان الدعوة والارشاد نجد القرآن يأمر بالدعوة لا بالقسوة والعنف ولكن باللطف والموعظة الحسنة ، ويقول مخاطباً لنبيه عليه السلام : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾ .

وفى ميدان الحياة الاجتماعية ، يأمر المسلم بأن يبتعد كل البعد عن ظلم أخيه المسلم واحتقاره وإهانته وأن يكون لطيفاً فى معاملته ، يحترم الكبير لكبره ، ويعطف على الصغير لضعفه ويرحم الفقير لفقره ، ويواسى البائس لرقة حاله .

وفى محيط الأسرة ، يأمر بالعشرة الكريمة بين الزوجين ، ويحافظ على الروابط بين أفراد الأسرة كلها ، فيحض على زيارة الأقارب ومواساتهم ، وتفقد أحوالهم ، ويحذر من مقاطعتهم والتكبر عليهم وهضم حقوقهم .

وفى محيط المجتمع الاسلامى الكبير يحرص أشد الحرص على أن يعيش الناس متحابين متآلفين متراحمين ، يحس بعضهم بإحساس البعض ، ويشعر كل واحد بشعور الآخرين حتى لكأنهم كالجسد الواحد ، يتألم كله بألم جزء منه بذلك جاء قول الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وفى التعاون على البر والتقوى يتحقق الجانب الآخر من جوانب أمن المجتمع وقد جاء فى هذا المعنى قول الله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

والبر هنا ليس محصوراً فى أمر معين ، وإنما المقصود كل عمل يحقق سعادة للفرد والجماعة ، كحماية الضعفاء وإزالة الشحناء ، وكفالة اليتامى والعمل المخلص لوقاية المجتمع من شرور الحياة ، وآثام الانحراف .

وفى تعاليم الدين الكثير مما يدعو إلى التعاون بأوسع معانيه ، والحياة سفينة يتحتم على كل فرد أن يحرص على سلامتها من الغرق ، كما جاء فى حديث رواه البخارى : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا فى سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .

بمعنى أنهم إن تعاونوا ومنعوا الذين فى أسفل السفينة من خرقها حصلت النجاة لكل منهم وإن لم يتعاونوا وتركوهم يخرقونها هلكوا وهذا مثل واحد يبين الجوانب الهامة التى يحققها التعاون بين أفراد المجتمع لذا صار التعاون عنصراً هاماً فى تدعيم الأمن وتثبيت أركانه .

أما الجانب الثالث ، الذى تتكامل به دعائم الأمن فهو التفانى فى خدمة المجموع بالنفس وبالمال ، وباللسان وبالجاه ، بل وبكل الوسائل الممكنة المستطاعة وأهم تضحية فى سبيل الواجب التضحية فى سبيل المبدأ والعقيدة ، لأنه دون عقيدة لا يوجد أمن ولا استقرار والتضحية مبدأ هام من مبادىء الاسلام ، ومن هذا يتضح أن هذه الأمور الثلاثة الحب ، والتعاون والتضحية ، عوامل أساسية لبناء المجتمع وأمنه .

لذا حرص الاسلام على أن يعيش الناس آمنين مطمئنين يجمعهم الحب ، وتربط بين قلوبهم المشاعر والأحاسيس فى ظل الاسلام دين الأمن والطمأنينة وسعادة الانسان ..



الإنسان في نظر الإسلام

مما لا مجال للنقاش فيه أن الانسان هو سيد هذه الأرض ، يستطيع بعقله وتفكيره أن يفجر ينابيعها ويستنبت أرضها ، ويستخرج منها كل خيراتها ، ويقيم فيها **عدلاً ومساواة ، ومنها ينطلق وراء** البحث عن أسرار الحياة لأنه خليفة الله فى هذه الأرض الواسعة يستعمل فيها كل طاقاته الذهنية والعقلية والجسمية ، **ليبدع ، ويخترع ، وينتج ، وهذه هى وظيفة الانسان فى هذا الكوكب من العالم عمل وصبر ومثابرة ، واستغلال للخيرات التى أودعها الله فى هذه الأرض من أجل خير هذا الانسان وسعادته .**

ومن هنا كان الانسان بما منحه الله من عقل وتفكير أفضل من كل المخلوقات فى هذه الحياة ، ونظرة الاسلام إلى هذا الانسان ، نظرة فيها الكثير من معانى التقدير والتكريم والاحترام ، لأنه — أولاً : خليفة الله فى أرضه ، بدليل ما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ .

وثانياً : لأن الله جلت قدرته قد أكرمه بأشياء لم تحصل لغيره من مخلوقات الله جاء ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ .

وهنا يمكن أن نذكر فيما يلى بعضاً مما يؤكد كرامة الله لهذا المخلوق البشرى ، مصحوبة بأدلتها ليكون الموضوع أكثر إيضاحاً ورسوخاً .

وأول مظهر من مظاهر التكريم تحرير عقل الانسان من عبادة المخلوق إلى عبادة الله كما جاء ذلك فى قول الله : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ﴾ .

ثانياً : ومن أجل هذا الانسان وكرامته ألغيت كل الفوارق بين الناس فلا تكبر ولا استعلاء ولا تعاظم ، ولا احتقار يشير إلى هذا القرآن الكريم بقوله : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ ، وقول الرسول ﷺ : « الناس سواسيه كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا أحمر على أسود ، ولا لغنى على فقير ولا لشريف على وضيع إلا بالتقوى ، الناس من آدم وآدم من تراب » .

ثالثاً : العلم ، فقد أكرمه الله به دون غيره من المخلوقات ، بدليل قول الله : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ . وقوله : ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ .

ومن أجل أن يتمتع الانسان بهذه الكرامة التى أكرمه الله بها ، نهى عن الظلم والطغيان وانتهاك الحرمات ، والتطاول على الآخرين بأى شكل وعلى أى صورة ، بدليل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ﴾ . وكذلك قوله : ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ .

وإكراماً لهذا الانسان سخر الله له الجبال والبحار ، والفضاء ، ولولا هذا التسخير ما استطاع أن يستخرج المعادن من بين الصخور ، ولا أن يجعل قاع البحر قاعدة لغواصاته ولا متن الهواء مستقراً لسفنه ومخترعاته ، وحتى يشعر الانسان بأن كرامته مصونة ، قام الاسلام على مبدأ المساواة بين الجميع فى كل الشؤون العامة والخاصة ، إذ لم يفرق بين واحد وآخر فى كل مستلزمات الحياة ، ولم يجعل لشعب من الشعوب أو جماعة من الجماعات أو صنفاً من الناس ميزة يمتاز بها عن غيره من عباد الله .

وحينما نستعرض تعاليم الاسلام نجدها دون ريب ، تضع هذه المساواة موضع التنفيذ .

فأمام القضاء مثلاً يقف الحق وحده بجانب صاحب الحق ، وفى مجال التوحيد وعدم الخضوع لغير الله ، يأمر الله الناس جميعاً أن يتوجهوا إليه وحده : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ .

وفى محيط تكاليف الحياة نرى ألا تفرقه ولا تمييز ، وهذه المعانى كلها تعطى الدليل الذى لا يقبل النقاش بأن الناس جميعاً لهم كرامة يجب أن تحترم وأن هذه الكرامة ملازمة للانسان ملازمة ظله له ، مالم يقم هو من جانبه بامتهانها ، فإذا فعل ذلك فقد رفع عن نفسه هذه الحصانة المقدسة وأصبح بلا كرامة بمعنى أن الانسان من حقه أن يتمتع بما تمنحه له هذه الكرامة من حقوق فى الحياة مالم يقصر فى حق من حقوق الله أو يتعدى على حق من حقوق الآخرين ، فيكون بهذا العمل ملغياً لحقه ، ومعرضاً نفسه

لما لا يتفق وكرامة الانسان ، وإذاً هو الجانى على نفسه ، فإذا تعدى مثلاً على قتل مسلم فقد ألغى كرامة دمه فيقتل ، وإذا سرق ألغى كرامة يده فتقطع وإذا استهان بمحارم الآخرين فسرق أعراضهم فقد ألغى كرامة جسمه فيجلد أويرجم .

ومن كل هذا يتضح موقف الاسلام من كرامة الانسان وانه أول من نادى باحترام حقوقه ، وهو موقف لم يسبق إليه ، ولن يوجد أفضل منه ..



جناية على الاسلام

الاسلام علاقة بين المخلوق وربه ومصدر سعادة للانسان فى حياته وبعد موته ، وهو إلى جانب هذا قد جمع بين الفضائل الروحية والمصالح الجسدية ، فصار ملائماً للفطرة البشرية ولهذا السبب سمى الاسلام دين الفطرة واعترف له بذلك أعداؤه .

يقول درابر الأستاذ بكلية نيويورك بأمريكا : كانت أمة العرب أقل عمرانا وتمدنا من فارس والروم واليونان ، وبعد أن اعتنقت الاسلام وسارت على تعاليمه أصبحت بعد برهة أرقى الأمم المعاصرة لها ، تقدمت تقدماً مدهشاً حتى صارت هى المؤسسة لمعظم الفنون التى وصلت إلينا فى العصر الحاضر عن طريق الغرب وكل ذلك كان بإرشاد الدين الاسلامى الذى يحثهم على السير فى الأرض والعمل بكل ما فيه خير الدنيا والآخرة .

ويقول برنارد شو : أعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم بأجمعه لتم النجاح فى حكمه ولقاده إلى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة .

ويقول الجنرال الأمريكى رف بودلى : لقد كان محمد على نقيض من سبقه من الأنبياء فإنه لم يكتف بالمسائل الالهية بل تكشفت له الدنيا ، ومشاكلها فلم يغفل الناحية العملية الدنيوية فى دينه فوفق بين دنيا الناس ودينهم ، ولذلك تفادى أخطاء من سبقوه من المعلمين الذين حاولوا خلاص الناس من طريق غير عملى ، لقد شبه الحياة بقافلة مسافرة يرعاها الله وأن الجنة نهاية المطاف ، هذه بعض آراء المفكرين من الغرب .

أما رأى المفكرين من أعلام الاسلام فهو أن هذا الدين دين مدنى سياسى عسكرى اجتماعى حفظ للفرد حقوقه وسن قانوناً للجماعة تسير فى شؤونها على تعاليمه ، ووضع نظاماً للحياة ، هو أفضل نظام، وأضمنه لسعادة البشرية هذا هو الاسلام الذى فهمه أبو بكر وعمر وخالد بن الوليد وأبو عبيدة وغيرهم والذى ما زال المصلحون من المسلمين يدعون إليه .

أما ما يعتقده الكثير من أن الاسلام عبارة عن مجموعة عبادة بدنية ، من صلاة وصيام وحج وأنه يأمر بالاستسلام للحوادث ، ويدعو إلى التقشف فى الحياة ، والبعد عن الدنيا ، فهو اعتقاد أبعد ما يكون عن مبادىء الاسلام وتعاليمه .

لقد مرت على المسلمين عصور مظلمة جعلتهم يجهلون الكثير من دينهم إذ أخطأ المسلم فى فهم الاسلام حين ظن أن كلمة مسلم كافية لأن تجلب له السعادة ، والخير ولو لم يعمل خيراً وأخطأ فى فهم التوكل إذ اعتقد أن معناه ترك الأسباب والقعود عن العمل ، وأخطأ فى فهم الزهد إذ ظن أن الاسلام يقصد منه عدم الأخذ بأسباب الرزق الحلال ، أخطأ فى فهم هذا وذاك وغيرهما الأمر الذى أحدث ثغرة ينفذ منها أعداء الاسلام ليطعنوا فى تعاليمه .

ومن هنا نكب المسلمين بصنفين من الناس كل منهما جر على الاسلام أعظم الخسائر ، صنف يعرف فى لسان العصر الحديث باسم الرجعيين ، أولئك الذين يظنون لقصور علمهم وقلة ادراكهم أن الاسلام دين رهبنة وخمول فتكاسلوا عن العمل وثاروا فى وجه كل مصلح وحاربوا كل تقدم وإصلاح ، ومن أجل هذا وذاك جنوا على الاسلام جناية لا تغتفر شوهوا جماله ونسبوا إليه ما ليس منه فأضروا بالمسلمين وخدموا أعداء الاسلام من حيث يشعرون أولا يشعرون .

أما الصنف الآخر فهم جماعات منتشرة فى البلاد صنعهم أعداء هذا الدين فى مدارسهم وغذوهم بأفكارهم وخدعوهم بدعاياتهم فتنكروا لدينهم ، وراحوا يروجون حوله بدعايات كاذبة لا وجود لها إلا فى نظر هؤلاء وأولئك ، ولو أنهم رزقوا شيئاً من التوفيق ، والاتزان العقلى لما تصوروا الاسلام على هذه الصورة المعكوسة ، التى تؤكد حقيقة ثابتة ، وهى جهلهم بالاسلام .

لقد أمر الاسلام بالعلم حتى لا يبقى للجهل مكان فى الأرض ، وأوجب الاتحاد وتوحيد الكلمة لينعم الناس بالأمن والسلام ، ووضع الحدود الشرعية لتقف النفوس الشريرة عن الظلم والعدوان ، وإذا كانت حالة كثير من المسلمين لا تمثل حقيقة الاسلام ، فإن الأمل كبير فى أن يزداد الوعى الاسلامى الذى لن تقوم للمسلمين قائمة إلا به ، ولا يؤمل لهم نجاح أو خير إلا عن طريقه ، وأن على المربين أن يهتموا بغرس العقيدة الاسلامية الصحيحة فى النفوس ويوجهوا الشباب توجيهاً صالحاً يحملهم على الخير والفضيلة ، ويدعوهم إلى الجد والعمل ويبين لهم أن الاسلام دين ودولة ، روحانية ومادية ، عبادة وسياسة واجتماع ، وأن من يظن أنه يحرم على المسلم أن يأخذ ما فى المدنية الحاضرة ما به حفظ كيان الدولة وتقوية مركز الدين أنه متجن على الاسلام ، وظالم له وأنه فى حاجة إلى أن يتعلم من جديد .. وإذا ما رسخت هذه المعانى الكريمة فى نفس الشاب المسلم وآمن بها فهناك وعندئذ نقول : إننا بخير ..

خطأ في الفهم

لم تعرف البشرية ديناً أكثر مرونة من الاسلام ، ولم يأت دين يجمع بين عالم الروح وعالم المادة سوى هذا الدين الخالد ، فهو دين وسط ، لا يدعو إلى التطرف ولا يرضى عن الجمود ، جاءت تعاليمه مرنة إلى أقصى حدود المرونة ، سهلة إلى أبعد حدود السهولة ، ينهى عن الغلو مهما كان مصدره ، ويحارب التخلف بكل صوره وأشكاله ، ويأمر البشر بالتفكير فى آياته والتعمق فى أسرار مخلوقاته ، ولأجل هذا انتشر فى كل مكان من العالم رغم قصور المسلمين فى الدعوة له ، والتشويق إليه ، وعرضه للعالم عرضاً يتناسب مع مكانته ويتفق مع تعاليمه .

ولولا المحن التى اعترضت هذا الدين لما تعثر فى سيره ، ولما وجد الطاعنون سبيلاً للنيل منه ، والاستهانة به والسخرية ممن ينتسبون إليه ، ولما استطاع أحد أن يجرأ على أن يقول افتراء إن الاسلام هو سبب ضعف المسلمين ، وتأخرهم فكرياً واقتصادياً وصناعياً وهو لا ذنب له فى ذلك وإنما ذنب العقول التى لا تفهمه حق الفهم .

لقد نكب الاسلام منذ أمد غير قريب — بجماعة متطرفة تحاول بأعمالها وما تنشره فى مختلف وسائل النشر من كلام مسموم ودعايات مفتراة ، أن تقضى على جمال هذا الدين ، وأن تمحو معالمه ، فلا صلاة ولا صيام ولا حدود ولا قيود ، ويكفى على حد اعتقاد هذه الجماعة أن يؤمن الفرد بالله ، وليس عليه بعد ذلك أن يلزم نفسه بأية التزامات من شأنها أن تحول بينه وبين تحقيق رغباته النفسية بأى لون وعلى أى شكل .

يقوم إلى جانب هذه الجماعة جماعة لها عقول لم تفهم الاسلام على حقيقته ، وإنما تفهمه على أنه مجموعة عبادات محدودة من صيام وصلاة وزكاة وحج ، وأن المسلم الصحيح هو الذى يأخذ زاوية من زوايا أمكنة العبادة — ليشغل جوها الصامت بصوت حبات المسابح أو بهمهمة خاصة من الدعاء والذكر ، أما شؤون الحياة التى تناولها الاسلام بالبحث وحث عليها ودعا إليها ، فأمر ليس من الاسلام فى اعتقادهم .

وكنتيجة طبيعية لهاتين العقليتين المتغايرتين ، ومع امتداد الزمن ، وتوسع شقة الخلاف — أصبح لكل من الطائفتين مناصرون ومعارضون ، وحرص كل من أنصار الفريقين أن ينشر إشاعات ويختلق أكاذيب بحيث أصبح من العسير جداً أن يكون هناك تقارب أو تفاهم واستغلها فرصة أعداء الاسلام فعملوا على توسيع الهوة ، حتى لا يكون هناك مطمع فى تقارب أو تفاهم ، وقد نجح هؤلاء الأعداء فيما أرادوه من تفرقة بين هؤلاء وأولئك واستطاعوا أن يستخدموا لأغراضهم كلاً من الطائفتين طائفة الاباحيين الملحدين ، وطائفة الجهلاء المغفلين ، هاتان الطائفتان اللتان نكب بهما الاسلام و ما زال يعانى منهما كل المصائب والمحن منذ أقدم العصور ، وإذا كانت ظروف الحياة فيما مضى من الزمن لم تسنح لأن تسلك هذه العقول طريقاً سليماً يتفق وتعاليم الاسلام ، فإن من حقنا ونحن فى عصر المعرفة أن نهز هذه العقول هزاً عنيفاً علها تفهم هذا الدين الخالد على حقيقته .

أما أن تبقى تتخبط فى دين الله بغير علم ، وتجعل الشباب فى حيرة من دينه ، فشىء أقل ما يقال عنه أنه حرام فى عرف الشريعة ، وأما أن نحنى رؤوسنا ونجامل وننافق على حساب إسلامنا ، فشىء تأباه رسالة الله إلينا ، ونحن أشد ما نكون إلى تنوير العقول فى عصر تتضارب فيه أمواج الالحاد ، والتشكيك فى الأديان ، وإذا ما تركنا هذه العقول تعبث بدين الله كيفما تشاء ، فإننا نساعد بهذا ولا شك على أن يكون ديننا عرضة للطعن فيه وفى تعاليمه من أجل عقليات حرص الشيطان على أن تظل هكذا ، وأن تبقى على ما هى عليه من جمود أو إلحاد ، ومن واجب المسلم الواعى الذى فهم إسلامه على حقيقته أن يعمل على إصلاح هذه العقليات ليبقى الاسلام بعيداً عن الطعن والتشكيك .

أنه يجب أن نبين للعالم أن مثل هذه العقليات لا تمثل الاسلام ، ولا تفهمه ومن أجل أن نطمئن إلى أننا بدأنا الطريق الذى نسلكه لحماية هذا الدين — ينبغى أن نقوم بحملات من وقت لآخر فى الاذاعة والصحف والمجلات ، وفى الأندية والمجتمعات ، نبين فيها تعاليم الاسلام ، وسماحة الاسلام ، ومرونة الاسلام ، وبهذا وبالصراحة التامة فى الحق وبالوقوف وجهاً لوجه أمام الأفكار الضعيفة والمنحرفة ، وتوضيح الاسلام غلى حقيقته — نستطيع أن نقول إننا قد قمنا ببعض الواجب المقدس نحو ديننا الذى نعتز به ونقف إلى جانبه صامدين فى شمم وإباء وفى ثقة وإيمان ، بأنه الدين الذى يصلح للحياة .

وليس من سبيل لتعديل الخطأ فى العقول الجاهلة سوى أن نقرع الحجة بالحجة ونقابل الدليل بالدليل ، ونسكت المنطق بالمنطق ، وشتان بين الحجة والحجة ، والدليل والدليل ، والمنطق والمنطق ، إن الفرق بين هذه وتلك ، كما بين النور والظلام ، والبصر والعمى ، والحياة والموت ، عقول مظلمة تعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض ، إلى جانب عقول منحها الله إشراقة من نوره ، وهيهات أن يقف الظلام فى وجه النور الزاحف أو يصمد أمام نور الله الذى لا يغلبه شىء ..

كلهم أعداء

إذا قيل إن اجتماع الأعداء ممكن فلا تستغرب ، فقاموس الحياة المعاصر لم يعد فيه ما يسمى بالمستحيل ، وإذا سمعت أن الأعداء الألداء لا يتناسون خلافاتهم إلا إذا كان ذلك لحرب الاسلام والقضاء عليه فلا تكذب ، فالشيوعيون واليهود والنصارى وحتى عبدة البقر وغيرهم من أمم الكفر ، بينهم من العداء والحقد والكراهية ما يجعلهم لا يتفقون اتفاقاً اجماعياً على شيء ، إلا إذا كان ذلك لهدم الاسلام أو اذلال للمسلمين حتى ولو وضاع من أجل ذلك الكثير من مصالحهم .

وهذا العداء قديم قدم بزوغ فجر الاسلام ، وسيظل ما بقى إيمان وكفر ، وما دام حق وباطل فمهما أظهر أولئك الأعداء من عطف فهم أعداء ، ومهما عقدوا معنا من صداقات فهم أعداء ، ومهما اتفقوا معنا على هدنة فهم أعداء ، والعدو دائماً يجب الحذر من صداقته وعدم الاعتماد على الهدنة معه .

إنهم لا يرعون لحقوقنا عهداً ولا ذمة ، وليس فى قلوبهم لنا حب ولا مودة وبقدر ما يظهرون نحونا من تعاطف ، فإنما يخدمون بذلك مصالحهم وليس حبهم لنا هو الذى يحدوهم إلى إظهار هذا العطف الكاذب ، وإذا كانوا يقدمون لنا شيئاً من المساعدات المادية ، فإنهم يأخذون منا مقابل ذلك ثمناً له أضعافاً مضاعفة من حيث نشعر أو لا نشعر ، إذاً فهم على أى حال لا يخدمون إلا مصالحهم ومصالحهم فقط ، لقد حاربونا فى ديننا وحاربونا فى أرضنا وحاربونا فى عاداتنا ، وحاربونا فى ثقافتنا ، وحاربونا فى أخلاقنا ، كل ذلك وهم يشعروننا بأنهم أصدقاء ، ويدعون أنهم يحترمون قيمنا وأخلاقنا ، والواقع أنهم لا يتركون فرصة فيها هزيمة للاسلام والمسلمين لا شجعوها وساعدوا عليها كل ذلك بدافع الحقد والكراهية لدين الله ، وما الحرب الصليبية ، وقتل المسلمين فى مجاهل سيبريا ، وتمزيق باكستان إلى دولتين ، والاتفاق على اغتصاب فلسطين واعطائها لليهود ، والتآمر المستمر على حياة المسلمين فى كل بقعة من بقاع الأرض ، إلا أدلة لا تقبل الشك على العداوة المتأصلة فى نفوسهم ضد الاسلام وأهله ، إننا ولا شك نغالط أنفسنا ، ونخالف واقع الأمر إن نحن صدقناهم فيما يزعمونه لنا من حب ومودة ، وقد قال ربنا جل جلاله فى كتابه العزيز ، فى خطابه الموجه لنبيه الكريم : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ ، لهذا فإن تقارب هؤلاء معنا ظاهرياً إنما هو للمصلحة التى يرجونها ،

قد تكون هذه المصلحة غزو عقيدتنا وقد تكون من أجل استغلال خيرات أرضنا ، وجعل بلادنا سوقاً لتصريف منتجاتهم ليس معنى هذا أنى أطلب رفض التعامل معهم ، أو عدم الاستفادة مما تنتجه مصانعهم ، لكننى أطلب أن يكون التعامل معهم بحذر ، وأن تكون لمنتوجات البلاد الاسلامية الأولوية فى التشجيع والتسويق ، وإن خذلانهم لنا فى مواقف كثيرة ، وعدم وفائهم بالتزاماتهم واحترامهم للعهود والمواثيق المبرمة بيننا وبينهم ، بل وتخليهم عنا فى المواقف الحرجة رغم وجود تلك العهود والمواثيق لدليل آخر على ما نحذر منه من أخذ صداقتهم بالقبول ، وحتى لا يقول أحد ممن تميل قلوبهم إليهم إننا قد غالينا فى الكلام ، أو تجاوزنا الحدود فى عداوة هؤلاء الناس لنا ، نقول : (لنسدل صفحة التاريخ بكل مآسيها على الماضى البعيد والقريب — وإن كان التاريخ قد سجل كل شىء — ولنراقب تحركاتهم وأعمالهم ضد الاسلام وأهله ، لنرى أننا لم نقل من الحقيقة ، إلا أقلها وأنهم مستمرون بعناد فى عدائهم لنا).

إذاً نحن أغبياء إن صدقنا إدعاءهم بحبهم لنا ، ورغبتهم فى التعاون معنا ، اللهم إلا لمصلحتهم ولمصلحتهم ولمصلحتهم ، فالكفر ملة واحدة ، وأعداء الله أعداء لدينه فى كل زمان ومكان ، وستبقى عداوتهم لنا ما بقى إسلامنا .

أما نحن فنقول : اللهم اهدهم لصراطك المستقيم ليكون الدين كله لله .



المسلمون أمس واليوم

جاء فى كتاب الله العزيز ، قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ .

ومن هذه الآية الكريمة يتضح باختصار أن الله قد أكمل هذا الدين بحيث لا يحتاج إلى زيادة من البشر وليس فيه من نقص حتى يقوموا باستكماله ، ولهذا فقد رضيه للناس فى أى زمان ومكان ، والله لا يرتضى إلا ما فيه خير وسعادة للانسانية كلها ، وهذا الدين الذى أكمله الله لا يتغير بتغير الظروف والأوضاع ، ولا يتأثر بما يطرأ فى الحياة من عوامل مختلفة ، لأن تعاليمه صالحة لكل زمان ومكان ، وإنما الذى يتغير فى الواقع ، إيمان وفكر وسلوك المسلم نفسه .

بيان ذلك أن مسلم اليوم لا يقاس بمسلم الأمس من حيث قوة الايمان وعدمه ، ومن حيث التمسك بتعاليم الدين والمحافظة عليها فإذا ما رمى الاسلام بالنقص فى تعاليمه ، أو التناقض فى أوامره فإن الذنب ذنب المسلم لا ذنب الاسلام ، لأنه هو الذى غير وتغير ، أما الاسلام ذاته فلم يتغير ولم يتبدل ، وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ حينما كان يتحدث عن حوضه الذى من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة يقول عليه الصلاة والسلام : « ليردن علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم ، فأقول إنهم من أمتى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدى » .

وبسبب تغير حالة المسلم فى كل شيء ، حتى فى عقيدته التى رسم له الرسول ﷺ ، طريقها واضحاً مستقيماً أصبح ذليلاً بعد أن كان عزيزاً وأصبح جباناً بعد أن كان شجاعاً وأصبح مهاناً بعد أن كان كريماً ، ينظر إليه بكل معانى الاجلال والتقدير والاحترام ، وذلك كله بسبب الضعف الذى طرأ على عقيدته ، وإيمانه ، وسلوكه .

لقد قام الاسلام أول ما قام لتحرير النفوس من عبادة المخلوقين إلى عبادة الخالق ، وتخليص الرقاب المستعبدة من الرق إلا لله وحده وهذا هو مبدأ الاسلام الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعلى هذا المبدأ قامت الدولة الاسلامية التى من أهم أهدافها تحرير العقل وتحرير النفس وتحرير الرقاب ،

تحرير العقل من الجمود مما كان عليه الآباء والأجداد من أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، وتحرير النفس من كل مالا يتفق مع المبادىء والغايات النبيلة ، وتحرير الرقاب من الضعف والخضوع إلا لله وحده ، وفى هذا رفع للنفس الانسانية الى المكانة الرفيعة التى تجد فيها معنى العزة والكرامة ، وتنعم فيها بلذة الايمان بالله وحده ، وهذه المبادىء العليا هى التى استطاع الرسول ﷺ أن يوجه بها النفوس إلى طريق الخير وأن يحول بها تلك القلوب المنحرفة العمياء إلى قلوب مؤمنة مستنيرة بنور الاسلام ، وأن يكون من تلك الأمة المضطربة فى كل مجالات حياتها أمة منظمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وحصل هذا فعلاً ، فقد أصبح ذلك البدوى الذى كان من زمن قريب يركع للأوثان بفضل التربية الايمانية ، رجلاً مؤمناً لا تقف همته عند حد ، ولا يخضع رأسه إلا لربه الذى خلقه ، وصار بعد أن كان لا يفهم من الحياة إلا أبسط ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى إنساناً مثالياً ناجحاً فى كل ميدان من ميادين الحياة .

فمثلاً : عمر بن الخطاب ، الذى كان راعياً للابل يلقبه الرسول ﷺ بالفاروق يؤسس دولة إسلامية على أنقاض دولتى الفرس والروم ، وهذا : ابن الوليد ، يلقبه الرسول بعد أن أسلم بسيف الله ويحوز أعظم شهرة فى القيادة الحربية ، ثم هذا : سلمان الفارسى الذى ما يخرج من رق إلا ليدخل فى آخر يصبح حاكماً للدولة الفارسية ، وما هؤلاء إلا نموذج لأولئك المؤمنين الذين تحررت نفوسهم فأصبحوا رسل سلام إلى العالم كله يضيئون له الطريق حتى لا يضلّ عن جادة الخير ، وطريق السعادة ، وهذه هى رسالة المسلم فى الحياة ، وهكذا يجب أن يكون كل من ينتسب إلى هذا الاسلام العظيم الذى يأمر بالتحرر من العبودية إلا لله ، ونبذ الخوف إلا منه ، غير أنه مما يؤلم حقاً أن تمر أطوار مختلفة مشؤومة على المسلمين تغيرت فيها نفسية المسلم وضعف فيها إيمانه وفسدت فيها عقيدته إلى حد لا يطيق المؤمن السكوت عنه ، ولذا فنحن فى حاجة إلى تفهم الاسلام من جديد لأن العقائد الباطلة قد أفسدت الضمائر وزعزعت الايمان من القلوب الأمر الذى أحدث الفرقة والتخاذل بين صفوف المسلمين ، وما كان هذا التخاذل وذاك التفرق إلا فى صالح أعداء الاسلام الذين يشجعون على هذه المعتقدات الفاسدة جرياً على سياسة : فرق تسد .

وبسبب هذا الاختلاف فيما بين المسلمين استطاع أولئك الأعداء أن ينفذوا إلى أغراضهم المعادية للاسلام ، وأن يوغروا قلوب بعض المسلمين على بعض حتى أصبحوا فرقاً متناحرة متباغضة ، تعتقد كل فرقة أنها على الحق وأن غيرها على الباطل ، بينما الحق واحد لا يتجزأ وهو ما كان عليه محمد بن عبد الله وصحابته من عقيدة أساسها التوحيد الخالص والتوجه إلى الله بقلوب مؤمنة ، وبغير هذه العقيدة التى سار عليها الرسول ﷺ لن يكون هناك إسلام صحيح ، ذلك أن الاسلام ليس بالادعاء ولا بالمزاعم الفارغة وإنما بالتطبيق العملى لأوامره ونواهيه ، وهنا أحب أن أسأل سؤالاً واحداً فقط هل الاسلام يبيح عبادة غير الله ؟

إن كان الجواب نعم فهذا تكذيب للقرآن الكريم الذى ما زالت تعاليمه تصرخ فى الآذان بمحاربة الوثنية ومحوها من عالم الوجود ، وجهل فاضح بالمبدأ الذى قام عليه الاسلام منذ نشأ ، وإن كان لا ، فما هذه الأصوات المزعجة حول قبور الأموات فى كثير من بلاد المسلمين ؟ ثم ما هذه القبلات التى تطبع على أيدى دعاة الدجل والتضليل والدموع التى تذرف طلباً للشفاء والبركة ممن لا يملك الشفاء والبركة حتى لنفسه ؟

إننا بفهم الاسلام على حقيقته ، ومحاربة العقائد الدخيلة عليه نستطيع أن نكون مجتمعاً صالحاً يؤثر الحق على الباطل ، والخير على الشر ، والصلاح على الفساد .. ونكون خير أمة أخرجت للناس ..



الجاهلية وتشريع الإسلام

يعتبر القرنان السادس والسابع لميلاد المسيح من أحط أدوار التاريخ من ناحية اختلال المقاييس العقلية والفكرية ، إذ أصبحت الديانة فى ذلك العهد ديانة وثنية نسى فيها الانسان خالقه ، ونسى فيها نفسه ، ومصيره ، وطغت فيه نوازع الشر على دواعى الخير وانقلب الحسن فى نظر الانسان قبحاً ، والقبح حسناً ، وذابت تبعاً لذلك أسس الفضيلة وانهارت دعائم الأخلاق .

وفى هذه الحقبة من الزمن بلغت الوثنية المتطرفة أوجها إذ بلغت الحال بالانسان أن توجه الى الشمس يعبدها وإلى البقر يتألهها ، وإلى الجمادات يتقرب إليها ، ولم يكن نصيب العرب فى الجزيرة العربية بأقل من نصيب غيرهم من الشعوب الأخرى التى عاشت مدة من الزمن تحت ظلمات الجهل وأغلاله ـــ فقد كانت لهم وثنية يتوارثونها جيلاً بعد جيل ، إلا أن الوثنية العربية كانت أكثر اعتدالاً من غيرها من الوثنيات القديمة ـــ بدليل أن العرب كانوا يؤمنون بأن إلهاً عظيماً خلق هذا الكون ودبره ، يشير إلى هذا قول الله : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ ، ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ .

والعرب كانت لهم أصنام وأوثان ، يتقربون إليها على اعتبار أنها وسائط بينهم وبين الله يلجأون إليها فى الرخاء ، أما فى الشدة وفى حالة الضيق فيلجأون إلى الله فى إيمان عميق يشير إلى هذا قول الله سبحانه : ﴿ فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ .

وبسبب إنتشار هذه الوثنية بين العرب ، كان لكل قبيلة صنم تعبده وتتقرب إليه أو وثن تستعين به وتلجأ إليه ، وتدرجوا فى هذه الوثنية حتى عبدوا هذه الأصنام ، وهى الأشياء التى تعمل من معدن أو خشب على صورة إنسان ، والأوثان وهى ما كانت على شكل إنسان من حجر ، والنصب وهى صخور ليست لها صورة معينة ، وكانوا إلى جانب هذا يعتقدون أن الملائكة بنات الله ، وينكرون البعث بعد الموت بدليل قول الله : ﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ .

وفوق هذا كانت حياتهم فى هذه الجزيرة حياة غير مستقرة ، فكان السلب والنهب وكانت العصبيات والثارات ، إذ كانت القبيلة تغير على الأخرى لتغتصب مالها بقوة السلاح ، وكان كل واحد يعيش فى فزع وخوف ، إذ لا نظم تحمى الضعفاء من الأقوياء ، ولا قوانين تحدد العقوبات على المفسدين والمخربين لذا كانت حياتهم فى منتهى الفوضى والاضطراب ، وكانت معيشتهم فى غاية السوء والبؤس ، حتى جاء الاسلام بتعاليمه السمحة ذات الأهداف الانسانية العليا ليغير هذا النظام الفوضوى ، بنظام يكفل للجميع الطمأنينة والاستقرار ، وليقضى بتعاليمه على تلك العادات الهمجية الموروثة ، فأمر الانسان أن يحرر عقله من عبادة مالا ينفع ولا يضر إلى عبادة الله المالك لكل شىء ، ودعا فيما دعا إلى نبذ العصبيات الجاهلية ، إذ قال على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » .

وبفضل الجهاد المتواصل الذى دام ثلاثة عشر عاماً لقى خلالها محمد عليه السلام كل ألوان التعذيب والاهانة ، تحولت تلك النفوس التى كانت تركع تحت ذل عبودية الجماد إلى نفوس لا تعرف إلا بعبادة خالصة لرب واحد هو الله ، وتحولت تلك القلوب الغليظة التى كانت تدفن البنات الطاهرات وهن أحياء خشية العار وتقتل الأولاد وهم كأنصع ما يكونون طهارة ونظافة خشية الفقر ، إلى قلوب رقيقة مؤمنة تخشى الله وتخافه ، وأصبح أولئك الرجال الذين لم يعرفوا سوى الحياة القاسية الخشنة ولم يفهموا من معناها سوى تتبع مواقع المطر ، وراء أغنامهم وإبلهم ، قادة للعالم واستطاعوا بإيمانهم وعن طريق التربية الروحية التى ملأ بها محمد عليه الصلاة والسلام نفوسهم ، أن يقوضوا عروشاً كانت قائمة على الجور واستعباد الضعيف ويقيموا على أنقاضهم حكماً جديداً يرتكز على قواعد متينة من العدل والمساواة بين كل الطبقات دون تفرقة أو تمييز ، وينشئوا تبعاً لذلك حضارة إنسانية عاش تحت ظلها كل من شرح الله صدره للاسلام آمناً مطمئناً واستطاعوا كذلك عن طريق عرض الاسلام فى صورة مشرقة تتمثل فى أعمالهم ومعاملتهم مع الآخرين فى كل البلاد التى فتحوها أن يدخلوا أهلها فى دين الله دون ضغط أو إكراه .

ومن هنا وعن طريق أولئك الذين صنعهم هذا الايمان الجديد ، غمر نور الاسلام السهل والجبل فتخطى حدود الجزيرة العربية ليعبر المحيطات حيث العالم فى المشرق والمغرب ، كما استطاعوا أيضاً أن يضعوا الأسس للحياة الجديدة ، بحيث يعيش المجتمع بعيداً عن الفوارق الطبقية ولينعم بلذة الأمن والاستقرار فى ظل عهد يغمره النور والخير وتتمثل فيه كل المعانى الانسانية الرفيعة التى لم يسبق للعالم أن رأى مثلها أو شاهد مثيلاً لها .

وهنا يجدر القول بأن الحياة العربية قد تغيرت معالمها ومفاهيمها تغييراً جذرياً وصارت الحياة البدوية السطحية إلى حياة متحضرة تزن الحياة بميزان العقل والمنطق وتضع الأمور حيث يجب أن تكون ،

ومن أجل هذا تسلموا زمام العالم واحتلوا مركز القيادة فيه فأصبح لهم شأن بعد أن لم يكن لهم ذكر ، وصاروا أئمة هدى ومصابيح علم .

وبهذا يتبين الفرق واضحاً بين العهدين ، عهد النور وعهد الظلام ، عهد العصبية وعهد التسامح ، عهد النظام وعهد الفوضى ، عهد الجاهلية وعهد الاسلام ..



الزكاة في الاسلام

فريضة الزكاة قديمة أوجبتها الديانات ، قبل أن يفرضها الاسلام ، جاء بذلك القرآن الكريم عند حديثه عن إسماعيل عليه السلام حينما قال : ﴿ واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ وعند حديثه أيضاً عن إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين ، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ .

ثم جاء الاسلام بعد ذلك ليقول على لسان رسوله عليه السلام : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه (يعنى) شدقيه فيقول : أنا كنزك .» .

والزكاة معناها النماء والطهارة ، نماء المال بسبب إخراج ما وجب فيه من زكاة وطهارة للنفس من غريزة البخل .

وهى ركن من أركان الاسلام وفريضة واجبة للفقراء فى أموال الأغنياء يجب دفعها لهم دون أن يكون لهم فى ذلك فضل أو معروف ، لأنها حق مفروض بنص شريعة الله .

ومن أجل هذا قاتل أبوبكر مانعيها ، وقال فيما قاله رضى الله عنه : والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ، وحينما قال له عمر رضى الله عنه معترضاً : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فمن قالها عصم منى ماله ودمه ، إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله » فقال له أبو بكر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال » من هنا يعترف عمر بأن أبا بكر على حق فيقول : « فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » .

ومن هذا يظهر إهتمام الاسلام المتزايد بشأن الزكاة التى هى عنصر هام من عناصر قوة المجتمع وتماسكه وتضامنه .

وتشريع الزكاة إنما كان من أجل تخفيف آلام الفقر عن النفوس المحرومة ، والارتفاع بمستوى حياة البائسين ، والمعوزين إلى ما يتفق وكرامة الانسان هذا من ناحية ومن جهة أخرى فإن تكديس الأموال لدى قلة من الناس ، وتمتعهم بنعيم الحياة ، إلى جانب كثرة تعانى الفقر والفاقة ، قد يؤول بالمجتمع إلى ايجاد طبقتين ، إحداهما تعيش فى الذروة من الترف ، والأخرى تقاسى مرارة الجوع ، ولوعة الحرمان ، وهذا ما يكرهه الاسلام ، يوضح هذا قول الرسول ﷺ : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برأت منهم ذمة الله » .

والأصناف التى تصرف لها هذه الزكاة ثمانية تفصيلهم كالآتى :

١ ــ **الفقـــــراء** : وهم الذين لا يجدون شيئاً من المال أو يجدون شيئاً مما هو ضرورى لحياتهم .
٢ ــ **المساكيـــن** : وهم أحسن حالاً من الفقراء إذ يوجد لديهم من المال ما يقوم ببعض شؤون حياتهم .
٣ ــ **العاملون عليها** : وهم جباتها فيعطون منها ولو كانوا فى غير حاجة ، لأن ما يأخذونه إنما هو فى مقابل عملهم .
٤ ــ **المؤلفة قلوبهم** : والسر فى إعطاء هؤلاء منها ترغيبهم فى الاسلام ، وإغراء غيرهم بالدخول فيه .
٥ ــ **وفـى الرقاب** : وهم الأرقاء المكاتبون ، لتخليص رقابهم من الرق ، ولينعموا بلذة الحرية .
٦ ــ **الغارمـــون** : وهم الذين استهلك الدين أموالهم فلم يبق لهم منها شىء .
٧ ــ **وفى سبيل الله** : وهو باب يتسع لكل ما يحقق مصلحة الأمة .
٨ ــ **ابن السبيـــل** : وهو المسافر المنقطع الذى لا يجد ما يوصله إلى بلده .

دليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ .

والأموال التى تخرج منها الزكاة ، هى الابل ، والبقر ، والغنم ، والحبوب ، والثمار ، والذهب ، والفضة ، وعروض التجارة .

ولا ريب أن الاسلام فى سياسته المالية ، وحينما فرض الزكاة ، وحدد مقدارها ، إنما قصد بذلك الحد الأدنى لما يجب إخراجه من المال كحق مفروض للمستحقين وإلا فهناك حقوق غير الزكاة المحدودة قال عنها رسول الله ﷺ : « إن فى المال **حقاً** سوى الزكاة » وهذا الحديث يضع بين أيدينا شيئين :

أحدهما : إن الزكاة ليست هى كل الحق الواجب إخراجه من الأموال .
وثانيهما : إن من حق الحاكم فى الدولة أن يأخذ من أموال الأغنياء ما يضمن مصلحة الأمة كلما **ألجأته** الضرورة إلى ذلك .

وعلى هذا وجه الاسلام إلى الصدقة والانفاق احتساباً لرضوان الله وجزائه واعتبر هذا العمل تجارة رابحة ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ .

والخلاصة من هذا كله أن المال مال الله ، والانسان خليفة الله فى هذا المال يوْجهه حيث تكون المصلحة وينفق منه حيث يجب الانفاق .



غزو الأفكار

صراع الاسلام مع أعدائه دائم ومستمر وسيظل ما بقى نزاع بين الحق والباطل والخير والشر ، والأعداء لهذا الدين قديماً وحديثاً يحاولون بوسائلهم المتعددة أن يطفئوا نوره ، لكن الله يأبى إلا أن يتم هذا النور ، رغم شراسة أعدائه ، وكيد الكائدين له ، وعلى مدى هذا الصراع المستمر عبر العصور المتتالية لم يستطع أولئك الأعداء انتزاعه من قلوب أتباعه ، أو طمس شيء من معالمه عن طريق الغزو العسكرى أو السياسى أو الاقتصادى .

وليس أدل على ذلك من أن دولاً إسلامية ظلت تحت حكم غير إسلامى عدداً كبيراً من السنين محافظة على إسلامها متحملة الحرمان من أبسط ملاذ الحياة ، وراضية بما ينالها من اهانة واحتقار كل ذلك من أجل تلك الرابطة التى تربط المسلم بربه ، وحينما وجد أعداء هذا الدين أن الغزو العسكرى وغيره لم يأت بالنتائج التى كانوا يتوقعونها وأهمها إخراج المسلمين عن إسلامهم لجأوا إلى طريقة جديدة هى غزو الأفكار عن طريق الثقافة والتعليم ، فأنشأوا لهذا الغرض المدارس والمعاهد والجامعات وسخروا كل وسائل الاعلام وألفوا من أجل ذلك الكتب الكبيرة والصغيرة ، ولا نستطيع أن ننكر أنهم نجحوا بعض الشيء فى التأثير على بعض الأفكار الجاهلة بالاسلام ، واستطاعوا عن طريق التربية والتعليم أن يوجدوا لهم ركائز من أبناء المسلمين فى البلاد الاسلامية ينشرون آراءهم ويبثون أفكارهم فى المجتمعات الاسلامية غير أن هذه أيضاً لم تستطع الوصول إلى الهدف الذى يريدونه ، وهو القضاء على الاسلام ، فالآراء التى يطرحونها تقابل بالرفض والاستنكار ، والأفكار التى يبثونها تعارض بالنقض وعدم الاهتمام ، اللهم إلا من الجاهل بالاسلام وتعاليمه لكن نجاحهم فى استمالة بعض الجهال يعطينا الدليل المادى بأن غزو الأفكار قد حقق مالم يستطع الغزو العسكرى وغيره تحقيقه ، ومن هنا نستطيع القول : إن الغزو الفكرى أخطر أنواع الغزو ذلك أن السيطرة على الأفكار والاستيلاء على العقول أمر لا يمكن التخلص منه بسهولة ، بينما التخلص من الاستيلاء على الأرض أمر ممكن وبوسائل متنوعة ، وبطرق أسهل بكثير من طرق التخلص من الغزو الفكرى .

والغزو الفكرى الخطر هذا يبدأ عمله بحملات من التشكيك وبلبلة الأفكار من أجل خلخلة عقيدة المسلم وتركه بلا عقيدة لأنه دون هذا لن يجد هذا الغزو الماكر الطريق إلى قلبه لذا اهتم دعاة الشيوعية والنصرانية وغيرهم من دعاة الهدم بهذا الجانب ، جانب خلخلة عقيدة المسلم التى هى بمثابة حجر الزاوية بالنسبة لثباته على عقيدته الالهية فركزوا عليها تركيزاً مخططاً ومدروساً وجندوا لها كل وسائلهم المغرية وما زالوا وسيظلون يلاحقون هذا المسلم فى عقيدته من غير كلل ولا ملل إلى أن يقع فى شراكهم ، أو تنجو به عقيدته إن كانت عميقة الجذور صلبة البناء .

وأمام هذا الغزو الخطير ليس أمام دعاة الاسلام سوى الوقوف أمامه وجهاً لوجه بالتخطيط المدروس والعمل الجاد ، واستخدام كل الوسائل العلمية الشريفة والنزيهة ومعرفة مخططاته التى يسير عليها للقيام بعمل مضاد يحول بينها وبين النجاح .

وأهم من هذا كله إسلامية المناهج فى جميع بلدان المسلمين ، وهذا وحده كفيل بإعطاء الحصانة للمسلم من التأثر بأى عقيدة تخالف عقيدة الاسلام ، ومع هذا لابد من إدراك حقيقة واحدة وهى أننا حينما نعقد العزم بجد وإخلاص لمواجهة هذا الغزو الذى يهددنا من الداخل والخارج ، لابد من تهيأة الوسائل التى تتطلبها المواجهة وفى مقدمتها المال ، الذى دونه لا يتحقق النجاح لأى عمل من الأعمال بما فى ذلك العمل فى مجال الدعوة إلى الله ، وإذاً لابد أن يوضع عند التخطيط للدعوة من المال ما يكفل لها التحرك المستمر ، كما أن عدم إدخال أبناء المسلمين وبناتهم فى مدارس يشرف عليها غير المسلمين من أقوى الأسباب فى حماية الأفكار من هذا الغزو المدمر .

ولقد يسىء بعض المسلمين إلى الاسلام إساءة بالغة حينما يدخلون أبناءهم إلى مدارس غير إسلامية ، لأن هذا معناه تشجيع هذا الغزو الذى الهدف الأول منه القضاء على الاسلام ، ومن هنا كان واجباً على كل مسلم أن يحارب هذا الغزو بكل ما يستطيع من وسائل وفى مقدمتها عدم السماح لأصحاب الأديان الأخرى من إقامة مدارس فى البلدان الاسلامية وإبعاد الأبناء المسلمين عن هذه المدارس إن وجدت ، فهى فى ظاهرها الرحمة وفى باطنها السم القاتل ..

وصلاة الله وسلامه على من قال : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ..



الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء عليهم السلام بعثوا من أجلها وبذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل انتشارها ، فآمن من شرح الله صدره للايمان وعاند من سبقت له الارادة بالشقاء ، وتحمل أصحاب هذه الدعوة من الناس ألواناً من العذاب ، وأنوعاً من السخرية اللاذعة والاستهجان المرير ، فما زادهم ذلك إلا قوة فى إيمانهم ومضاءً فى عزيمتهم ، وتفانياً فى نشر دعوتهم حتى بلغوا رسالة الله ، وبصروا الناس بدين الله صابرين محتسبين ، ولولا هذه الدعوة التى يقوم بها الأنبياء وأتباعهم فى كل وقت ما انتشرت دعوة الله فى الأرض ، ولو قدر لأى مبدأ ما أن ينتشر بنفسه — دون دعوة إليه — لما كان غير الاسلام لأنه الذى يتفق وفطرة الانسان ، غير أن ذلك لم يكن بعد جهاد محمد عليه الصلاة والسلام الذى بدأ بإعلانه من على الصفا منادياً : واصباحاه ،فاجتمع إليه الناس من كل مكان فى مكة ليسمعوا ما يقول فقال عليه السلام : أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقيِّ قالوا : نعم .. قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ وهكذا يتلقى محمد هذه الكلمة الساخرة اللاذعة وفى قلبه إيمان يزن العالم كله ، وفى نفسه أمل قوى بأن هذه الكلمة من عمه لن تقف فى طريق دعوته ، أو تقلل من عزيمته ، وتتابعت الاهانات من أقرب الناس إليه ، وتزداد مضايقاتهم له ، ويمضى فى طريقه صابراً محتسباً متجهاً صوب ثقيف بالطائف وفى قلبه بقية من أمل فيعرض عليهم دعوته فيردون عليه رداً شنيعاً ، وزادوا على ذلك أن أغروا به سفهاءهم وغلمانهم يقفون فى وجهه ويرمونه بالحجارة حتى سالت الدماء من عقبه ، وفى وقت من الاعياء والتعب يجلس عليه السلام تحت شجرة ليستريح مردداً دعاءه المعروف : اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالى ويتقبل محمد عليه الصلاة والسلام كل هذا التعذيب وتلك السخرية بنفس راضية من أجل هداية الناس للخير وتبليغهم رسالة الله حتى رسم الطريق واضحاً كالشمس ، وعلم الناس ما أمره الله أن يبلغه لهم ، وسلم الرسول ﷺ الدعوة من بعده أمانة فى عنق كل فرد من أفراد المسلمين ، وهى بلا شك مهمة صعبة تفرض الشيء الكثير من الصبر والتحمل ، وهذه الدعوة واجبة على كل فرد من أفراد المسلمين إلا أنها على العلماء أكثر وجوباً من غيرهم لأن العلماء ورثة الأنبياء — كما تجب على طالب العلم وعلى

التاجر فى مكان تجارته والصانع بين آلات صناعته والموظف فى مقر عمله ، وكما تكون عادة فى المساجد والنوادى العامة ، تكون كذلك فى البيت وفى الشارع والمقهى وحتى فى الملاجىء والمستشفيات وثكنات الجيش .

إذاً فالدعوة ضرورة من ضرورات الحياة ولن يوجد المجتمع إلا حيث توجد هذه الدعوة التى تهذب النفوس وتخلصها من عوامل الشر والفساد ، وهى تجارة وجهاد فى سبيل توجيه النفوس إلى الخير والفضيلة وقد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾ .

وبسبب ركود الدعوة الاسلامية استطاع أعداء الاسلام أن يوجدوا من أبناء الاسلام وممن ينتمى إليه من يقوم بمحاربته ، ويدعو إلى رفض تعاليمه ، حتى أصبح التمسك بأهداب الفضيلة فى نظر الكثير من أبناء المسلمين نوعاً من الجمود والرجعية وضرباً من ضروب الهوس ، إنها حقيقة مرة وإنه إذا لم تقم دعاية واسعة النطاق تحارب هذه الظاهرة المؤلمة ، فإن الاسلام ولا ريب فى خطر من أبنائه الجاهلين به ، وأعدائه المتربصين به .

إن العالم الاسلامى الآن بالذات فى حاجة إلى دعوة وإلى توجيه ، لأن بعضه يجهل الاسلام وإن كان ينتسب إليه ، والبعض الآخر قد أساء فهمه ، والقليل النادر من فهمه فهماً صحيحاً وآمن به وهذه الدعوة التى نتحدث عنها لابد لها من رجال مسلحين بسلاح العلم الصحيح ، ولهم اطلاع واسع وتفكير مستقيم ، حتى يتمكنوا بما أوتوا من فهم وإدراك أن يوصلوها إلى قلوب الناس بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر بذلك القرآن الكريم : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ .

فالنقاش الهادىء والدعوة إلى الله بالرفق واللين هما الوسيلة المفيدة لهداية النفوس وتوجيهها إلى طريق الخير ، لهذا فإنه ينبغى لمن يدعو إلى الله أن يكون حليماً حتى لا ينفر مما يدعو إليه وأن يكون عالماً بما يدعو إليه حتى لا يحلل أمراً حرمه الله أويحرم شيئاً أباحه الله .

ولنعلم أن الانسان دائماً عرضة للأخطاء والهفوات ، وأن الاسلام دين سماحة ويسر يقول رسول الله ﷺ « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرونه فيغفر لهم » فالتوجيه الحكيم كفيل بجلب القلوب إلى قافلة الخير ومسيرة النور ..

الحضارة العوراء

الحضارة التى نسميها عوراء ، هى التى تجعل الانسان لا ينظر إلى الحياة إلا من خلال عين واحدة فقط ، وهذا الوصف ينطبق تماماً على ما يسمى فى عصرنا بالحضارة الغربية تلك التى لا تسمح للانسان أن ينظر إلى هذه الدنيا إلا من خلال النظرة المادية الصرفة مما جعل المجتمع الغربى رغم ما لديه من توفر أسباب الرفاهية يعيش فى قلق دائم ، شأنه فى ذلك شأن المجتمع الشيوعى الذى هو الآخر يعيش فى فراغ مزعج ، وإن كان المجتمع الغربى أساساً يختلف عن المجتمع الشيوعى ، بسبب الفارق الكبير بين المجتمعين فذاك مجتمع له عقيدة تربطه بدين معين ، وهذا مجتمع لا يؤمن بدين من الأديان ، وليس له من عقيدة تربطه بإله لكن وبعد الثورة الصناعية كما يسمونها ، وابتعاد المسيحيين عن جوهر الديانة المسيحية التقى المجتمع المسيحى مع المجتمع الشيوعى فى النظرة المادية للحياة ، وأصبح تأثير الديانة المسيحية محدوداً داخل جدران الكنيسة ، مما أفقد المجتمع المسيحى الكثير من المثل والقيم الانسانية التى كان شديد التمسك بها (وإذا قلت المجتمع المسيحى فإنما أقصد الغالبية منه) وكان من نتيجة ذلك التفكك الأسرى ، إلى درجة فقد معها الوالدان الاحترام من الأولاد ، وسمح الوالدان لبناتهم إذا بلغت الواحدة منهن سناً معيناً بالانفصال عن العائلة للبحث عن عمل تعيش منه دون وضع للاعتبار فيما قد يصادفها من مشاكل خلقية أو غيرها ، بل كثير من الأسر تعتبر البنت فى حالة فشل ، إذا لم تستطع الحصول على شاب تكون صديقه له ، هذا إلى جانب الانطلاق فى طريق الشهوة الفاجرة باسم الحرية المطلقة التى أفسدت كل شىء فى حياة المجتمعات البشرية ، والتى كان من آثارها سن قوانين ونظم تبيح للفرد أشياء هى فى واقع الأمر ضارة بالفرد والمجتمع معاً وأبسط مثال على ذلك القانون الانجليزى الذى يبيح ممارسة العملية الجنسية بين الذكور بعضهم البعض ، باسم الحرية الشخصية ، ثم ما تبع ذلك فى بلاد الشرق والغرب من إباحية لا حدود لها تحت سمع وبصر القوانين فى تلك المجتمعات ، التى ترى أن هذه الحرية غير المحدودة من متطلبات الحضارة المعاصرة ، تلك التى جرت الانسان إلى مشاكل ، أصبح معها فى غير مقدور الاخصائيين الاجتماعيين لديهم الوصول إلى حلول لها ، وما تزال مشاكل الحياة عندهم تزداد سوءاً بسبب سيطرة النظرة المادية على عقولهم ، وما تزال تلك

المجتمعات التى استباحت لنفسها كل شيء بما فى ذلك تبادل الزوجات برضا كل من الزوجين تسير فى طريق الهاوية ، هذا من الناحية الاجتماعية ، أما من ناحية الجانب الانسانى ، فلأن هذه الحضارة وهى لا تنظر إلى الحياة إلا من زاوية واحدة هى النظرة المادية ، فإنها رغم ما تقدمه للبشرية من وسائل الراحة وتسهيل سبل العيش ، وتوفير أسباب العلاج ، وغير ذلك من أسباب الرفاهية ، قد أوغلت فى سباق التسلح ، وتفننت فى وسائل الدمار ووجهت الكثير من المال إلى المصانع الحربية التى تنتج الهلاك للحرث والنسل وتقضى على سعادة الناس وأمنهم واستقرارهم ، إذاً فحسنات هذه الحضارة لا تقابل سيئاتها ، ومنافعها ليست على قدر مضارها ، فقنبلة واحدة تقضى على مدينة كاملة بجميع سكانها فى ثوان معدودة ، وصاروخ واحد يكفى لهدم مستشفى على من فيه من مرضى ، وهكذا تتجه هذه الحضارة إلى خراب العالم وتدميره مادياً وخلقياً ، لأن أولئك الرجال الذين يقضون الساعات الطوال داخل مصانع الدمار ، هم بدورهم لا ينظرون إلى الحياة إلا من خلال النظرة المادية الخالية من معانى الرحمة والحب والحنان ، وإلا لما كان هذا النهم المسعور على التفنن فى اختراع الوسائل التى لا هدف لها سوى تعذيب الانسان ، والعمل على هدم سعادته من أجل السيطرة عليه واحتلال أرضه واستعباده ،وكم كان خيراً للبشرية لو كان فى هذه الحضارة نظرة إلى الله لتتجه نحو سعادة الانسان ، بدلاً من البحث عن شقائه وهلاكه ، وكم يكون حسناً لو أن هذه الأموال التى تبذل للسباق فى التسلح ، أنقذت بها أرواح مئات الألوف ممن يموتون جوعاً من أبناء هذا المجتمع البشرى تحت سمع وبصر العالم كله ، وسخرت لخدمة الانسان فى كل ما فيه خيره وسعادته .

لكن العقول والأفكار كغيرها سلاح ذو حدين ، إن وجهت للخير أنتجت خيراً ، وإن وجهت للشر كان نتاجها شراً وبلاء ، والخط الذى تسير فيه الحضارة الغربية والشرقية معاً ، لا يحقق للانسان السعادة ، بقدر ما يعرضه للهلاك والشقاء ، فاللهم نعوذ بك من حضارة تهدد العالم بالخراب والدمار ، وتعرض حياة الانسان للتعاسة والشقاء .



التضليل المقصود

قرأت منذ أيام فى بعض صحفنا اليومية مقالاً بعنوان أزمة المثقفين المسلمين ، لفت نظرى فى هذا المقال ما ذكر فيه من أن بعض المستشرقين الغربيين يرون أن الاسلام هو ما عليه الناس من هذا الزمان بمعنى أنه يجب أن يحكم على الاسلام من خلال أعمال المسلمين فى هذا العصر ، وهذا الرأى أو هذه النظرية كما يسميها صاحبها ما هى إلا غمزة من غمزات المستشرقين من أجل محاربة الاسلام وتشويه معالمه والتنفير منه .

وحقد هؤلاء المستشرقين على الاسلام ومحاولة طمس معالمه يحملهم على أن يقولوا الكثير والكثير مما يؤثر على عقول البسطاء من الناس ، ولقد فعلوا الكثير ، وما زالوا يخططون ويعملون للمستقبل القريب والبعيد ، وما تلك المدارس والمستشفيات والمراكز الثقافية التى يقيمونها فى البلدان الاسلامية إلا جزء من ذلك المخطط القائم على الدراسات النفسية وغيرها ، ورأيى فى هذه النظرية أنها خاطئة لا تمت إلى الواقع بصلة ، لسبب واحد وهو أن الاسلام شىء والمسلمون وواقعهم الآن شىء آخر ، كما أن النصرانية شىء والنصارى الآن شىء آخر ، بدليل أن تعاليم الديانة النصرانية تقول : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر .

والنصارى يقيمون المذابح للآلاف من البشر فى كل مكان لا يخضع لرغباتهم ، فأين هم من الديانة التى تأمرهم بالحب والعفو والتسامح مع الناس ؟ لماذا لا ينتقدون أنفسهم قبل أن ينتقدوا الآخرين ؟ ولماذا لا يصلحون أنفسهم قبل أن يبحثوا عن عيوب غيرهم ؟ ثم لماذا يحمّلون الاسلام أخطاء المسلمين ولا يحمّلون المسيحية أخطاء المسيحيين ؟ منطق فى غاية الاعوجاج أن يحمّلوا الاسلام تبعة تأخر المسلمين اقتصادياً وصناعياً ، وأن يوهموا الآخرين بأن المسيحية هى سبب التقدم الصناعى والاقتصادى للمسيحيين ، واعوجاج هذا المنطق يكون واضحاً إذا علمنا أن تعاليم المسيحية تقوم على التبتل والعبادة ، والبعد عن زخارف الحياة ، وتعاليم الاسلام تقوم على دعوة الانسان المسلم إلى العمل والابتكار والاختراع .. إلى جانب الايمان والعبادة والتفكير فيما خلق الله ، وليكون رأيى فى هذا الموضوع أكثر وضوحاً فى أن الاسلام شىء وواقع المسلمين شىء آخر ، أقول إن كثيراً من المسلمين

اليوم لا نصيب لهم من الاسلام إلا مجرد انتسابهم إليه فقد أمرهم بالتمسك بالعقيدة الصافية التى تربطهم بالله ، فتركوها إلى عقائد ليست من عند الله ولا من صنع الله ، وألزمهم بالتحاكم فى شؤون حياتهم الخاصة والعامة إلى كتاب الله الخالد وسنة رسوله الباقية فانحرفوا بأنفسهم إلى نظم وقوانين وضعها لهم أعداؤهم وأعداء دينهم ، وحرم عليهم الكذب والغش والخديعة والخيانة ، وحذرهم من الوقوع فى الربا والزنا وشرب الخمر ، ولكنهم خالفوا فى ذلك كله أمر الله ، فكيف يقال بعد ذلك بأن المسلمين بواقعهم هذا يمثلون الاسلام الصحيح ؟

الحقيقة التى يجب أن يفهمها كل أحد هى أن غالبية المسلمين فى هذا العصر تدعى الاسلام وهى بعيدة كل البعد عن تعاليمه ، وأن القائلين من النصارى وغيرهم بأن الاسلام هو ما يمثله واقع المسلمين اليوم قول لا نصيب له من الحقيقة ، ولا هدف له سوى التضليل وطمس الحقائق وإنكار الواقع ، وإلا فالمستشرقون أنفسهم يعرفون تمام المعرفة الكثير عن الاسلام وتعاليمه ولكن حقدهم المستمر على هذا الاسلام وأهله يدفعهم فى عناد على ألا يقولوا الحقيقة التى يعرفونها ، كما ذكر الله سبحانه عنهم ذلك بقوله تعالى : ﴿ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾ .

وإذا كان المستشرقون وأعداء الاسلام فى كل مكان يقومون باستمرار بترويج مثل هذه الآراء التى يستقونها من واقع حياة المسلمين للطعن فى الاسلام فإن على المسلمين أنفسهم أن يعودوا إلى الله من جديد لكى يعطوا الصورة المشرقة لحقيقة هذا الدين ، حتى لا يجد أعداء الاسلام مطعناً عليه من واقع حياتهم ، وإلا فإنهم بهذا يساهمون مساهمة فعالة فى كل ما يقوم به أعداء الاسلام ، من الصاق التهم الذى هو برىء منها ، براءة المسيحية من الأمر بعبادة المسيح .



رسالة الله للعالم

القرآن الكريم رسالة الله الخالدة الباقية ، وآيته الباهرة المحيرة ، أعجز الفصحاء ببلاغته وبيانه ، وقطع ألسنة المعاندين بأسراره وحكمه ، كتاب أحكم الله آياته وأكمل أحكامه وتعليماته ورسم به للناس الطرق ، التى تكفل لهم السعادة ، وتحدى العالم أن يأتوا بشيء من مثله ، فهو الكتاب الذى لا تنال سعادة دائمة إلا به ولا يرجى خير وتقدم إلا باتباع مبادئه والسير وفق تعاليمه ، إنه كتاب فى قراءته لذة ومتعة لقلوب المؤمنين ، وفى التفكر فى معانيه إنارة لنفوس التائهين **والمتخبطين ، فيه من أنباء** الأولين ما به العظة والاعتبار ، ومن أخبار المقبلين مالا يحتاج إلى مزيد أو بيان .

لنستمع إلى أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون فتنة ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

وإن مما ينذر بخطر كبير انصراف بعض الناس عن قراءة هذه الرسالة الالهية إلى قراءة أوراد خرافية تنبذها طبيعة الاسلام أو كتب ومجلات ألفت لا لتنير القلوب والبصائر أو توسع العقول والمدارك ، وإنما لتثير الغرائز الكامنة فى النفوس وتقضى على البقية الباقية من المعانى الروحية الكريمة ، ولاشك أن لهذا الاتجاه ماله من عواقب مؤلمة وخطر كبير ، لاعلى نفسية الشاب فحسب بل وعلى المجتمع كله رجاله ونسائه .

إن هذا القرآن الذى غرس الايمان فى قلب المسلم الأول مازال على ماهو عليه لم يتغير ولم يتبدل ، ولن تمتد إليه يد التغيير أوالتبديل مادام أن الله قد ضمن له الحفظ والبقاء ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ولكن شيئاً واحداً قد حدث ، ذلك هو التقصير فى العمل بما فى هذا الكتاب وما جاء به من تعاليم، لقدأفهم هذا القرآن الناس أن العبادة لا تصلح إلا لواحد وهو الله ، فكسروا الأصنام التى كانوا يعبدونها ، وبين لهم مبدأ المساواة بين الناس فقضوا على تلك العادات التى ألفوها ، وحرم عليهم الخبائث ما خفى منها وما ظهر فاجتنبوها ، وما زال هذا القرآن يصقل نفوس المؤمنين به ويهذب أرواحهم حتى استهانوا بالزخارف الفانية ، والمظاهر الفارغة ، وآمنوا بأنه لا قيمة لحياة نهايتها الفناء والزوال ، بل لقد هان عندهم كل شىء فى الوجود إلا ما له صلة بالله وما يقربهم من رضاه حتى ولو كان من أعز الأشياء على النفوس .

ولنستمع إلى هذا المثال من بين تلك الأمثلة الكثيرة التى تبين مدى ما بلغته التربية القرآنية فى نفوس المسلمين يروى ابن جرير بسنده عن زيد قال : دعا رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد الله ابن أبي ــ قال : ألا ترى ما يقول أبوك ؟ قال : ما يقول أبى . . بأبي أنت وأمى ؟ . قال : يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ــ فقال : صدق والله يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل ، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر منى ، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتيهما به ــ فقال رسول الله ﷺ : لا .. لما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي ــ على باب أبيه بالسيف وقال له : أنت القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ــ أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله والله لا يأويك ظله ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله .

فقال : يا للخزرج ابنى يمنعنى من بيتى ، فقال : والله لا يأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله فأتوا النبى ﷺ ، فأخبروه فقال : اذهبوا إليه فقولوا له:خله ومسكنه .. فآتوه فقال : أما إذا جاء أمر رسول الله فنعم . ألا ما أروعه من مثل ، وما أعظمها من نفوس آمنت فصدقت فى إيمانها ، وفهمت كتاب الله فنجحت فى كل ميدان ، وفازت بكل سعادة وخير بينما فقدنا نحن هذا الايمان الصادق حتى أصبحنا كما قال الرسول عليه السلام : « غثاء كغثاء السيل » .

ولذا فإن المسلمين وفى هذا الوقت بالذات بين أمرين لا ثالث لهما إما أن يعملوا بالقرآن ويسيروا على تعاليمه فيعود للاسلام مجده وتعود للمسلمين عزتهم ، وإما أن يهملوا العمل به فتزداد الحال سوءاً ويفقدوا كل سعادة وخير ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

تعليم المرأة

من المسلم به بداهة أن العلم ضرورى للانسان كالهواء ، وكالماء ، وأنه لولا العلم ما كانت حياة الانسان لتختلف عن حياة الحيوانات التى تأكل وتشرب ولا شىء غير ذلك ، ومكانة المتعلم فى دنيا البشر أرفع وأفضل من مكانة الجاهل ، لأن العلم نور والجهل ظلمة ، وفرق بين النور والظلمة ، والمتعلم إنسان منتج يتفاعل مع الحياة ويعمل لاسعاد أخيه الانسان والجاهل دائماً عبء على كاهل المجتمع ، وما من أمة منحها الله شيئاً من علمه إلا كانت أكثر رخاء ، وأنعم حياة من أمة تعيش فى ظلام من الجهل .

والاسلام حينما خلق الانسان علمه البيان ، وعندما فرض عليه تبعات فى الحياة أمره أن يتعلم ليستنير قلبه وليعرف واجبه نحو خالقه والمجتمع الذى يعيش فيه ، ولقد قال نبينا عليه السلام فى حديث من أحاديثه الصحيحة : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وهو بهذا الحديث يقطع الطريق على الذين يحرمون العلم على المرأة ويحاولون أن يحجبوا عنها نور المعرفة ليتركوها تعيش بعيدة حتى عن فهم دينها الذى فرضه الله عليها لا تدرى بماذا أمرت ولا عن أى شىء نهيت ؟ ونحن حينما نقرر هذه الحقيقة الثابتة لموقف الاسلام من تعليم المرأة إنما نفعل ذلك لنرتفع بعقلها ، وفكرها ووجدانها إلى حيث أراد لها الاسلام أن تكون .

وإذا عرفنا أن المرأة تحتاج إلى العلم كما يحتاج إليه الرجل ، وأنها مكلفة بتبعات فى الحياة وأن لها حقوقاً وعليها واجبات كما للرجل حقوق وعليه واجبات سواء بسواء ، وأن لها نفس الثواب وعليها نفس العقاب كالرجل تماماً إذا عرفنا هذا أصبحنا واثقين كل الثقة بأن تعليم المرأة أمر فرضه الاسلام عليها ، كما فرضه على الرجال لذا فمن المنطق غير المقبول أن يحرم نصف الأمة من التعليم إما بسبب الجهل لموقف الاسلام من هذه المسألة أو كما يقال فى بعض الأحيان الخوف على كرامة المرأة وكأن العلم فى نظر هؤلاء مفسد لأخلاق المرأة ، غير أن الحقيقة التى لا يمكن تجاهلها هى أن العلم للمرأة زينة وجمال وحلية وكمال ، وأنه يجعل منها جوهرة مضيئة ويغرس فى نفسها كل معانى الخير والصلاح فإذا ما انحرفت عن الطريق المهذب وحاولت أن تخرج عن طبيعتها كأنثى ، وتتمرد على الآداب المتعارف عليها فليس لأن

العلم قد وجهها هذه الوجهة المنحرفة وإنما هى وبمحض اختيارها اختارت هذا اللون من الحياة كالمرأة الجاهلة مثلاً حينما تنحرف بها الطريق إلى مالا يتفق مع الكرامة والشرف ، وكالرجل المتعلم الذى ينحرف عن الطريق المستقيم إلى غيره ، وإذا أردنا أن نبحث عن الأسباب التى قد تغير كثيراً من سلوك المرأة بعد أن تتعلم نجدها تنحصر فيما يبدو فى أربعة أمور هى :

١ ــ محاولة محاكاة الآخرين ولو كان على حساب المبادىء والأخلاق .
٢ ــ انعدام التربية البيتية القائمة على التوجيه الحكيم .
٣ ــ تأثير المجتمع الذى تعيش فيه .
٤ ــ عدم تفهم المرأة للاسلام على حقيقته لتحمى عقيدتها من الزيغ .

ولهذه الأسباب فإن المرأة لو تركت المحاكاة والتقليد الأعمى ولو كانت التربية فى البيت تربية دينية والمجتمع الذى تعيش فيه مجتمعاً فاضلاً ولو فهمت دينها فهماً سليماً لما تطرفت فى سلوكها ، ولكانت فى منتهى الحشمة والاحترام ، وعلى هذا فالعلم ليس هو السبب فى انحراف المرأة لذا فإن عليها وهى مكلفة بأوامر ونواه كالرجل أن تتعلم وأن تأخذ بقدر كبير من الثقافة لتعرف كيف تتوجه إلى الله فى عبادتها ، وكيف تفهم واجبها نحو نفسها ونحو الآخرين ، وهى كزوجة يجب عليها أن تتعلم لتعرف كيف تعامل زوجها ، وتنظم شؤون بيتها ، وكأم يلزمها أن تتعلم لتعرف كيف تربى أطفالها تربية صالحة ثم هى كعضو فى المجتمع يتحتم عليها أن تتعلم لتساهم فى بناء المجتمع الذى تعيش فيه فيما يتفق مع طبيعتها .

ونحن هنا وفى سبيل توضيح موقف الاسلام من تعليم المرأة نريدها أن تكون إنسانة طاهرة النفس نزيهة العرض مستنيرة العقل ، توجه وتعالج وتربى وترشد ، نريدها مسلمة كما يريد لها الاسلام عزيزة منيعة الجانب نظيفة العرض ، ونريد لها أيضاً أن تكون عضواً منتجاً ونافعاً فى كل عمل لا يتعارض مع طبيعتها كامرأة ولا مع شرفها كمسلمة ، لكننا لا نريدها أن تكون قاضية أو محامية ، ولا نريد لها أن تخرج على طبيعتها فتختلط بمن تشاء من كل الطبقات فى الأندية والمجتمعات العامة سافرة عارية كما تفعل ذلك المرأة فى البلاد الأخرى فتفقد بذلك مكانتها وتصبح تسلية تتقاذفها الأمواج وتتجاذبها النزعات المختلفة فتهون على نفسها وحتى على الذين أرادوا لها أن تكون أداة تسلية لهم ، وطبيعى أيضاً أننا لا نريد لها أن تنزل إلى المستوى الذى وصلت إليه المرأة فى كثير من البلاد الاسلامية بل نريدها إنسانة فاضلة تجمع بين فضيلة العلم وجمال الاحتشام لتكون الصورة الحية للمسلمة الملتزمة بإسلامها ، وليس من سبيل إلى ذلك سوى العلم القائم على الفهم والمعرفة والادراك ، فإذا فهمت المرأة دينها على حقيقته وعرفت كيف تواجه مشاكل المجتمع وأدركت فى عمق مضار التقليد الأعمى استطاعت أن تسير فى الطريق الصحيح عزيزة محترمة .

وبعد .. فلم يأت فى شريعة الله ما يوحى من قريب أو بعيد بترك المرأة جاهلة لا تعرف شيئاً من العلم وإذا كان العامل الوحيد فى معارضة تعلم المرأة هو الخوف عليها من الانحراف فإننا نكرر القول بأن

العلم مهذب وليس بمخرب وأنه مصلح وليس بمفسد وأن ما طرأ على سلوك المرأة فى هذا العصر فى كثير من البلدان إنما هو بسبب عوامل لا صلة لها بالعلم وإذا كان هناك من لا يزال يؤمن بمثل هذه الأفكار فليقل لنا بالدليل من دين الله : إن العلم يوجه المرأة إلى أن تتنكر لطبيعتها كأنثى أو يدفع بها إلى المجتمع متجردة من ثياب الحياء والحشمة أو يفرض عليها الاختلاط بالرجال فى المنتزهات والنوادى ودور اللهو أو لنقل له نحن :

إن العلم يعد المرأة لتكون إنسانة فاضلة نزيهة محتشمة تعرف الله عن علم وتعرف واجبها عن اقتناع وتؤمن فى يقين بأن قيمتها فى المجتمع تتوقف إلى حد كبير على ما تتمتع به من سمعة حسنة وسلوك مستقيم .. وهذا ما يريده لها الاسلام .



حديث العيد

أخى المسلم فى كل مكان من الأرض ، وقد ودعنا بقلوب مؤمنة شهراً أراد الله أن يكون أفضل الشهور ، وأياماً كان فيها لكل منا لقاء مع ربه ، اعترف فيها دون تردد بهفواته ، وطلب منه الصفح عن أخطائه وسيئاته وما كان الله ليرد عبده كسير القلب خائب الأمل حين يتوجه إليه تائباً صادقاً ، وقد فتح لعباده باب الرحمة ، حيث قال فى محكم التنزيل : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ ، لقد كانت أيام رمضان كلّها عامرة بالتنافس فى الخير ، كانت الدعوات الخاشعة المخلصة تصعد إلى الله طالبة منه التجاوز عن الهفوات ، وتقبل الدعوات ، وكانت النفوس بعد هذه اللقاءات الربانية ، تتطلع إلى رحمات الله تنزل شفاء لقلوب المذنبين ، وخيراً وعطاءً على نفوس الصالحين ، وتنتظر استجابة الدعاء ،من إله يقبل الدعاء ، حتى إذا ما تنفس فجر العيد واتجه المسلمون إلى أمكنة صلاتهم فى ابتهال وخشوع وقد هبت على قلوبهم نسمة من نفحات الله استشعروا معها أن الله قد تقبل دعاءهم ، وعفا عن هفواتهم ، قاموا يتبادلون التهانى استبشاراً بعفو الله ، وإظهاراً لانتصارهم على رغبات النفس ، فى معركة دامت شهراً كاملاً بين مطالب الروح ، ومطالب الجسد ، مثلما يفعل ذلك الجيش المنتصر فى ميدان المعركة .

وفى هذا اليوم المشرق من أيام الله ، وقد ارتوت النفوس من معين الايمان ، واستنارت بنور المعرفة ، والمسلمون كل المسلمين فى جميع أنحاء الدنيا يتبادلون الزيارات ، لتجديد العهد وتأكيد الروابط إنما يؤكدون بذلك أنهم أمة واحدة يعبدون رباً واحداً ، ويسيرون على نهج نبى واحد ، ويتجهون نحو قبلة واحدة ، كما يحققون بذلك معنى الأخوة الصادقة القائمة على العقيدة ، بأن المسلم أخو المسلم فى السراء والضراء ، فى الآلام والآمال ، فى التعاون على البر والتقوى ، وفى محاربة الالحاد والانحلال ، وفى هذا الترابط الأخوى ، ضمان لحماية الأمة من الأفكار المنحرفة عن طريق الله ، ووقاية من التأثر بآراء ونظريات جلبت على أهلها الكثير من الخراب والدمار ، وهذا هو معنى الأخوة التى ذكرها الله فى كتابه العزيز حين قال : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ يعنى إخوة فى كل ما فيه سعادة المجتمع ، إخوة فى السلم والحرب ومواجهة الأعداء ، إخوة فى اجتماع الكلمة وتوحيد الهدف وإصلاح النفوس ، إخوة فى محاربة الفساد وأسباب التخلف ، إخوة فى مساعدات البائسين والتخفيف عن آلام المنكوبين والمحرومين .

إننا ونحن نعيش هذه الأيام الخالدة من أيام الله ، لابد وأن نتذكر إخوة لنا يعيشون فى العراء لا مأوى لهم ولا مسكن وآخرون يعانون الاضطهاد وأنواع التعذيب ، لا لشىء إلا أنهم مسلمون ، يدافعون عن أرضهم وعقيدتهم ، لكن الأعداء لا يعجبهم أن يبقى مسلم على إسلامه ، لذا فهم فى تربص دائم ومحاولات مستمرة ، لهدم عقيدتنا ، وإفساد أخلاقنا والقضاء على ديننا ، وأنا لا أخاف على الاسلام من أعدائه ، لأنه دين الله ، والله حافظه ولن يستطيع أحد أن يطفىء نوره ، وسيبقى خالداً ما بقيت حياة على الأرض ، لكنى أخاف على المسلمين وقد تفرقوا شيعاً وأحزاباً واعتنقوا مذاهب ومعتقدات تخالف تعاليم شريعة الله أن يتآمر عليهم الأعداء بسبب بعدهم عن الله فيسومونهم سوء العذاب ، يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم تأكيداً لما أخبر به الرسول عليه السلام فى الحديث الوارد عنه ، حين قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها قالوا : أعن قلة منا يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب غيركم فتوضع فى قلوبكم » ولقد حدث ما أخبر به عليه السلام فقد إتفق الأعداء فى كل مكان فى المشرق وفى المغرب على إضعاف المسلمين بالتآمر على إحتلال أرضهم وانتزاع عقيدتهم ... ودهورت أخلاقهم ، وتفريق كلمتهم ، ولقد نجحوا فى الكثير مما أرادوا بسبب تخلخل العقيدة ، فأوجدوا لهم ركائز من المسلمين داخل البلاد الاسلامية تعمل نيابة عنهم فى الهدم والتخريب ، وهذه الركائز أشد خطراً على هدم المبادىء والقيم من الارساليات التبشيرية الأجنبية وسبب خطورتهم آت من أنهم أبناء مسلمين ، ويحملون أسماء إسلامية وهويات إسلامية لكن أفكارهم تحارب الاسلام وأعمالهم تخالف كل ما جاء به محمد عليه السلام ، لذا فهم يبثون أفكارهم هذه بين صفوف المسلمين ، فتتقبلها النفوس الجاهلة دون شعور على اعتبار أنهم مسلمون والمسلم يمنعه إيمانه أن ينشر بين الناس ما يخالف الاسلام ، لكن الارساليات التبشيرية يعرف الناس كل الناس أنها وجدت لتدعو إلى دين غير الاسلام فيحذر الناس أمرها ومن هنا كان خطر المسلمين المنحرفين على الاسلام أشد من خطورة الارساليات التبشيرية .

كما استطاعوا عن طريق إضعاف المسلمين ، وتفريق كلمتهم : أن يحتلوا بلادهم ويدنسوا مقدساتهم وسوف يمعنون فى اذلالهم ، ويسيرون فى الطريق الذى رسموه للقضاء عليهم ، إلا إذا عاد المسلمون من جديد إلى ربهم ، والتفوا حول راية دينهم متمسكين بعقيدتهم ، ومنفذين تعاليم شريعتهم ..

أخى المسلم ..

إن العيد معناه الشىء الذى يعود ويتكرر ، والأعياد المشروعة عندنا فى الاسلام ثلاثة ، عيدان سنويان ، هما : عيد الفطر وعيد النحر والعيد الثالث عيد أسبوعى هو يوم الجمعة ، أما الأعياد الأخرى ، عيد الميلاد وعيد الأم وما إلى ذلك من الأعياد الأخرى فهى دخيلة على الاسلام ليست منه ، وإن هذه الزيارات التى يتبادلها الإخوة والأصدقاء فى هذه المناسبة ، لها آثارها الطيبة فى النفوس ،

فالابتسامة العذبة ، والتحية الرقيقة ، والكلمة الحلوة ، كل هذه تنعكس آثارها على النفس ، فتمسح غبار الماضى وتجدد عهد الحاضر ، وتؤكد استمرار المحبة فى المستقبل وكثيراً ما فتحت هذه الزيارات صفحات جديدة من العلاقات الكريمة بين الاخوة ، وأزالت الكثير من الخلافات بين الأقارب والأصدقاء ، والصفاء والوفاء ، مطلبان أساسيان لتحقيق رأب الصدع وإيجاد جو من الألفة والمحبة بين المسلم وأخيه .

إننا ونحن نعيش لذة انتصارنا على متطلبات الجسد ، نتوجه إلى الله القادر على كل شيء أن يجعل لنا من هذا العيد منطلقاً لاصلاح نفوسنا ، وتطهير قلوبنا وتحقيق سعادتنا ، تحت راية الاسلام ..



رسالة العلماء

العلماء فى الحياة هم ورثة الأنبياء ، والقائمون بعدهم بتوجيه البشر إلى ما يحقق لهم السعادة فى دنياهم وآخرتهم .

ومن هنا كانت رسالتهم شاقة وعسيرة ، ومهمتهم صعبة وخطيرة ، لكن وكما يختلف الناس فى التقى والورع ومراقبة الله ، وكذلك يختلف العلماء فى صلاح الضمير وفساده ، وفى الخوف من الله والغيرة على دينه ، ولاشك أن أخطر شيء على ضمائر الناس وعقولهم علماء غير صالحين يظهرون للناس خلاف ما يعملون ، لأجل هذا قال الرسول ﷺ : « إنى لا أتخوف على أمتى مؤمناً ولا مشركاً ، فأما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما المشرك فيقمعه كفره ، ولكن أتخوف عليكم منافقاً عليم اللسان ، يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون » . وهذه والله صفة من صفات كثير من علماء المسلمين اليوم ، نقررها حقيقة واقعة وفى النفوس حسرة وملء القلوب لوعة .

وحسبنا ألماً ما وصل إليه العالم الاسلامى فى هذا العصر من جهل بالدين وانصراف عنه ، وعدم إهتمام به بسبب اهمال العلماء وعدم قيامهم بأمانة العلم ، وإقبالهم على الدنيا وتهالكهم عليها ، الشىء الذى حال بينهم وبين أن يقوموا بأمانة العلم ، وبهذا هانوا على الله فاستخف الناس بشأنهم وفقدت الثقة فيهم ، ولو أن الأمر وقف عند حد الاستخفاف بالأشخاص والاستهزاء بهم والسخرية منهم ، لما كان فى ذلك ما يدعو إلى الألم والغيرة ، لكن الأمر تعدى إلى ما هو أبعد من ذلك فالشباب الذى كان يعتقد أن العلماء هم المرآة التى تنعكس عليها صورة الاسلام على حقيقتها ، قد تهاون بإسلامه لأنه لم يجد العلماء الموجهين فى صدق واخلاص ، فجرفته موجة الالحاد وأصبح ينظر إلى الدين على أنه أسطورة قديمة ، وإلى العلماء على أنهم جماعة محتالة على العيش باسم هذه الأسطورة ، والقادة والزعماء الذين كانوا قديماً لا يحملون هماً إلا للعلماء ، ومواقف العلماء وصراحة العلماء استطاعوا أن يسكتوهم عن أن يقولوا كلمة الحق صريحة واضحة ، وحتى العامة الذين لا يعرفون من الدين سوى ما يسميه الناس بالعلماء ، ولا يعرفون من شريعة الله إلا ما يقوله هؤلاء العلماء ، بعد أن كانوا يخشون الاثم حينما يتكلمون عن العلماء ، أصبح حديثهم الآن لا يحمل معنى الاحترام ولا يوحى بأى معنى من معانى

التقدير ، وتلك علامة من علامات فقدان الثقة ، ونتيجة لهذا فقد أصبح الدين فى وضع هو أخطر ما يكون لأن فقدان الثقة من العلماء معناه عدم الاعتماد أو حتى مجرد الاهتمام بما يقولون باسم الدين وهذا أمر له خطره الواضح وكثيراً ما يتساءل الناس لماذا لا يحاسب هؤلاء العلماء أنفسهم ، قبل أن يأمروا الناس بمحاسبة أنفسهم ؟ ولماذا يرشدون الناس إلى أن يكونوا رسل خير ودعاة إصلاح ، قبل أن يكونوا هم رسل خير ودعاة إصلاح ، يدعون إلى الله على بصيرة ، ويوجهون عن علم واقتناع ؟ لماذا يتلاومون فى مجالسهم على ضياع الدين ، وضعف الدين وتهاون الناس بالدين ثم لا نرى منهم بادرة تدل على الغيرة الصادقة والعمل الجاد ؟ والحقيقة أن العلماء لو اجتهدوا فى الذود عن الاسلام وفى توجيه القادة وإقناعهم بضرورة تطبيق تعاليمه ، بقدر ما هم مجتهدون فى جمع الدنيا لكان للدين فى نفوس الناس شأن غير شأنه اليوم ، ولكان للعلماء منزلة غير منزلتهم الآن ، وحتى يتذكر العلماء المواقف الخالدة المجيدة التى كان يقفها العلماء قديماً نسوق هذه القصة عسى أن يكون فيها ما يثير الغيرة فى نفوس علماء زماننا ، يقول التاريخ : (دخل عمرو بن عبيد ، على المنصور فقال له : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل يسألك عن مثقال الذرة من الخير والشر ، وإن الأمة خصماؤك ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك وإن الله عز وجل لا يرضى منك إلا بأن تعدل بين الرعية ، يا أمير المؤمنين إن وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور ، وإن والله مايحكم وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة نبيه ﷺ ، فبكى المنصور فقال سليمان بن مجاهد وهو واقف على رأس المنصور : يا عمرو قد شققت على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين من هذا ؟ فقال : أخوك سليمان بن مجاهد فقال عمرو : ويلك يا سليمان إن أمير المؤمنين يموت وأن كل ما تراه يفقد ، وإنك جيفة غداً بالفناء ، ولا ينفعك إلا عمل صالح قدمته ، ولقرب هذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قربك إذ كنت تطوى عنه النصيحة وتنهى من ينصحه يا أمير المؤمنين إن هؤلاء إتخذوك سلماً إلى شهواتهم ، فقال المنصور : فاصنع ماذا لهم ؟ فقال عمرو : ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه ، ومر بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس ، واستعمل عمالاً كلما رابك فيهم ريب أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره فوالله لئن لم تقبل منهم إلا العدل ليقتربن إليك من لانية له فيه) .

هذا موقف واحد من المواقف المجيدة نسوقه ، لنذكر علماءنا فى كل مكان من الأرض بأن حياة الخلود التى يحياها المصلحون من العلماء ، لم تكن سوى ثمرة الكفاح من أجل الدفاع عن الدين ، والدعوة إليه ، فإذا ما قدر لعلمائنا اليوم أن يحذوا حذو العلماء الأقدمين فى صراحتهم وصلاحهم ، وفى إيمانهم وورعهم فإن فى الأمر ما يعيد إلى النفوس شيئاً من الطمأنينة والأمل ، وإلا فهم مسؤولون أمام الله عن كتمانهم العلم واحجامهم عن قول كلمة الحق ..

هل الله موجود حقيقة ؟

سؤال كثيراً ما سمعته من عدد غير قليل من الشباب ، هذا السؤال يثيرو من يريد الوصول إلى حقيقة يدفع بها عن نفسه التشكيك فى الله وفى وجوده تعالى وتقدس .

وشيء جميل جداً حينما يثير هذا السؤال شخص يحمله الخوف من الانزلاق فى مهاوى الالحاد والشك ، فيسأل مثل هذا السؤال ليجد السلاح الذى يدافع به عن المبدأ الذى آمن به والعقيدة التى اعتنقها .

وغير جميل ولا كريم أن يسأل مثل هذا السؤال شخص لا على سبيل الوصول إلى حقيقة مجهولة لديه وإنما على سبيل الاستهزاء والسخرية ، بمعنى أنه غير موجود فكيف يسأل عنه ؟ وهذا الاتجاه من بعض الشباب له ما له من نتائج سيئة وخطيرة على المجتمع .

ومثل هؤلاء فى رأيى فى تعنتهم وإنكارهم ، وعدم استعدادهم لقبول الحق ، مثل أولئك المتبجحون الذين اشترطوا لايمانهم بالرسول عليه الصلاة والسلام بأن يفجّر لهم من الأرض ينبوعاً ، أو بأن تكون له جنة من نخيل وعنب يفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو أن يأخذهم بعذاب من السماء فيسقطها عليهم قطعاً ، كما أنذرهم بذلك ، أو أن يأتى بالله والملائكة قبيلا يناصره ويدفع عنه ، أو يكون له بيت من المعادن الثمينة ، أو أن يرقى فى السماء ، ولا يكفى ذلك بل لابد مع هذا أن يعود إليهم ومعه كتاب يقرأونه ، وبعد هذه التعنتات كلها ، وبعد تحقيقها هم أحرار فى الايمان به والتصديق بما يقوله لهم .

لأجل هذا فنحن لا نريد أن نتحدث مع أمثال هذا الصنف من الناس ، ولا أن نبحث معهم لأنه ليس من السهل إقناعهم ما دام أنه ليس فى استطاعتهم أو هم لا يريدون أن يكون فى استطاعتهم أن يفتحوا أعينهم على الحقيقة بعد أن امتلأت أفكارهم بالسموم التى تنفثها أقلام الملحدين ، من كفر ، وإباحية ، وإنكار لوجود الله .

إذاً فليكن حديثنا مع أولئك الذين ينشدون الحقيقة لوجه الحق ، لنقول لهم نعم قطعاً .. الله موجود حقيقة ، يشهد لهذا كل شيء فى هذه الحياة ما نراه بالعين المجردة ، وما لا نستطيع رؤيته إلا بالآلات المكبرة ، فالماء والهواء ، الأشجار والجبال ، السماء والأرض ، كل هذه دلائل ، لا تقبل الشك على وجود خالق جلت قدرته وليست وليدة الصدفة كما يزعم ذلك الماديون .

وكايضاح أكثر لفساد هذا الزعم الباطل نستطيع أن نقول : لو كانت هذه المخلوقات على اختلاف أشكالها ،وألوانها ، وأجناسها ، وليدة الصدفة لم تكن بهذه الدقة من النظام ، وبهذا الاحكام الذى ما يزال العقل البشرى يقف فى حيرة من أمره ، ولما شاهد هذه الشمس وهى تطلع علينا كل يوم فى أوقاتها المحددة ، ثم وهى تغرب أيضاً فى أوقاتها المحددة ، لا تتقدم ولا تتأخر ، حسب النظام الذى وضع لها فهل كان هذا وليد الصدفة ؟..

ولما رأينا القمر وهو يرسل على أرضنا شيئاً من نوره فى بعض أيام الشهر ويحتجب عنا ذلك النور فى البعض الآخر من الشهر نفسه ، دون أن يختل شيء من نظامه ، فهل كان هذا وليد الصدفة ؟..

ولما رأينا كذلك النهار يعقبه الليل ، والليل يتبعه النهار ، دون أن يطغى هذا على ذاك ، أو يتقدم ذاك على هذا ، نظام يندهش له العقل وتحار فى تفسيره الأفكار ، نظام وضعه الله على أدق ما يكون من روعة وجمال ، وقال عنه : ﴿ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ .

نظام محكم مضبوط النسبة ، موزون الحركة ، لن يتغير إلا إذا تناثرت النجوم وانطفأت شعلة الشمس ، وتفجرت البحار .

إن نظاماً كهذا يستحيل فى منطق العقل أن يكون وليد الصدفة ، اللهم إلا فى نظر أصحاب تلك العقول التى أعماها الشك ، واستولى عليها (الالحاد والعناد) وإلا فإن المسألة فى غاية البداهة .

لسنا فى الحقيقة نعرف بالتحديد ماذا سيقوله أحد هؤلاء المنكرين لوجود الله لو عثر أحد منهم فى الصحراء الخالية من السكان على صفيحة من البنزين أو حطام طائرة مثلاً أو وجد لوحة وقد كتب عليها بخط واضح هذه العبارة : الملحدون مغفلون ، هل يقول إن هذا لمجرد الصدفة ، أو أن الطبيعة هى التى خلقت هذه الأشياء ، على هذا الشكل ، وبهذه الصفة ؟ إنه إن ظن هذا ، أو حتى خطر فى ذهنه ما هو قريب منه فإنه بذلك يغالط نفسه ، ويكابر فيما لا يحتمل المكابرة أو العناد .

لقد كان عجيباً لمن يرى النجوم وهى تملأ صفحة السماء مضيئة متلألئة ، ولمن يسمع الرعد وهو يدمدم بصوته ، ولمن يرى البرق ، وهو يكاد يخطف الأبصار بضوئه ، ثم لمن يرى هذه المخلوقات سواء

منها ما كان على ظهر الأرض ، أو فى قاع البحر ، أو فى جوف الفضاء ، ثم يقول بعدها إن هذه الأشياء كانت من تفاعل الطبيعة .

لقد كان كافياً لثبوت الايمان بوجود الله ، لو فكر الانسان قليلاً فى نفسه ، وتأمل فى تكوينه الجسمانى ، والعقلى ، البالغ من الدقة ، والتعقيد ، وغموض اللغز ، ما يعجز العقل البشرى عن حلّه وتعجز الطبيعة نفسها التى هى دون شك مخلوقة أن تفعل شيئاً منه .

إنّ تكوين الأعضاء ، وتوزيع وظائفها ، وتحديد مسؤولية كل عضو فيها ، وعملية الهضم ، والامتصاص ، وعملية التنفس ، والاحتراق ، والدورة الدموية ، فى شرايين الجسم كله ، والجهاز العصبى وتركيبه وإدارته للجسم ونشاطه ، كل هذه أسرار توضّح أن الطبيعة لا دخل لها ، وأن نظرية الصدفة فى هذه الأشياء خرافة ، هزيلة لا يعتمد فى إثباتها على منطق سليم ، أو دليل صحيح .

يقول سيد قطب فى (ظلال القرآن) عند تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ﴾ .. يقول : وهو الذى ترك مرج البحرين ، الفرات العذب ، والملح المر ، يجريان ويلتقيان فلا يختلطان ولا يمتزجان ، إنما يكون بينهما برزخ وحاجز من طبيعتهما التى فطرها الله عليه ، فمجارى الأنهار غالباً أعلى من سطح البحر ، ومن ثم فالنهر العذب هو الذى سيصب فى البحر المالح ولا يقع العكس إلا شذوذاً وبهذا التقدير الدقيق ، لا يطغى البحر — وهو أضخم وأغزر على النهر الذى منه الحياة للناس ، والأنعام والنبات — ولا يكون هذا التقدير مصادفة عابرة وهو يضطرد هذا الاضطراد ، إنما يتم بإرادة الخالق الذى أنشأ هذا الكون لغاية تحققها نواميسه فى دقة وإحكام .

ويقول مؤلف كتاب (العلم يدعو إلى الايمان)— يبعد القمر عنا مسافة مائتين وأربعين ألف من الأميال ، ويذكرنا المدّ الذى يحدث مرتين تذكيراً لطيفاً بوجود القمر ، والمدّ الذى يحدث بالمحيط قد يرتفع إلى ستين قدماً فى بعض الأماكن بل إن قشرة الأرض تنحنى مرتين نحو الخارج ، مسافة عدة بوصات بسبب جاذبية القمر ، ويبدو لنا كل هذا منتظماً لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة التى ترفع مساحة المحيط كلها عدة أقدام ، وتنحنى قشرة الأرض التى تبدو لنا صلبة للغاية .

والمريخ له ، قمر صغير ، لا يبعد عنه سوى ستة آلاف من الأميال ، ولو كان قمرنا يبعد عنا خمسين ألف ميل مثلاً بدلاً من المسافة الشاسعة التى يبعد بها عنا فعلاً ، فإن المدّ كان يبلغ من القوة بحيث أن جميع الأراضى التى تحت منسوب الماء كانت تغمر مرتين فى اليوم بماء متدفق يزيح بقوته الجبال نفسها ، وفى هذه الحالة ربما كانت لا توجد الآن قارة ، قد ارتفعت من الأعماق وبالسرعة اللازمة ، وكانت الكرة الأرضية تتحطم من هذا الاضطراب وكان المدّ الذى فى الهواء يحدث أعاصير كل يوم .

وإذا فرضنا أن القارات قد اكتسحت فان معدل عمق الماء فوق الكرة الأرضية كلها يكون نحو ميل ونصف وعندئذ ما كانت الحياة لتوجد إلا فى أعماق المحيط السحيقة على وجه الاحتمال .

وبعد تأمل هذا الكلام هل يمكن أن يقال إن هذا كان لمجرد الصدفة أو إنه كان يمكن أن يأتى عفواً دون مدبر حكيم ؟

لقد أثبت العلم أن قطر الشمس يزيد عن مليون وثلث مليون كيلومتر ، ومحيطها مثل محيط الأرض بـ ٣٢٥ مرة ، وأن حاسة الابصار عند كل إنسان تحتوى على ١٣٠ مليون من مستقبلات الضوء ، فهل هذه وليدة الصدفة ؟

وبعد فهل القرآن الذى لا يزال يتحدى البشرية فى أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة واحدة من مثله ، وما يزالون عاجزين عن ذلك ، ولن يقدروا كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ .

هل هو أيضاً وليد الصدفة ، أو جاء عفواً ، وهل يجوز فى عقل أحد أن يكون هناك كلام دون متكلم ؟..

إن القرآن هو الدليل الذى لا يقبل الشك على وجود الله ، ومن كل ما مرّ نأخذ الدليل المادى على ثبوت وجود الله ، وإذاً فالله موجود حقيقة ودون شك ، أما كيف هو فشىء يقصر علم البشر دونه ، وعقيدتنا التى نؤمن بها : إن الله موجود ، وإنه الخالق لكل ما نعرفه وما لا نعرفه ..



من مبادئ هذا الدين

كثيراً ما تثار تساؤلات حول مدى شمول تعاليم الاسلام لمتطلبات حياة الانسان ، وكثيراً ما تعقد مؤتمرات من أجل هذا الغرض فتدور مناقشات لكن الحقيقة تظل كما هى ثابتة وراسخة والاسلام يظل دائماً كما كان نوراً يهدى التائهين وقبساً ينير الطريق للمؤمنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وحتى يفهم الذين لا يعرفون حقيقة هذا الدين الخاتم لكل الأديان أنه دين يسعى لاسعاد العالمين ، نورد نماذج من المبادىء التى قام عليها لتتضح الحقيقة لمن يريد الحقيقة ويظهر وجه الحق لكل من يريد الحق ، ثم بعد ذلك ما على كل أحد إلا أن يختار لنفسه ما يختار من أفكار وآراء ، أما دين الله فهو باق ما بقيت الحياة كما أثبت ذلك القرآن الكريم بقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ . والآن لنبدأ بالمدخل إلى هذا الدين ثم نوضح أهم المبادىء التى قام عليها ، ومن هذا يتضح أنه الدين الذى يصلح لقيادة العالم ، وأن تطبيقه على حياة البشر يحقق السعادة والرخاء .

المدخل إلى الاسلام :

لقد قام هذا الدين على الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، وجعل المدخل إليه التوحيد (لا إله إلا الله) أى الاعتراف الجازم بأن الله هو الإله الواحد الأحد الذى لا ولد له ولا شريك ولا والد ، ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وهذا الدين بحكم أنه خاتم الأديان السماوية ، جاء برسالة كاملة عامة لكل الناس ، شاملة لكل متطلبات حياتهم فى كل زمان ومكان : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ .

منهج الدعوة :

واستعمل الرسول عليه السلام طريق الحكمة أسلوباً لدعوته ، استجابة لقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ .

التفكيـر فـى الكـون :

وحث القرآن الكريم على التأمل فى ملكوت السموات والأرض ، للاستدلال بها على وجود الله الخالق لكل شيء ﴿ إن فى السمٰوات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ . ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماءأن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ .

الحريـــة الدينيـــة :

وعن طريق التفكير والتأمل قرر مبدأ (حرية العقيدة الدينية) وللانسان بعد ذلك وباختياره اعتناق العقيدة التى يريدها وهو وحده الذى يتحمل أمام الله مسؤوليته فى التزامه طريق الايمان أو طريق الكفر ، جاء ذلك صريحاً فى قول الله تعالى : ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ . وقوله : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ . وقوله : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ .

الوحـدة الانسانيـة :

وأعلن للناس الوحدة الانسانية ، ودعا إلى التعارف والتعاون فيما بين الشعوب إلى ما فيه الخير لهم ، وجعل مقياس التفاضل بينهم قائماً على مقدار ما يتقرب به الانسان إلى ربه من عمل صالح ، فقال : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ . ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً ﴾ .

المســاواة :

وألغى الفوارق فى الحقوق والواجبات بين الناس بسبب العرق أو الجنس أو النسب أو المال ، عملاً بقول الرسول ﷺ : « لا فضل لعربى على عجمى ولا أبيض على أسود ولا لغنى على فقير ولا لشريف على وضيع إلا بالتقوى » ، وقول الرسول عليه السلام : « ما بال أقوام يشفعون فى حد من حدود الله إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

طلب العلم

وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأعلى من شأن العلماء ، فقال : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ . وقوله : ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

حقوق المرأة

وأعطى للمرأة (كامل إنسانيتها) إلى جانب الرجل ، إذ يقول القرآن الكريم فى ذلك : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ وقول الرسول عليه السلام : « النساء شقائق الرجال » .

كرامة الانسان :

وبالعقل والعلم والارادة والتفكير كرم الانسان ، حيث تقول الآية الكريمة : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ . واستخلفه فى عمارة الأرض يزرعها ويستخرج خيراتها ويعمل لصالح البشر الذين يعيشون عليها ملتزماً فى ذلك حدود شريعة الله . ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون ﴾ .

الوحدة الاسلامية :

ورسم مبدأ الوحدة الاسلامية وهو مبدأ كفيل بحماية الأمة من التفكك والتفرق والضعف والدمار وجاء القرآن بذلك حين قال : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ وقول الرسول ﷺ : « المسلمون يد واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

العدل بين البشر :

وأمر بالتزام الحق والعدل فى الحكم حتى مع الأعداء ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

الأمر بالمعروف :

وفى مجال الأخلاق ، وضع القرآن الكريم مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حفاظاً على تماسك المجتمع وخيره وسعادته وابتعاداً به عن مهاوى الرذيلة فقال : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله

أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ . وقال الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

السـلام :

وسَنّ مبدأ السلام ، وجعله ملازماً لعقيدة الانسان بالله ، ضماناً لبقائه على الأرض ليسعد الناس فى حياتهم ، ويعيشوا فى أمن واستقرار . ﴿ يا أيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافة ﴾ وقول الرسول ﷺ فى حجة الوداع : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » . وقوله : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

الاحسـان :

واحقاقاً للسلام فى الأرض سن البر بجميع الناس على اختلاف أديانهم ، إذا لم يقاتلوا المسلمين فى دينهم ، أو يخرجوهم من ديارهم ، جاء ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ .

الـدين يسـر :

وجعل الشريعة قائمة على مبدأ اليسر وعدم الحَرَج ، كما قال الله تعالى : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ . وقال : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة » .

الاستشـارة فـى الأمـر

وقرر مبدأ المشورة فى قوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ . وأمر رئيس الدولة باستشارة ذوى الرأى من الأمة ، بقوله تعالى : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ .

آداب دخـول البيـوت :

وأكد حصانة البيت حماية لحرية الانسان ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾

مبدأ الثواب والعقاب فى التعامل :

وجعل التعامل بين الناس قائماً على مبدأ الثواب والعقاب ، فأحل الله البيع والشراء فالمال الذى يأتى عن طريق التعامل الشريف الخالى من الغش والخداع والبعد عن الاستغلال مال حلال إذا أدى الانسان ما فرض الله فيه من حقوق وواجبات أثابه الله على ذلك ، والمال الذى يأتي عن طريق التعامل بالربا ، وما حرمه الشرع من أنواع التعامل ، مال حرام يحاسب الله الانسان عليه ، كما قال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ . ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ .

الحض على العمل :

وأرسى الاسلام أساس تنظيم المجتمع فى العمل ، فقال الرسول ﷺ فى ذلك : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » . « إن الله يحب المؤمن المحترف » . « من أمسى كالاً من عمل يدة أمسى مغفوراً له » .

حق العامل :

ولم ينس الاسلام أن يوصى بوفاء حق العامل ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » . ومن الثلاثة الذين يخاصمهم الرسول عليه السلام يوم القيامة « رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره » .

إتقان العمل :

ولم يغفل كذلك رسول الاسلام ما يجب على العامل فى عمله فقال : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » .

حرية التملك :

وفى حرية التملك ، يقول الرسول ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

الاعتدال فى الانفاق :

وفى هذا يجىء قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ . وقول الرسول عليه السلام : « ما عال من اقتصد » .

التكافـــل :

يأتى فى هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ . ﴿ والذين فى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم ﴾. وهذا الحق بين أفراد الأمة حق لا منة فيه لأحد ، فزكاة الثروات الحيوانية ، وزكاة الزروع والثمار ، وزكاة المدخرات من ذهب وفضة وزكاة التجارة ، وغيرها من وجوه الانفاق ، كل هذه من أجل رعاية العاجزين عن العمل ، وذوى الأمراض المزمنة ، وذوى الحاجة الضرورية ، وغيرهم ممن جاء ذكرهم فى قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ . وقول الرسول ﷺ : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برأت منهم ذمة الله » .

حريـــة الكلمـــة :

وفى حرية الكلمة والصراحة فى الحق ، نجد أبا بكر الخليفة الأول لرسول الله ﷺ فى أول خطبة له بعد توليه الخلافة يقول : « إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى ، الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله » .

ويقول الخليفة الثانى : عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مبدأ ولايته : « ولكم علىَّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها ، لكم علىّ ألاَّ أجتبى شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم علىَّ إذا وقع فى يدى ألاَّ يخرج منى إلا فى حقه ولكم علىّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله ولكم علىّ ألاَّ ألقيكم فى المهالك ولا أجمركم فى ثغوركم ، فإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال ، فاتقوا الله عباد الله وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى ، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » .

وبعد فهذه بعض نماذج من تعاليم هذا الدين الخالد الذى ما ترك جانباً من جوانب الحياة إلا وتناوله بالبحث والمناقشة والتحليل ، وما أهمل مشكلة من مشاكل الحياة إلا وأعطاها من الدراسة ما تستحق ، ووضع لها الحلول العملية ، وإذا وجدت مشكلة ما ولم يجد لها الباحثون حلاً عن طريق تعاليم الاسلام ، فإن القصور لم يكن فى أن الاسلام لم يوجد لها الحل المناسب ، وإنما القصور فى أن أفهام الناس هى التى لم تستطع الوصول إلى الحل الموجود فى هذه التعاليم الالهية ، التى جاءت بها هذه الرسالة الخاتمة لكل الرسالات السماوية وصدق الله إذ يقول : ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾ .

العرب بلا إسلام

الأمة العربية دون الاسلام كجسم بلا روح ، والتاريخ الطويل قبل وبعد مجيء الرسالة المحمدية يؤيد هذا ، فالأمة العربية فى الجاهلية كما يحدثنا التاريخ أمة كان أبرز ما فى حياتها التخلف بكل صوره والفوضى بكل أشكالها ، إلى أن جاء الاسلام فأوجد منها أمة ذات خصائص معينة استطاعت بواسطتها تغيير ملامح التاريخ البشرى ، مما جعل العالم كله يلوى عنقه نحو هذه الأمة التى ولدت مع مولد الدين الجديد (دين الاسلام) الذى لا بقاء للعرب دونه ، ولا هيبة لهم إلا بالالتفاف حوله ، والاستظلال تحت رايته .

ولم تهن الأمة العربية فى تاريخها الطويل إلا بعد ما بدأت تبتعد عن هذا الاسلام وتعاليمه وتتجه نحو أنظمة ونظريات أثبت واقعها عدم وفائها بحاجات الأمة لأنها من وضع البشر تاركين ما اختاره الله العالم بمصالح عباده غير مدركين أن التشريعات والنظريات التى يضعها الانسان لا يمكن أن تفى بحاجات البشر لسبب واحد هو أن هذه التشريعات وتلك النظريات تتغير من وقت لآخر ، نتيجة عدم قدرتها على الاستمرارية فى الوفاء بحاجات المجتمع ، ومشكلاته ، أما تعاليم الله فهى بطبيعتها متطورة ، متجددة فى كل زمان ومكان .

ولا ريب أن الاسلام الذى رفع من شأن العرب ، وأوجد لهم حضارة ما تزال آثارها باقية تتحدى الزمن كفيل بأن يعيد لهم فى هذا العصر ما فقدوه من أمجاد وما ضاع لهم من حقوق ، إذا ما عادوا إليه مؤمنين به منفذين أوامره .

لكن حقيقة ثابتة ينبغى ألا تغيب عن الأذهان ، وهى أن أعداء الاسلام على اختلاف عقائدهم يدركون تماماً خطورة التفاف العرب حول راية الاسلام ، ويزعجهم تماماً أن يجتمعوا على العقيدة الاسلامية ولأجل هذا السبب يحاربون فى عنف كل دولة تقوم على أساس الاسلام ، وأقرب دليل على ذلك اتفاق النصارى والشيوعيين ، والوثنيين عبدة البقر على التعاون على تمزيق باكستان ، لأنها دولة مسلمة قامت على أساس الاسلام ومثل هذا ما يدور الآن على أرض أندونيسيا المسلمة من جهود لمحو الاسلام من قلوب المسلمين هناك ، لتنصيرهم أو بلشفتهم ، وشبيه بهذا المخططات التى وجدت من

أجل إفناء المسلمين فى كل من : بورما والفلبين ، ثم ما يجرى الآن فى عدن من محاولة لاخراج المسلمين من إسلامهم إلى الشيوعية الملحدة ، وغير ذلك كثير فى كل البلاد التى يعيش بها مسلمون ، وكدليل مختصر على إحساس أعداء الاسلام من تمسك المسلمين بدينهم واجتماعهم على عقيدته الواحدة ، نورد قولين مأثورين ، **أحدهما** : لأركان حرب الجيش الأمريكى ، فى عهد أيزنهاور ، **والثانى** : لدرزائيلى فى مجلس العموم البريطانى ، يقول أركان الحرب الأمريكى وقد سئل عن خطر الصين الشيوعية : « إن خطر الصين يماثل خطر الاسلام » ويقول درزائيلى أمام مجلس العموم البرطانى : « لن يستريح العالم ، ولن تستريح أوربا ما دام القرآن يتلى والكعبة تزار » .

ومن أجل هذا العداء الصارخ للاسلام ، وخوفاً من التفاف العرب حول عقيدة التوحيد أوجدت فكرة القومية العربية ، والبعث العربى ، وما إلى ذلك من المسميات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وكان الهدف الرئيسى من ذلك ـــ إيجاد حواجز بين الفكر العربى القائم على القومية الضيقة ، وبين العقيدة الاسلامية المتمثلة فى الايمان بأن بقاء الأمة العربية كريمة عزيزة ذات هيبة وسلطان ـــ مرتبط تمام الارتباط ببقائها أمة مسلمة تؤمن بالاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة .

وكارل ماركس اليهودى الشيوعى أبو الاشتراكية ، وميشيل عفلق النصرانى المتعصب لنصرانيته صاحب فكرة البعث العربى ، خير مثل على أن هذه الاتجاهات الفكرية التى اعتنقتها بعض القيادات العربية كانت لغايات معينة وفى مقدمتها الاتجاه القومى ، بدلاً من الاتجاه الاسلامى ، الذى يخشاه ماركس وعفلق وغيرهما من شياطين الانس ، الذى يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

لقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، **قالوا : أمن قلة منا يا رسول الله ؟ قال : لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، تنزع المهابةمن** قلوب غيركم ، فتوضع فى قلوبكم » ولقد والله تآمرت أمم الدنيا كلها على المسلمين وأصبحوا غثاءً كما قال ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ونزعت المهابة منا إلى أن كان ما كان من ذل واضطهاد ، وحصل ما حدث من هزيمة ما كانت لتحصل لو ارتفعت راية محمد ، بدلاً من راية العروبة والسبب فى ذلك واضح وهو ابتعادهم عن عقيدة التوحيد ، والذى أعتقده أن زعماء العالم العربى لو كانت لديهم **ثقافة إسلامية تضاهى ثقافتهم الأجنبية لما سمحوا لأنفسهم بالبعد عن عقيدتهم التى عنها وبها تحققت لهم** حضارة يعرفها العالم كله فى وقت كانت فيه أوربا تعيش فى ظلام دامس من الجهل .

والحقيقة المؤلمة أن تجربة احلال القومية العربية بدلاً من الاتجاه الاسلامى تجربة أثبتت فشلها فى كل مجالات الحياة ، وأن من الخطأ الذى لايغتفر الاستمرار فى تجارب فاشلة ، واتجاهات فكرية بعيدة عن روح الاسلام ، وأرجع لأعيد ما قلته فى أول هذه الكلمة :

إن الأمة العربية دون الاسلام كجسد بلا روح ..

حركة ضد الخرافات

حينما يريد الانسان أن يتحدث عن الأديان السماوية كلها وما جاءت به من خير للمجتمعات الانسانية من سعادة وخير ورخاء ، يجد أن فى مقدمة ما جاءت به أو بعبارة أدق أول ما تأمر به التحرر من الخرافات والأوهام والاتجاه إلى عبادة الله خالق الكون والانسان والحياة .

وما من نبى أرسله الله فى أى فترة من فترات الزمن إلا ويبدأ دعوته بالأمر بعبادة الله دون غيره ، جاء ذلك فى قول الله لنبيه محمد عليه السلام : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، وجاء الاسلام خاتم الديانات فى وقت كان الضياع فيه قد بلغ منتهاه ، والعقلية الانسانية قد وصلت فيه إلى درجة من الانحطاط ، كانت الآلهة آنـذاك ، أنواعاً من الجمادات يلجأ إليها الناس يطلبون منها الخير والبركة ويتقربون إليها بالهبات والنذور ، واستطاع هذا الاسلام العظيم فى مدة قصيرة من عمر الزمن أن يحرر العقل من الخرافة والتخريف وينقله من الوهم إلى الحقيقة ومن الظلمة إلى النور ومن الضلال إلى الهدى ومن الحيرة إلى اليقين ومن هنا انطلق المسلمون وقد صفت عقيدتهم وتحررت عقولهم من كل أنواع الخرافات ، يعرضون دين الله كما أنزله الله ويطبقونه عقيدة وشريعة ونظام حياة فازدهر الاسلام وانتشرت دعوته فى كل مكان حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من أقاصي الشرق والغرب ، وانضوت تحت رايته أمم وشعوب لا تعبد غيره ولا تلجأ إلا إليه .

وبقى هذا الاسلام ، كما أراد الله أن يكون بعيداً عن الطعن فيه وفى تعاليمه إلى أن دخلت الخرافة فى حياة المسلمين فأفسدت عليهم عقيدتهم ، فشوهوا بذلك جماله وفتحوا عليه الطعن بما يمارسونه من بدع وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ، وبقى المسلمون فى غيبة من العقيدة الصافية يمارسون هذه الخرافات حتى أصبحت مع مرور الزمن وكأنها جزء من الدين نفسه ، ومن هنا تأتى صعوبة تصفية الاسلام منها .

ولقد قام عبر العصور المختلفة لمحاربة هذه الخرافات الدخيلة ، رجال مصلحون أذكر منهم على سبيل المثال شيخ الاسلام : ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا ، وغيرهم ممن جاهدوا فى سبيل ذلك الجهاد المشرف واستطاعوا أن

يكشفوا للناس بعد هذه الخرافات عن الاسلام الصحيح ونفع الله بهم وبجهادهم وزال ما زال من هذه المنكرات وبقى دور العلماء المعاصرين فى القضاء على ما تبقى من هذه العقائد الفاسدة ليبقى دين الله بعيداً عن الخرافة والتخريف .

وبعض رجال الأزهر وهم يقومون من وقت لآخر بحملات مركزة على الخرافة والخرافيين ، إنما يهدفون إلى ارجاع المسلمين إلى الاسلام الصحيح .

وإذا أردنا أن نقول الحقيقة لوجه الله فإن الأزهر على مدى عمره الطويل قد قدم للاسلام والمسلمين خدمات يندر أن تقوم بها جهة أخرى فى العالم الاسلامى : فقد ساهم فى الدعوة إلى الله باللسان ، والقلم والسنان ، ووقف فى تحد واصرار فى وجه كل من يريد أن ينال من الاسلام أو يطعن فيه ، وساهم مساهمة فعالة فى مجال التربية والتعليم فى أكثر البلاد الاسلامية فى آسيا وأفريقيا ، وبعث بالدعاة إلى أمكنة متعددة من العالم من أجل الدعوة إلى دين الله .

إننا ونحن نؤكد تعاطف كل المخلصين مع هؤلاء العلماء والعمل معهم ضد الخرافة نقول : إنها ولا شك حركة إصلاحية لها مابعدها من نتائج طيبة إن شاء الله ، فمصر حين تتطهر من الخرافة وتقضي على التخريف يكون ذلك بداية الطريق إلى القضاء على مظاهر الوثنية التى تعيشها أفريقيا الآن .

وعن طريق القضاء على الخرافة واتجاه المسلمين إلى العقيدة الصافية التى نادى بها نبى الاسلام نستطيع أن نعرض هذا الدين بعيداً عن كل دخيل عليه ، ليفهمه الناس كل الناس كما أنزله الله ، ونحن ندرك مع إخواننا علماء الأزهر الأجلاء صعوبة محاربة أشياء تعمقت مع مرور الزمن فى أذهان العامة من الناس وكأنها جزء من الاسلام ، لكن إيمان الانسان بالله ومعرفته بأنه يدعو إلى الحق وأن الحق بجانبه يجعله مطمئناً إلى أن الله دائماً مع المؤمنين به المجاهدين فى سبيله يؤيدهم ويبارك مسعاهم ، ولأجل هذا وكما يدرك ذلك رجال الأزهر وغيرهم من العلماء العاملين ، فإن نتائج هذه الحملة المبشرة بالخير لن تكون سهلة وسريعة بقدر ما يتراءى لكثير من الناس ، فهناك العقول التى أفسدتها الخرافة إلى جانب العقول الشريرة التى تناصب الاسلام العداء وتعمل على هدم كيانه ، هذه وما شابهها سوف يزيد الأمر صعوبة لقيامها بعمل مضاد لهذه الحملة من أجل إبقاء الحال على ما كان عليه من قبل ، وتحريضها جهات أخرى عن طريق بعض الصحف المأجورة والمنحرفة لايجاد نوع من الازعاج لرجال الأزهر وبلبلة أفكار البسطاء الجهلة ليقوموا بدور آخر ضد هذه الحركة حتى لا تستمر هذه الحملة وتموت فى مهدها ، وهذا شيء طبيعى لكل دعوة إصلاح قامت أو ستقوم لابد لها من معارضة من أصحاب الباطل ، ولهذا لابد من جهاد طويل واستخدام كل الوسائل الممكنة من : إذاعة وتلفزة وصحافة إلى جانب النشرات الصغيرة التى يمكن توزيعها على نطاق واسع ، وحملات مستمرة عن طريق خطباء المساجد ، واستغلال كل مناسبة لتوعية الدهماء وتنوير أفكارهم ليكون ذلك عاملاً مساعداً على محو هذه الأفكار من العقول ،

إننا ونحن نهنىء إخواننا علماء الأزهر بهذا الاتجاه الكريم وندعو الله لهم بالنجاح فى هذا السبيل نذكرهم أن أعداء الاسلام حينما أعياهم إخراج المسلمين عن دينهم مع تمسكهم بعقيدتهم الصافية لجأوا إلى نشر الخرافة بين صفوف الجهلاء من المسلمين من أجل زعزعة عقيدتهم وتضليل أفكارهم ، ولا نستطيع إلا أن نقول : إنهم نجحوا فى ذلك نجاحاً كبيراً ومع هذا يجب ألاَّ نيأس من الحصول على نتائج باهرة بإذن الله رغم المعارضة والعراقيل التى سوف توضع للحيلولة دون نجاح هذه الحركة المباركة التى سوف يسجلها التاريخ لكل المخلصين من علماء الأزهر .

وكلمة أخيرة أوجهها للعلماء فى كل بلادنا الاسلامية التى ابتليت بشىء من هذه الخرافات ، أن يحذوا حذو علماء الأزهر فى محاولة القضاء على كل ما هو دخيل على الاسلام ، وإلا فإن مسؤوليتهم أمام الله كبيرة وعسيرة ..



الرسالة الأخيرة

فى فترة من فترات التأريخ ، وبعد أن سيطرت المعتقدات الباطلة على العقول وأصبح الناس يعيشون فى ظلمات من الجهل ، ومتاهات من التخبط والاضطراب ، وفى وقت سادت فيه العصبيات القبلية ، والنعرات الطائفية ، وتغلبت فيه نوازع الشر على عوامل الخير ، وانقلبت الحياة فيه إلى فوضى لا حدود لها ، ولا ضوابط ، فى وقت كهذا وصل الأمر فيه إلى منتهاه ، وبلغ الفساد فيه ذروته بعث الله خاتم النبيين محمداً عليه الصلاة والسلام برسالة هى فاتحة الرسالات ليصحح بها المفاهيم الخاطئة ويوجه بها النفوس الضالة ، ويهدى بها القلوب الحائرة ومن هنا فلا رسالة بعد رسالة الاسلام ، ولا يقبل الله من أحد ديناً غيره جاء ذلك فى قوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ . ولا رسول بعد محمد عليه الصلاة والسلام حيث يقول الله فى كتابه الكريم : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ .

ولحكمة الله ، ومعرفته بمصالح البشر أراد أن تكون هذه الرسالة الخاتمة لكل الرسالات رسالة عامة للناس جميعاً : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ وأن تكون محققة لسعادة العالم فى دنياهم وآخرتهم ومشتملة على كل ما يضمن للفرد والجماعة الخير والسعادة فى ظل الأمن والاستقرار والمحبة والاخاء : ﴿ اليوم أكلمت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ .

لقد جاء هذا الدين بعد أن فسد كل شىء فى حياة الناس ، فالأصنام والأوثان تعبد من دون الله ، والآباء يقتلون أولادهم خشية الفقر ، ويدفنون بناتهم وهن أحياء خشية العار ، والناس كل الناس يعيشون فى رعب وهلع فلا أمن ولا استقرار ولا عدل ولا نظام .

وبنداء من محمد عليه الصلاة والسلام ، ودعوته وجهاده ، تحولت تلك القلوب الكافرة بالله إلى قلوب مؤمنة تعرف الله وتخافه وتطلب منه ، وأصبحت تلك النفوس المظلمة الغليظة نفوساً مضيئة رقيقة ، تفيض بالخير والاحسان ، وبدأت الحياة كلها تتحول تدريجياً من وضع سيىء إلى وضع أفضل وأحسن .

فالأصنام التى كانت تعبد عادت كما كانت حجارة لا تنفع ولا تضر ، والعقول التى كانت تركع لهذه الأصنام ، انقلبت إلى عقول لا تركع إلا لله الواحد الأحد ، والأفكار الهزيلة بدأت تتحول إلى نوع أكثر واقعية ، وبتمكن العقيدة الصافية والتوحيد الخالص وعن طريق تلك النفوس التى صقلها الايمان ، انطلق شعاع الاسلام يتدفق على بطاح مكة ويغمر مرتفعات يثرب ، ومنها يتجه نحو المشرق والمغرب حتى عم أكثر أجزاء الدنيا ينشر الحب بين الناس ، ويقيم حضارة إنسانية قاعدتها الايمان بالله ، وفروعها خيرات كثيرة نعم بها العالم طويلاً وعاشوا فى ظلها متحابين متآلفين متراحمين لا يزعجهم ظلم من أحد ، ولا يقلقهم خوف ، من جبروت أو طغيان وإنما عدل وعطف ومساواة .

وحتى يعيش الناس فى صفاء ووئام وحب وسلام ، فإن اعتناق الاسلام وتطبيقه عملياً فى واقع الحياة ، هو الضمان الوحيد لتجنيب هذا العالم المخاطر والمخاوف الكبيرة من وسائل الدمار والخراب ، دمار العقائد والأخلاق وخراب الديار ، والأموال ، وهو أقرب طريق إلى السلام ، ولا ريب أن ديناً ارتضاه الله للبشرية لا يمكن أبداً أن يوجد أفضل منه لرقى العالم وسعادته وحتى لو اجتمع العالم كله ليضع لنفسه ديناً يشمل كل متطلبات الحياة الدنيوية والأخروية فلن يجد أحسن ولا أكمل من ما جاء به هذا الدين مما به سعادة الانسان وأمنه واستقراره .

ولقد وجدت مذاهب كثيرة قديمة بهرت الناس ببريقها ثم ذابت مع الزمن لأنها لم تقدر على حل مشكلات العالم المتجددة وفى عصرنا هذا توجد مذاهب مختلفة يقوم واضعوها من وقت لآخر بترميمها ، وتغييرها وتبديلها ، لأنها لم تقدر على مواجهة حل مشكلاته الكثيرة والمتجددة ، كما كانت المذاهب القديمة تماماً ، أما الاسلام فتعاليمه ما تزال تؤدى دورها فى كل شأن من شؤون الحياة منذ مئات السنين لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل ، لأنها من عند الله ، وليست من وضع البشر ، ولهذا السبب بقيت خالدة تتطور بتطور الحياة ، وستبقى كذلك إلى يوم القيامة .

ولذا فإن الحاجة الآن وفى هذا العصر ، الذى نسى فيه أكثر العالم إلهه وخالقه وأصبح الانسان عبداً للمادة تملك عليه عقله وتفكيره ندعو المسلمين أولاً إلى الرجوع من جديد إلى دينهم ليعود لهم عزهم ومجدهم كما ندعو غير المسلمين إلى اعتناق الاسلام فهو الذى يمدهم بكل أسباب السعادة ، إنه الدين الحق الذى آمن به الأنبياء عليهم السلام من قبل محمد عليه السلام ومن بينهم عيسى عليه السلام والذى قال عنه القرآن الكريم : ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ . وفى جانب موسى عليه السلام قال : ﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ .

ومن هنا كان لزاماً على كل البشر بما فيهم اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ، ذلك أن الاسلام ليس ديناً روحياً يأمر الناس بالابتعاد عن الاشتغال بأمور الحياة ، ولا مادياً يصرف العباد عن ما يربطهم بالله ، ولكنه دين ودنيا ، كما ورد ذلك فى كتاب الله : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ ومن أجل هذا فإنه لا ينهى عن أن يكون المسجد فى قلب المصنع ولا أن يصوم المسلم بين أدوات المختبر ، إنه يعد المسلم ليكون رجل علم وعمل ، وصاحب عبادة وفكر .

ومن هنا يظهر الفرق بين الاسلام وبين غيره من الديانات الأخرى ، كالمسيحية وغيرها ، القائمة على التبتل والعبادة ، والابتعاد عن مشاغل الحياة ، وبالمقارنة بين تعاليم الاسلام وتعاليم الديانات الأخرى نجد أن الاسلام هو الطريق الوحيد للوصول إلى حضارة إنسانية ، تشبع رغبة الانسان المادية ، وتوجهه إلى طريق السعادة الخالدة لتحل محل هذه الحضارة الغربية ، التى تعبد المادة وتقدسها وتنكر الله وتجحد فضله والتى كان من نتائجها أن جعلت الانسان ينظر إلى هذه الحياة نظرة مادية ، بعيدة كل البعد عن الناحية الروحية ، فأصبح الانسان فيها بلا إيمان يملأ قلبه بالهدى والنور ، وبلا أمل يملأ جوانب نفسه بالطمأنينة فيما بعد الحياة ، فكان القلق النفسى الذى تشكو منه كل الشعوب البعيدة عن الايمان بالله واليوم الآخر .

ومن هذا المنطلق تتقرر حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها إلا الجاهل أو مكابر وهى أن حياة العالم لن تتحقق لها السعادة إلا بتطبيق تعاليم الاسلام ..



البيت السعيد

الزواج رباط مقدس ، يجمع بين إنسانين ، من أجل حياة جديدة ، وإنشاء جيل جديد ، هذا الرباط الذى يصل بين قلبين ، ويجمع بين عاطفتين ، ويوحد بين نفسين يقوم على أساس من المحبة والمودة ، والرحمة والاحترام المتبادل لتكون الحياة الزوجية جديرة بأن تكون حياة سعيدة مليئة بالطمأنينة التامة ، والاستقرار الكامل ، وهذا ما ينبغى أن تكون عليه العلاقة الزوجية ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

فالعلاقة بين الزوجين ليست كالعلاقات الأخرى ، إذ أنها علاقة من نواحٍ كثيرة ، فهى علاقة حب وعلاقة مشاركة ، وعلاقة تعاون ، وعلاقة مستقبل ، مستقبل ضمان الاستقرار فى ظل العيش السعيد ومستقبل الأسرة التى يحلم به كل من الزوجين ، فى حياته الزوجية ، والزواج إلى جانب هذه الأمور كلها وسيلة من وسائل الترفع عن الوقوع فى مهاوى الرذيلة لكل من الرجل والمرأة وعامل مهم فى نظافة المجتمع واستقامته .

وحرصاً على أن تظل هذه الروابط فى مأمن من التفاقم ، وعدم الوفاق والانسجام أمرت الشريعة بما يأتى :ـــ

١ ـــ اختيار الزوجة من الناحيتين الخلقية والعقلية ، يشير إلى الأول قول الرسول ﷺ « لا تتزوج المرأة لجمالها ، فلعل جمالها يرديها ، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وإنما تتزوج المرأة لدينها ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » . وإلى الثانى قوله : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » .

ولا شك أن هاتين الناحيتين لهما أثر فى تكوين الأسرة الصالحة ، فالدين مصدر كل سعادة واطمئنان كل قلب ، واستقرار كل نفس ، وإذا ما قام بناء الأسرة البيتية على أساس من الأخلاق المتينة فإنه لن يكون هناك مجال لسوء الظن بين الزوجين ، وهذا مصدر من مصادر الاستقرار فى الأسرة .

واختيار الزوجة ذات العقل السليم مصدر من مصادر الاطمئنان على إنجاب أطفال أصحاء فى عقولهم أقوياء فى أجسامهم ، وحديث الرسول هنا يؤكد صحة النظرية العلمية القائلة بأن الطفل يرث عن والديه الصفات الخلقية والعقلية والجسمية .

٢ ـــ تعرف الخاطب على مخطوبته ، بالنظر إليها كما جاءت بذلك الشريعة ، يقول المغيرة بن شعبة إنه خطب امرأة فقال له النبى ﷺ : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (يعنى تحصل بينكما ألفة ومحبة) .

ولاشك أن نظر كل من الخطيبين لصاحبه يرشد إلى اتجاهات القلوب ويعطى كلاً منهما انطباعاً معيناً عن الآخر ، وعلى هذا فمنع الخطيب من النظر لمخطوبته ، على اعتبار أن هذا منكر خطأ ولاشك ، فالشريعة جاءت بإباحة النظر إلى المخطوبة ، وأمر الرسول فى ذلك صريح واضح يقابل هذا الافراط الموجود فى بعض البلاد الاسلامية تفريط واضح فى البعض الآخر حيث يسمح للخطيب بالاختلاء بخطيبته فى أى مكان شاء ، فى الحدائق والمتنزهات ، فى النوادى العامة والخاصة ، فى دور السينما وصالات الرقص بل ويتجاوز هذا التسامح غير المعقول إلى ما هو أبعد من هذا حينما لا يرى ولىّ أمر الفتاة مانعاً من أن تسافر مع خطيبها إلى أى مكان شاء على اعتبار أن هذه الأشياء كلها ما هى إلا من قبيل تهيئة الفرصة لكل من الخطيبين ليقوم بدراسة نفسية لطبيعة صاحبه وأخلاقه ، واتجاهاته .

والحقيقة أن هذه العادة لا يقرها الدين ، لما لها من آثار وعواقب غير محمودة ، ومن خلال هذه السطور نرى أن منع الخطيب من النظر إلى مخطوبته خطأ ، وأن اختلاءه بها فى أى مكان شاء ، أوسفره معها دون محرم قبل عقد النكاح حرام .

٣ ـــ عدم إجبار المرأة على الزواج من شخص لا ترغب الزواج منه ، واعطاؤها الحرية الكاملة فى أن تعبر عن رأيها نحو أى شخص يريد الزواج بها ، حتى ولو كان الاجبار من والدها لا يجوز ، لما روى عن فتاة جاءت إلى النبى ﷺ تذكر أن أباها زوجها وهى كارهة فجعل الرسول أمرها إليها ، فلما شعرت بحريتها فى أمر نفسها عادت إلى طاعة أبيها ، فأقرت ما صنع وقالت : إنما أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء أن يكرهوا بناتهم .

هذه هى الأمور التى ينبغى أن تتوفر قبل عقد النكاح وإلا فإن الروابط الزوجية سوف تكون مهددة بالانفصام فى أى وقت ، وبهذا تصبح الحياة الزوجية جحيماً لا يطاق ، ومعنى هذا ، الفشل المحقق لحياة يجب أن تقوم على أساس من الألفة التامة والاستقرار الكامل ، وعلى هذا فإن ما يفعله كثير من الناس من إجبار المرأة على الزواج من رجل لا تريده أمر لا يتفق مع تعاليم الاسلام ومن حقها أن ترفض وليس من حق أحد أن يجبرها على رجل لا رغبة لها فيه .

ولا ريب أن ميل كل من الجنسين إلى الآخر غريزة فى النفس ، خلقها الله حينما خلق الانسان ، لذا حث الدين على الزواج ورغب فيه ، ووجه النداء إلى الشباب خاصة ، لأنه أميل إلى الغرائز الجنسية من الشيوخ ، وأقرب من غيره إلى النزعات النفسية الطائشة ، فقال الرسول فى ندائه الشريف :

« يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

ومعنى هذا ، أن الزواج فيه صيانة للشرف لكل من الرجل والمرأة إلى جانب المزايا الأخرى من الألفة والمحبة والاستقرار النفسى ، وإنجاب الأطفال .

على أنه يجب أن يكون الاحترام المتبادل شعار كل من الزوجين ، وأن تكون الصلة الزوجية صلة الحب ، والمعروف ، والعشرة الحسنة ، والمعاملة الكريمة ، إذاً فمن واجب الزوج أن يعطف على زوجته وألاّ يتعمد الاساءة إليها ، وإذا كره منها خلقاً عالج ذلك بالحكمة ، والتوجيه والارشاد ، وألاّ يبخل عليها بسكن نظيف ، وملبس جميل ، وغذاء كريم ، وأن يشعرها بأنها إنسانة لها كرامتها ومكانتها ، وأن يتحاشى معها السب والشتم ، والاهانة ، والاحتقار ، كما أمر الله الأزواج فى قوله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ .

كما أنه من واجب الزوجة ، أن تكون طائعة لزوجها ، غير مهملة فى واجبها نحو نفسها ونحو بيتها ، وأطفالها ، وأن تعمل جاهدة على تهيئة جو من السعادة لزوجها ، وتؤمن برئاسته وقوامته عليها ، كما جاء ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ .

وبتحقق هذه المعانى فى كل من الزوجين يوجد البيت السعيد ..



الجهاد في الإسلام

فى السنة الثانية من الهجرة جاء الأمر بفريضة الجهاد : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

وفريضة الجهاد هذه وإن كانت على النفس شاقة ومريرة ، كما صرحت بذلك الآية الكريمة بقولها ﴿ وهو كره لكم ﴾ لكن الجهاد فيه الخير كل الخير للفرد المسلم لنيله أجر المجاهدين إن هو بقى على قيد الحياة ، أو حصوله على فضل الشهادة إن قتل فى سبيل الله ، وهو خير للأمة الاسلامية ، لأن فيه ذوداً عن دينها ، ودفاعاً عن عقيدتها ، وصيانة لكرامتها ، وخيراً للبشرية لأنه يفتح لها به باب الدخول فى الاسلام الذى اختاره الله ديناً عاماً للبشرية كلها ، ومن يدرى فلعل وراء المكروه خيراً ، ووراء المحبوب شراً ، لكن الله الذى يشرع لعباده هو وحده الذى يعلم ما وراء الأمور من عواقب ، ومن هنا كان واجب المسلم أن يعلم أن الخير دائماً فيما يختاره الله لا فيما يراه هو ، وأن يرد الأمر كله لليد الحكيمة والعلم الشامل وهو راض قرير العين .

والجهاد فى سبيل الله فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، لكنه يكون فرض عين على كل فرد من أفراد المسلمين ، فى ثلاث حالات :ـــ

١ ـــ إذا التقى المسلمون وأعداؤهم وجهاً لوجه .

٢ ـــ إذا دخل الأعداء بلداً من بلدان المسلمين وجب القتال على أهل البلد كلهم .

٣ ـــ إذا أصدر الحاكم أمراً عاماً بالجهاد وجب القتال على الجميع .

ولقد لخص الامام ابن القيم رحمه الله المراحل التى مر بها الجهاد فى الاسلام ، ومن هذا التلخيص ندرك حقيقة لا جدال فيها وهى أن الاسلام لم يجرد السيف لأول وهلة لتحرير الانسان من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ولكنه لجأ قبل الأمر بقتال المشركين ، إلى أسلوب الدعوة للخاصة والعامة من الناس ، بأن يتجهوا إلى الله دون غيره ، يقول ابن القيم فى (زاد المعاد) فى الفصل الذى عقده باسم :ـــ

(فصل فى ترتيب هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقى الله عز وجل) أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى ، أن يقرأ باسم ربه الذى خلق ، وذلك أولى نبوته ، فأمره أن يقرأ فى نفسه

ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ ، ثم أنزل عليه : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ فنبأه بقوله ﴿ اقرأ ﴾ وأرسله بـ :﴿ يا أيها المدثر ﴾ ثم أمره أن ينذر عشريته الأقربين ، ثم أنذر قومه ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين ، فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح ثم أذن له فى الهجرة وأذن فى القتال ، ثم أمر أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله ، ثم كان للكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام : أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة ، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم وأن يوفى لهم به ما استقاموا على العهد ، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد ، وأمر أن يقاتل من نقض عهده ، ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها ، فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا فى الاسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان والمنافقين بالحجة واللسان وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم وجعل أهل العهد فى ذلك ثلاثة أقسام : قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له ، فحاربهم وظهر عليهم . وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم . وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر ، فاذا انسلخت قاتلهم (فقتل الناقض لعهده) واجل من لا عهد له أو له عهد مطلق أربعة أشهر ، وأمره أن يتم للموف بعهده إلى مدته ، فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم ، وضرب على أهل الذمة الجزية فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام : محاربين ، وأهل عهد ، وأهل ذمة .

ثم آلت حالة أهل العهد والصلح إلى الاسلام فصاروا معه قسمين : محاربين ، وأهل ذمة ، والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف محارب ، وأما سيرته فى المنافقين فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمر أن يعرض عنهم ، ويغلظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ، ونهى أن يصلى عليهم ، وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه : إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم ، فهذه سيرته فى أعدائه من الكفار والمنافقين .

ومن هذا التلخيص المفيد نخرج بنتيجة هامة وهى أن الاسلام « لا يأمر باستخدام القوة فى حرب الأعداء إلا إذا نفدت كل الوسائل السلمية » .

والاسلام وهو يفرض الجهاد ، يميز المجاهدين على غيرهم بميزات كبيرة ، حيث يقول القرآن الكريم فى ذلك : ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ وما جاء فى الحديث الوارد فى الصحيحين ، عن أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله

ﷺ ، قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله وما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » . وما رواه الأعمش عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله ﷺ : « من رمى بسهم فله أجره درجة ، فقال رجل : يا رسول الله وما الدرجة ؟ فقال : أما أنها ليست بعتبة أمك ، ما بين الدرجتين مائة عام » .

والاسلام أيضاً وهو يعد المجاهدين فى سبيله بالدرجات العالية فى الجنة ، يأمر بتهيئتهم روحياً بغرس العقيدة الخالصة لله فى قلوبهم ، وإصلاح نفوسهم عن طريق ربطهم بالله فى كل حركة من حركات حياتهم ، وتعويدهم على طاعة الله وامتثال أوامره ، وتعميق مفهوم الجهاد وما أعد الله للمجاهدين من فضل على غيرهم ، ومادياً بتدريبهم على استعمال أنواع الأسلحة وإجادة الرماية ، ومعرفة الطرق التى تؤدى بأمان إلى مراكز تجمعات العدو وكيفية ملاقاته ، فى الأرض والجو والبحار والغابات ، وما إلى ذلك من كل أمر يربك العدو ويفسد عليه خططه ، على أنه ينبغى ألاّ يغيب عن الأذهان أنه إذا كان للنصر أسباب ، فإن للهزيمة أيضاً أسباباً ، وفى مقدمتها وقوع الجند فى معاصى الله ولأجل هذا يوجه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بخطابه ذلك الذى أرسل به إلى سعد بن أبى وقاص ، رضى الله يقول فيه : أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تحترسوا من المعاصى أكثر مما تحترسون من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .

وحينما يموت المجاهد فى سبيل الله يكون له فضل الشهادة ، وهو أمر يتمناه كل من يريد لنفسه السعادة الخالدة ، ورد ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ وقوله : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ ، وقول الرسول ﷺ : « ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا ولها الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، لما يرى من فضل للشهادة فيتمنى أن يرجع فيقتل مرة أخرى » . وقوله : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مطعمهم ورأوا حسن منقلبهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما أكرمنا الله به وما نحن فيه ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عند الحرب » ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

والاسلام إلى جانب أمره بالاستعداد للأعداء بكل وسائل الحرب التى توصل إليها العلم كان الرسول ﷺ يتبع فى الحرب الأساليب التالية من أجل استكمال الاعداد لملاقات العدو :ـــ

أولًا : كانت له عيون وأرصاد (استخبارات) بين صفوف العدو **يوافونه** بأخبارهم وكان يبعث بعضاً من أصحابه لاستطلاع أخبار أعدائه وتحشداتهم ومحاولة معرفة أعدادهم ، ومن ذلك ما روى أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش فى ثمانية من المهاجرين ومعه كتاب مغلق وكلفه ألا يفتحه حتى يمضى ليلتين ، فلما فتحه وجد به : « إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل بطن نخلة بين مكة والطائف ، ترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ولا تكرهن أحداً على السير معك من أصحابك » فلما نظر عبد الله فى الكتاب قال : سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله ﷺ أن أمضى إلى بطن نخلة أرصد بها قريشاً حتى آتيه منها بخبر ، وقد نهى أن استكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع ، فأنا ماض لأمر رسول الله ﷺ ، فمضى ومعه أصحابه لم يتخلف منهم أحد .

ثانياً : مداهمة العدو فى غفلة لكسب المعركة بأقل ثمن وفى أقصر وقت ، هذا ما يسمى فى عصرنا (بالحرب الخاطفة) وذلك أن النبى ﷺ كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول : « الحرب خدعة » ويستحب القتال أول النهار أو آخره وذلك من أجل أن يفاجىء القوم فى مساكنهم فى أوقات راحتهم وهم على غير استعداد فتكون له الغلبة ، وهو أسلوب فى الحرب ابتكره عليه السلام قبل أن يعرفه العالم .

على أن الاسلام وهو يفرض الجهاد فى سبيل الله لا رغبة فى القتل ، ولا من أجل بسط نفوذ من أجل الدنيا وإنما دفاعاً عن الحق ورغبة فى هداية البشرية إلى الطريق الذى يوصلهم إلى الله ، قد أمر بالسلم لمن أراد السلام من أعدائه ، وهذا دليل على أنه لا يرفع السيف إلا فى وقت يكون رفعه فيه ضرورة لخير المجتمع البشرى كله ، يقول القرآن الكريم فى ذلك : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾ يعنى وإن جنح أعداء الاسلام إلى السلم ولم يقاوموا الدعوة الاسلامية ولم يحاربوا المسلمين ، فاقبل مسالمتهم وقد فعل ذلك الرسول ﷺ فى صلح الحديبية الذى عقده مع مشركى قريش ـــ وهم على شركهم ـــ كانت شروط هذا الصلح تبدو فى ظاهرها مجحفة لذا لم يسترح لها المسلمون ، لكن الرسول ﷺ ، قبلها لأمر يعلمه الله ، كانت هذه الشروط تنص على وضع الحرب بين المسلمين والمشركين عشر سنين ، وأن يأمن الناس بعضهم من بعض ، وأن يرجع عنهم عامه ذلك حتى إذا كان العام المقبل قدمها وخلوا بينه وبين مكة فأقام بها ثلاث ، وألا يدخلها إلا بسلاح الراكب ، والسيوف فى القرب ، وان من أتى المشركين من أصحاب النبى لم يردوه ، ومن أتاه من أصحاب المشركين رده .

وقد كفل الرسول عليه السلام للمسلمين بهذا الصلح دخول المسلمين لمكة دون إراقة دماء
والخلاصة أن الجهاد فى سبيل الله فريضة باقية إلى يوم القيامة ، وأن الاسلام لا يأمر باستخدام القوة إلا إذا استنفدت كل الوسائل الممكنة الأخرى ، وأنه يأمر بالجنوح إلى السلم إذا طلب العدو ذلك وأنه إنما شرع من أجل الحفاظ على شرع الله ودينه ، وتوجيه البشرية كلها إلى ما يحقق لها السعادة فى الدنيا والآخرة ، وأن ما يقال من أن الجهاد إنما يعنى تلهف المسلمين إلى إدخال غيرهم فى الاسلام بالقوة ، أو ضرب أعناقهم بالسيف . أمر لا يحتمل سوى أحد أمرين :ـــ

- إما أن القائل متأثر بما يكتبه بعض المغرضين عن الاسلام فى هذا المجال دون أن يكلف نفسه عناء البحث عن حقيقة الأمر ، فهو يتكلم بما علق فى ذهنه لا بما يقرره الواقع .
- وإما أنه من الأشخاص المعادين للاسلام ، والذين لا يتركون وسيلة من الوسائل للطعن فيه إلا سلكوها .

لكن الله دائماً فى جانب الحق يؤيده ويحميه ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾ .



العدالة الاجتماعية في الإسلام

الحديث عن العدالة الاجتماعية فى الاسلام ، بطريقة تفصيلية يحتاج إلى عديد من الكتب ، لأنه ما من شيء فى دنيا الناس إلا ووضع الاسلام له قانوناً عادلاً يتساوى فيه كل الناس ، الكبار والصغار ، الرجال والنساء ، الرؤساء والمرؤوسون ، الأغنياء والفقراء ، من هم هنا فى هذه الأرض الطيبة ومن يعيشون فى أقاصى المشرق والمغرب ، ولكى نلقى ضوءاً خفيفاً على بعض مظاهر هذه العدالة لنكون أكثر فهماً لها نأخذ على سبيل المثال فريضة الصلاة مثلاً لنرى أن الاسلام أوجبها على كل المسلمين وأمر أن يقف فيها الناس كلهم فى صفوف متساوية متراصة ، الحاكم إلى جانب المحكوم والغنى إلى جانب الفقير ، لا يتقدم أحد على أحد ، ولا يركع أحد قبل أحد ، والكل يقوم بعمل واحد .

أو الصيام لنرى كيف أن الاسلام أوجب على كل المسلمين الامساك عن الطعام والشراب وغيرهما فى وقت محدد — وأباح لهم الفطر فى وقت محدد — هو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بحيث لا يباح لأحد مهما كان مركزه فى الحياة ، أن يخالف هذا النظام وإلا لما صح صومه .

أو الحج لنرى كيف أنه لا يصح حج من مسلم مهما كان وضعه فى الحياة ما لم يلبس الاحرام ويقف بعرفات ويطوف ويسعى .

أو الزكاة لنرى كيف أن الاسلام فرض جزءاً للفقراء من أموال الأغنياء .

أو المعاملة العامة بين الناس جميعاً دون النظر إلى أى اعتبار آخر حيث يقول القرآن : ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، بل إن الاسلام قد ذهب فى عدالته إلى ما هو أعلى وما هو أوسع نطاقاً من محيط المسلمين ، فأمر بحفظ حقوق الأقليات فى البلاد الاسلامية من غير المسلمين وحرص على أن يعاملوا معاملة المسلمين وأن يكونوا فى البلاد الاسلامية آمنين على دمائهم وأموالهم وأن تؤخذ حقوقهم كاملة من أى اعتداء قد يقع عليهم إذا لم يقوموا هم من جانبهم بما يخل بحقوق البلاد التى يعيشون بها ، وكمثل على هذه العدالة الانسانية العامة ما منحه الاسلام للمشركين من حقوق متساوية لحقوق المسلمين فى الدماء

ما دام بينهم وبين المسلمين ميثاق ، وذلك حين يقول القرآن الكريم : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا ان يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ﴾ .

وعلى هذا فكفارة القتيل من المشركين الذين بينهم وبين المسلمين ميثاق هى نفس كفارة القتيل المؤمن سواء بسواء .

وبهذا تظهر العدالة الاسلامية حتى بالنسبة لغير المسلمين ، وبهذا أيضاً يتبين أن رسالة الاسلام رسالة عالمية لا تعترف بحدود الزمان أو المكان رغم ما قيل وما يقال .

وبنظرة عابرة على تعاليم هذا الدين الخالد ، نرى أنه حدد واجبات الأفراد فى المجتمع نحو بعضهم على أساس من التساوى بين جميع الطبقات ، كما حدد الواجبات بين الحاكم والمحكوم ، وذلك من أجل أن ينعم الناس بحياة لا سلطان فيها إلا سلطان العدل ولا موجه لها إلا نظام المساواة .

ولم يترك الاسلام هذه الواجبات دون أن يضع لها كل الضمانات الكفيلة حتى لا تكون حبراً على ورق ، فحينما نهى المسلم أن يتعدى على مال أخيه المسلم أو دمه أو عرضه نجده يأمر إذا تعدى على سرقة مال أخيه المسلم (دون أن يضطره جوع إلى ذلك) بقطع يده بدليل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله ﴾ ، وهذه عدالة .

وإذا سفك دم أخيه المسلم عمداً وجب عليه القصاص ، بدليل قول الله : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ﴾ . وهذه عدالة .

وإذا استهان بحرمة أخيه فسرق عرضه استحق عقوبة الزنا ، وهى للمحصن والمحصنة الرجم ، ولغير المحصن والمحصنة الجلد ، بدليل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ﴾ . وهذه أيضاً عدالة .

وحتى الاعتداء على السمعة كذباً وافتراء يبرر العقوبة بالجلد ثمانين جلدة ، بدليل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ ، وهذه عدالة .

وفى هذا المجال تجدر الاشارة إلى قصة عاتب الله فيها نبيه عليه السلام ، لمجرد أن ظهرت علامة كراهية على وجهه حينما كرر عليه الطلب رجل فقير من أصحابه ، والرسول مشغول بالحديث مع نفر من سادات قريش — يطمع فى إسلامهم ، والقصة تلخص فى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان مشغولاً مع أبى جهل عمرو بن هشام ، وأمية بن خلف ، والوليد بن المغيرة ، فى حديث يتعلق بإسلام

هؤلاء وهم سادة قومهم ، وفى إسلامهم قوة للمسلمين وكان هؤلاء النفر أكثر الناس كيداً للاسلام وصداً عنه بأنفسهم وأموالهم ، لأجل هذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يطمع فى إسلامهم لتسلم قريش ، وليأمن الرسول والمؤمنون كيدهم وايذاءهم .

وفى أثناء هذا الحديث الذى يتمنى فيه محمد ألا ينقطع حتى يعلن هؤلاء إسلامهم يجىء الرجل الأعمى ابن أم مكتوم ليقطع الحديث بين الرسول وبين هؤلاء النفر ليطلب إليه تعليمه شيئاً من القرآن ، ولحرص الرسول على النتائج الطيبة التى يرجوها من وراء هذا الحديث يعرض عن إجابة ابن أم مكتوم ويكرر ابن أم مكتوم الطلب على الرسول ، وهو ما يزال مشغولاً بالحديث مع أولئك النفر فتظهر الكراهية على وجهه من تكرار هذا الطلب ، فى أمر لا يخشى من فواته فيعاقب الله نبيه على ما حصل منه من عبوس لابن مكتوم ، وتشاغل عنه بالحديث مع أولئك السادة الذين ما زال يرجو إسلامهم ، وينزل القرآن الكريم ليسجل هذه الحادثة ويقول : ﴿ عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى، فأنت عنه تلهى ﴾ .

هذه الحادثة تعطينا الصورة الحية على اهتمام الاسلام بالمساواة التامة وإلغاء كل ما تعارف الناس عليه مما يوحى بالتفرقة بين إنسان وآخر ، خاصة فيما يتعلق بشؤون القضاء الذى هو عدالة الله فى أرضه ، فلقد أوجب الدين على القضاة أن يكونوا عادلين فى أحكامهم بين الناس جميعاً متناسين كل اعتبار من اعتبارات الحياة ، وحتى لا توحى حركة من حركات القاضى بالميل إلى أحد الخصمين ، دون الآخر ، يجب عليه أن يساوى بينهما حتى فى نظرات عينيه ، ونبرات صوته ، ولهجة حديثه ، وهذا لا ريب منتهى ما يمكن أن تصل إليه عدالة فى الأرض .

وكعادة الاسلام فى حرصه على توضيح كل شىء فى حياة المجتمع اهتم أن يذكر ما بين الحاكم والمحكوم من حقوق .

فقد أوجب للحاكم على الأمة النصح والاخلاص والطاعة ما لم يأمر بما يخالف شريعة الله ، فإذا أمر بذلك فلا طاعة له فيما أمر .

أما فهو فيجب عليه العدل والمساواة ، وأخذ الحق من القوى للضعيف مهما كان وضعه فى الحياة ، واعتبار دماء الناس وأموالهم وأعراضهم أمانة فى عنقه تجب حمايتها فى الداخل وفى الخارج ، واعتبار تعليم المجتمع ورفع مستواه فى كل مجالات الحياة الأخرى جزءاً من وظيفة الحكم .

وباختصار فإن الحاكم فرد من أفراد الأمة تقع عليه مسؤولية الحكم ، ومن أهم تلك المسؤوليات إقامة عدالة اجتماعية يعيش فى ظلها الكل على أساس من المساواة التامة وهو بهذا يحقق له سمعة كريمة فى

الحياة ، وسعادة فيما بعد ذلك ، وقد جعل محمد عليه السلام الحاكم العادل من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وليس بعد هذا من جزاء عادل .

ورحم الله عمر بن الخطاب حين أمر بالقصاص من ولد عمرو بن العاص لاعتدائه على ولد من الأقباط ، وقال فيما قاله لعمرو : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم **أحراراً** » .

ومن هنا تتضح عدالة الاسلام فى كل شىء .



السيجارة والأنامل الرقيقة

كثير من رجال الفكر والاصلاح أدركوا بعمق ضرر التدخين وما يسببه من متاعب صحية ومالية فقاموا بتأسيس جمعيات بعضها يحارب الاعلانات عن التدخين فى الصحف والمجلات ، والبعض الآخر يدعو إلى الاقلاع عن تلك العادة الضارة وبلدنا كغيرها من بلدان العالم قد تسرب إليها هذا الوباء الذى ينجر الانسان إليه طوعاً ودون إكراه فيجلب لنفسه المتاعب الصحية وغيرها ، وليس أثقل على النفس من منظر أنامل غضه تحمل بينها سيجارة ، كان ينبغى ألا تحملها ، لكننا إذا أردنا أن نحدد المسؤولية وجدنا أن الغلطة فى والواقع غلطة الآباء والأمهات الذين يمارسون هذه العادة أمام أطفالهم ثم يطلبون منهم عدم ممارستها ، أو يرونهم يدخنون ثم لا يقومون بتوجيههم للابتعاد عن تلك العادة الضارة والسيئة ، ولقد رأيت أطفالاً فى عمر الزهور وهم يمتصون الدخان من السجائر بشراهة تامة فتألمت لهذا المنظر وحزنت فى الوقت نفسه لما سيلاقونه مستقبلاً من مشكلات سببها هذه العادة الدخيلة الذميمة ، وإن أعجب ما فى الأمر أن يعرف المدخنون بأضرار هذا التدخين ثم يقدمون عليه عن عمد واصرار شأنهم فى ذلك شأن الفراشة التى تلقى بنفسها فى قلب النار لتحترق ، وأعجب من هؤلاء الأطباء الذين يتعاطون التدخين مع معرفتهم الكاملة بما يسببه من أمراض أهمها وفى مقدمتها السرطان ثم لا يمنعهم ذلك عن الابتعاد عنه ، بل والدعوة إلى تركه من خلال معرفتهم بمضاره .

وإنه لتحضرنى بهذه المناسبة حكاية سمعتها من أحد الأصدقاء ، أنقلها كما هى علها تفيد إخواننا المدخنين .. تقول هذه الحكاية : أثبتت الاحصائيات الطبية الأمريكية بأن خمسة وسبعين فى المائة ممن يفقدون حياتهم نتيجة للسكتة القلبية هم من المكثرين من التدخين . والتعليل العلمى لذلك هو أن حياة الانسان متوقفة على حركة القلب وحركة القلب بالتالى متوقفة على الدورة الدموية والدورة الدموية طريقها إلى القلب العروق والغازات التى تنبعث من السيجارة تتسلط على مجارى العروق فتسدها ، وهنا تتعطل الحركة الدموية عن القلب ، وعندما تتعطل حركة الدم عن القلب يتوقف عن الحركة وإذا توقف القلب عن الحركة فقدت الحياة .

وانطلاقاً من هذا فإن خطر التدخين على صحة الانسان أمر لاشك فيه لصحة الكبار فكيف به على صحة الصغار ، الذين لا تتحمل صدورهم الصغيرة الناعمة تلك الغازات التى تسبب لهم الأمراض

الكثيرة ؟ ومعنى هذا أن جيلاً سينشأ على التدخين سوف يكون مجتمعاً يحمل معه مشاكله الصحية والاجتماعية ، ومن أجل هذا فحماية الشباب من هذا الوباء أمر واجب على كل مواطن بقدر واجب أمته عليه ، لأن الوقاية كما يقال خير من العلاج وتعمد الضرر لا يقره العقل ، والشاب فى فورة شبابه وفى كثير من الأحيان لا يدرك مصلحته ولا أبعاد ما يضره ، فيوقع نفسه فيما هو ضار به دون تفكير بالعواقب ، وأكثر ما يوقع الشباب فى كثير من المشكلات هو التقليد الأعمى ، والاختلاط بأصحاب السوء ، والآباء والأمهات ورجال التربية هم المسؤولون فى الدرجة الأولى عن التساهل فى مثل هذه المشكلة ذلك أن التوجيه المستمر وتوضيح الأضرار التى تسببها هذه العادة غير المحمودة ، يجعل الشاب يعيد النظر فى إقدامه على ممارسة هذه العادة أو الاستمرار عليها ، ولقد علمتنا التجارب بأن التوجيه الهادىء ، والارشاد القائم على المنطق ، يرغم الانسان على التفكير فى كل ما يريد القيام به من عمل حتى لا يوقع نفسه فى مشاكل هو فى غنى عنها .

ولا شك أن للآباء والأمهات دوراً كبيراً فى تجنيب الشباب الكثير من العادات الضارة بما فيها التدخين ، وذلك عن طريق التوجيه والقدوة الحسنة ، وتوضيح المضار التى تنجم عن كل عمل لا يتفق مع الخط الواضح للشريعة التى تدعو الابتعاد عن كل ما يضر بالصحة أو العرض أو المال ، ورجال التعليم فى المدارس وعلماء الشريعة عليهم مسؤولية أيضاً فهم مدعوون إلى توجيه هذه البراعم الغضة إلى ما ينير أفكارها لتجنب كل ما هو غير مفيد والدولة ممثلة بأجهزتها المتخصصة ، كما أنها مدعوة إلى محاربة الأمراض الوبائية فى المجتمع فهى كذلك مدعوة من خلال أجهزتها الاعلامية إلى توجيه الشباب وعلى مختلف مستوياتهم العقلية إلى تعريفهم بما يعود عليهم بالضرر وإلى ما فيه نفعهم فى الدنيا والآخرة ..

ومن هنا ينشأ الشباب المسلم صحيح الفكر سليم الجسم ..



الأصدقاء

حينما يستعرض الانسان المجتمعات البشرية ، يجد أنه ما من رجل أو امرأة أو شاب أو فتاة ، إلا وله صديق أوصديقة ، اللهم إلا بعض الشواذ ومسلوبى العقل ، فهؤلاء لهم حياتهم التى تحكمهم ، أما غير هؤلاء فيكاد أن يكون من المستحيل ألا يوجد لهم أصدقاء ربما يكثرون ويقلون ، وربما لايكون إلا صديق واحد أوصديقة ، لكن تصور إنسان عاقل يعيش دون صديق أمر نكاد أن نجزم باستحالته ، لذا كان لابد من إدراك حقيقة ثابتة هى أنه لابد للانسان فى حياته من صديق يأنس به ، ويبثه شكاته ، ويركن إليه ، والمهم هنا ليس العثور على صديق أى صديق ، فالباحثون عن الصداقة لمصالح معينة ، ومن أجل منافع خاصة ، تضيق بهم الشوارع والطرقات ، وإنما المهم اختيار الأصدقاء ، ذلك أن عملية اختيار الأصدقاء أمر فى غاية الأهمية إذ من المعروف بداهة مدى تأثير الصديق على صديقه بسبب ملازمته له وثقته فيه ، ومن هنا تأتى أهمية اختيار الأصدقاء ، فصديق صالح يجلب الخير ، وصديق فاسد يدفع إلى الشر ، ولقد كان تشبيه الرسول علية الصلاة والسلام ، للجليس الصالح والجليس السوء بحامل المسك ، ونافخ الكير ، فى غاية الدقة والروعة إذ قال عليه السلام : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كمثل حامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد منه رائحة طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه رائحة كريهة » والواقع أن هذا الوصف ينطبق تماماً على الصديق الصالح ، والصديق السوء ، فالأول يستفيد منه صديقه ، أشياء كثيرة من أهمها المحافظة على دينه ، والاستقامة فى سلوكه ، والنزاهة فى خلقه ، والثانى يتأسى بصديقه فى بعده عن دينه ، وانحراف سلوكه ، وقذارة خلقه ، فيقع فى مهاوى الرذيلة ، وشباك الشر ، والصداقة الباقية والمفيدة هى تلك التى تقوم على الحب الخالص لله وكل صداقة لا تقوم على هذا الأساس مآلها إلى الفشل طال الزمن أم قصر ، ومآسى جلساء السوء تفوق العد ، لكننى وأنا أحرر هذه السطور فى الحرص على اختيار الأصدقاء تحضرنى قصة قصيرة لأحد الشباب ممن تربط بينى وبينه رابطة قوية ، جره أصدقاء السوء إلى متاعب مضنية ، كان والده رحمه الله رجلاً صالحاً ، وكان هو شاباً هادئاً ولطيفاً ، لا تكاد تقع عينك عليه إلا وتتراءى فيه البراءة ونزاهة الخلق ، إلى أن استولى عليه أصدقاء السوء ، فانحرفوا به عن جادة الخير ، واستمر فى هذا الطريق فسار فيه فى غفلة من عقله ، وكعادة المنحرفين دائماً يبدأ الواحد منهم فى ممارسة الجريمة فيندم المرة والمرتين ، ثم يطمس على قلبه ويصاب بسعار فى مواصلة العمل

فى الطرق العفنة ، وسار صاحبنا هذا ، يقضى أيامه الخاسرة مع قرناء السوء ، حتى أصبح لا يخرج من السجن إلا ليعود إليه مرة أخرى ، وذات ليلة جاءنى أخوه الأكبر باكياً ليخبرنى أن أخاه قد أودع السجن وفهمت من حديثه أن النزاع كان بسبب قضية أخلاقية قذرة حدثت بينه وبين بعض أصدقائه ، وهكذا بقى هذا المسكين بسبب أصدقاء السوء ، يعيش فى تعاسة دائمة ، وليس هذا وحده هو الضحية فهناك الأعداد الهائلة من ضحايا البشر ، ضاع عليهم مستقبلهم وخسروا دينهم ودنياهم ، كل ذلك كان بسبب أصدقاء السوء ، ﴿ الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ﴾ من هنا كان لابد لكل إنسان يريد الخير لنفسه أن يحسن اختيار أصدقائه ، ففى ذلك سلامته وفيه خيره وسعادته .

وأضر الصداقات وأشدها خطراً مصادقة الأعداء ، وخاصة العداوة التى منشأها العقيدة فالشيوعيون واليهود والنصارى وعبدة البقر والأوثان هؤلاء جميعاً وغيرهم من أمم الكفر صداقاتهم التى يظهرونها للمسلمين صداقات لا تقوم على الترابط القلبى والود الصادق ، ما يظهرونه للمسلمين من تعاطف ليس إلا من أجل مصالحهم التى يحصلون عليها من ثروات المسلمين المادية ولذا نهى الله عن حبهم وتولية شىء من أمور المسلمين لهم وعدم الثقة فيهم فيما يدعونه نحو المسلمين من حب وتعاطف ، جاء ذلك صريحاً فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ ، ولقد أكد لنا ذلك تاريخ هؤلاء مع الاسلام ومع المسلمين فى كل مكان من الأرض ، فمع الاسلام لم تتوقف المعارك الكلامية والعسكرية بينه وبينهم منذ فجر تاريخه حتى يومنا هذا ، ومع المسلمين فالاضطهاد لهم وعدم إعطائهم حقوقهم كمواطنين ، وحرمانهم من فرص التعليم وعدم الاهتمام بشؤونهم فى تلك البلدان التى يحكمها غير مسلمين أمر محسوس ومشاهد حتى يومنا هذا ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ، ومن أجل هذا فنحن نتهم بالغباء إذا نحن صدقنا بادعائهم حب المسلمين على أى شكل من أشكال الحب أو صورة من صوره ، لأنه لا يمكن أبداً أن يكون هناك بيننا وبينهم لقاء على أساس من الحب الخالص ما دمنا نؤمن بالاسلام ونعمل به ، وهذا أمر أعتبره مسلماً به استناداً إلى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ وكلمة لن هذه نفى قاطع لعدم قيام محبة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى ما دام المسلمون ملتزمين بتعاليم إسلامهم ، ومثل اليهود والنصارى غيرهم من أمم الكفر ، لأن الكفر ملة واحدة ، ولأن تجارب التاريخ أثبتت أن هذه الأمم التى ما تزال تظهر الصداقة للمسلمين ، ما فتأت تمعن فى عدائها للاسلام والمسلمين ، سراً وجهاراً ولن تحيد عن هذا الخط العدائى أبداً ، إلا إذا زال الاسلام من قلوب المسلمين نهائياً وحتى لو بقى مجرد هوية فإن هذا لا يرضيهم ، ومن هنا نؤكد عداوتهم المستمرة وأن المصالح المادية مهما كبر حجمها لا تغرس الحب فى قلوبهم ، وإنما الذى يغرسه أن نكون كفاراً مثلهم وهذا مالا يتحقق بإذن الله ، وسيبقون أعداءً لنا مابقيت أرض وسماء وذلك إذا بقوا على كفرهم وبقينا على إسلامنا ، ولنحذرهم لأنهم غير أصدقاء ..

حول للدين قدرات لم يتجاوزها

تحت هذا العنوان نشرت مجلة اقرأ فى عددها الصادر برقم ١٧٣ كلمة للأستاذ / إسماعيل حمدى ، تعرض فيها لما اسماه بالخطأ الجسيم الذى يتردد بصورة مزعجة فى معظم الرسائل والكتب الحديثة التى يوالى تقديمها المفكرون الاسلاميون ، وقال : ما من شك فى أن تكرار هذا الخطأ مرده إلى حسن الظن الواجب بالدين ، وأن له قدرة غير عادية ، وأن فى وسعه ــ بناء على حسن الظن هذا ــ تقديم حلول لا تنتهى لمشاكل لا تنتهى .

ويطرح السؤال التالى فيقول : لكن إلى أى مدى يذهب بنا حسن الظن هذا ؟ ويجيب هو عن هذا السؤال فيقول : لابد من حد مرسوم لا ينبغى تخطيه وإلا شط بنا الخيال ، ودخل بنا عالم الأحلام الذى تأخذ فيه الأشياء أحياناً صوراً مستحيلة التحقيق .

ووجود حد مرسوم لحسن الظن بالدين لا يعنى أبداً عجز الدين عن الفعل أو التأثير أو الاصلاح ، وإلا انعدمت الجدوى وضاعت الحكمة فى تنزيله والدعوة إليه ، إنما يعنى وجود هذا الحد المرسوم أن له اختصاصاً لا يتجاوزه ولا يرضى بالخلط بينه وبين سواه .

وأجيب الأخ إسماعيل ــ عن هذه النقطة ، لأستكمل معه بقية النقاط الأخرى .. وقبل الاجابة على هذه النقطة المذكورة يطيب لى أن أقول للأخ الكاتب إن الحكم على الشيء فرع من تصوره ، كما تقول القاعدة الأصولية ، معنى هذا أن إصدار أى حكم فى أى أمر من الأمور لا ينبغى أن يتم إلا بعد استيعاب ودراسة لكل السلبيات والايجابيات لذلك الأمر ، حتى يصدر الحكم سليماً من كل الثغرات ، وحتى يصيب الحاكم الهدف المطلوب منه ليصل بذلك إلى النتيجة الصحيحة .

وبودى لو أن الكاتب لم يتسرع فى إصدار حكم كهذا يعلن فيه خطأ من يقول : إن الاسلام قادر على حل المشكلات التى تظهر فى المجتمع ، ولا أدرى فيما إذا كانت دراسة الأخ دراسة متخصصة فى الشريعة الاسلامية حتى يعطى هذا الحكم القاطع ، أو أن دراسته مجرد ثقافة إسلامية عامة ، وعلى أى حال فمن حق كل واحد أن يقول رأيه ، لكن بشرط أن يكون ذلك الرأى صادراً عن علم ،

وإلا كان ذلك ضرباً من الكلام غير المسؤول ، ومع احترامي لرأى كل من يحاول البحث للوصول إلى ما فيه خدمة الدين ، فإنى أقول : اللهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا أتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

ولا شك أن كل إنسان يصيب ويخطىء ، والكمال المطلق لله جلت قدرته ، فإذا قال الكاتب بأن بعض الكتاب الاسلاميين ، قد قال خطأ عندما أحسن الظن بالدين ، وقال : إنه قادر على حل كل المشكلات التى تظهر فى المجتمع ، ألا يجوز أن يكون هو المخطىء فى هذا الكلام ؟ هو فى الواقع متأكد حسب فهمه أن الحق معه ، بمعنى أن الاسلام غير قادر على حل كل المشكلات التى تظهر فى المجتمع ، وأنا أخالفه فى هذا الرأى ، ومخالفتى له لا تعنى سوى الوصول إلى الحقيقة ومن هنا أبدأ الحوار بشىء نعرفه جميعاً ، وهو أن هذا الدين الذى ارتضاه الله لأن يكون ديناً عاماً للبشرية كلها هو آخر الأديان السماوية ، لذا اقتضت حكمة الله الذى يعلم مصالح خلقه أن يأتى شاملاً لكل متطلبات الحياة ، قادراً عن طريق ، الالتزام بتعاليمه إلى اسعاد الانسان فى دنياه وآخرته ، وفصل الدين عن الدنيا غير ممكن إلا أذا استطعنا فصل الدين عن الدين وهذا أمر مستحيل ، والإسلام فى واقعه يختلف عن الأديان الأخرى ، ذلك أن الديانات ما قبل الاسلام ما كانت لتهتم بأمور الحياة ، مثلما اهتم بها الاسلام الشىء الذى لا نستطيع معه عزله عن شؤون الحياة دقيقها وجليلها .

فالصلاة والزكاةوالصيام والحج عبادات لله والرياضيات والعلوم والطب والفلك عبادات لله إذا قصد منها خدمة الاسلام والمسلمين ، وكذلك كل العلوم التى وجدت حتى الآن ، والتى ستوجد فى المستقبل إذا كان فيها خير للاسلام والمسلمين فإن إدراك هذه العلوم قربة إلى الله وعلى هذا فإن مطالبة الكاتب بوضع حد لاختصاصات الدين لا يتجاوزها مطلب غير وارد .

أما النقطة الثانية ، فيقول فيها : (ولئن كان لاختصاصه سعة حتى ليغطى مساحة كبرى من الشؤون الانسانية ، ويتناول مجالات شتى سواء فى العقائد ، أو العبادات أو الأخلاقيات أو أحكام الحلال والحرام ، أو الدعوة والجهاد .. الخ ، إلا أنه رغم سعة هذا الاختصاص وتعدد مجالاته ، لا يحاول البتة أن يحتكر العمل فى كل ناحية ، أو يستأثر بكل شىء ، أو يسلب غيره حقه واختصاصه ، لأنه لو فعل هذا لضيق مجال التحرك لدى الانسان) وخلص من هذا إلى أن قال: (وتأسيساً على هذا لا يتدخل الدين فى كيفية فلاحة الأرض ، أو مكافحة تزييف النقد ، أو مشاكل الطاقة ، أو التضخم ، أو هبوط العملة) إلى أن قال : (فمشكلة فنية حلها فى ابتكار جهاز مثلاً ، ما للدين ولها ؟ ومشكلة رياضية حلها فى الوصول إلى معادلة معينة ما للدين ولها ؟ ومشكلة الأمن الغذائى حلها فى استنباط موارد جديدة ما للدين ولها ؟) وهنا أدعو الأخ الكاتب أن يتذكر شيئين :ـــ

أولهما : قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾ .

وثانيهما : أن المصدر الأول للتشريع وضع الوقاعد العامة لحل مشكلات الحياة وترك مجال التحليل والتفصيل وطرق الوصول إلى الغاية ، للعقل ، يفكر كيفما يحلو له التفكير ، ويفصل بقدر ما يستطيع من التفصيل ، وما جاء الدين ليلغى العقل ، ولا ليحد من تفكيره ، أو يكبح من جماح طموحه ، وإنما جاء ليطلق له العنان ليجول فى كل مناحى الحياة ، باحثاً عما يسعد الانسان فى حياته وبعد موته ، **وليس أصرح فى هذا من قول الله تعالى : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض .. لآيات لأولى الألباب ﴾** وقوله : ﴿ أفلا تذكرون ﴾ ، ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ وما إلى ذلك من آيات وأحاديث وردت عن الرسول ﷺ ، تدعو الانسان إلى التفكير والتعمق فى أسرار الحياة .

وحينما حض الاسلام على العمل وأمر به ، وقال :﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ وقال : ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ﴾ وقال : ﴿ وأعدوا لهم ما استعطتم من قوة ﴾ وجعل الانسان خليفته فى هذه الأرض يفجر ينابيعها ويزرع أرضها ويستخرج كل خيراتها ، كان أمره عاما ، وكانت حكمته بالغة حينما ترك اختراع الوسائل لعقول البشر تبحث عنها وتعمل على ايجادها ، فإذا لم يتعرض الدين لكيفية فلاحة الأرض ، أو لم يوضح كيفية بناء المصنع مثلاً فإنه ترك ذلك للعقل البشرى يكيفه بالطريقة التى يرى أنها مناسبة ومؤدية للغرض ، ومثل هذا مشاكل الطاقة والتضخم وهبوط العملة وغيرها ، كلها أمور وضع الاسلام القواعد العامة لها وترك الطرق والوسائل لعقل الانسان يستعمل عقله فيها .

ومع هذا أحب أن أقرر حقيقة لا جدال فيها ، وهى أن الاسلام لا يقف من مكافحة تزييف النقد ، أو مشكلة الطاقة أو التضخم المالى أو هبوط العملة ، موقف العاجز عن الحل لهذه المشكلات وأمثالها كما يتصور ذلك الكاتب المذكور ، وإنما أعطى للحاكم الحرية المطلقة فى استعمال كل الوسائل داخل إطار الاسلام الواسع وعلى ضوء القواعد العامة التى رسمها من أجل ايجاد الحلول التى تتحقق بها مصلحة المجتمع ، وإذا لا سمح الله وقصر فى ذلك فإنه يتحمل بهذا مسؤوليته أمام الله لأنه قصر فى معالجة أمر هو جزء من مسؤوليته العامة ، كان مفروضاً عليه أن يبحث من خلال القواعد العامة لتعاليم الاسلام عن حل له من أجل مصلحة الأمة ، وهذا هو دور الاسلام فى حل هذه المشكلات وأمثالها التى يرى الكاتب أن الاسلام لا دخل له فيها ، ولعل الكاتب الآن بعد هذا التوضيح يكون معى فى أن رسم حدود لاختصاص الدين لا يتعداها ، أمر لا يتفق مع طبيعة تعاليم الاسلام .

وفى العدد من المجلة نفسها رقم ١٧٤ أعاد ما ذكره فى العدد ١٧٣ من اتهام للدين بأنه لا يملك أى حل لكثير من المشكلات ، بل ولا يحاول الدنو منها وأن الذين يرون أن الدين قادر على حل كل

المشكلات ، يحملون الدين مالا يحتمله ، وتساءل مع نفسه عن الحد الذى تقف عنده قدرة الدين على تقديم الحلول ، وأجاب عن هذا السؤال بقوله : إن معرفة هذا الحد تتوقف على فهم الدور الموكول إلى الدين فى حياة الانسان ، وبالطبع وحسب فهمه حصر دور الاسلام فى الحياة فى ثلاثة أشياء .

أولاً : بناء العقيدة من أجل ايضاح عدد من الحقائق ، كوجود الله وخلق الانسان وحقيقة مهمته فى العالم ومصيره بعد الحياة ، والمناخ الذى يترعرع فيه الفرد ويقصد به العبادات كالصلاة مثلاً وما يلزم لها من فرائض وسنن وغيرها من العبادات الأخرى من صيام وحج وزكاة وغير ذلك من العبادات .

ثانياً : المقياس الأخلاقى والانسانى ويقصد به بيان الفضائل والرذائل .

ثالثاً : المقياس الاجتماعى والانسانى ويقصد به الحلال والحرام .

ثم وبعد حصره دور الاسلام فى محيط هذه الأمور الثلاثة ، قال : فى هذه الجوانب نجد للدين عملاً ، وفيما وراءها لا نجد له أى عمل ثم يتابع كلامه فيقول : فيما خلا استثناء واحداً ، هو أنه حين يكون للمشكلة صلة ما من تلك الجوانب ولو لم تكن لها كل الصلة يتقدم فيها بوصية أو تذكير أو توجيه يوقظ لها ضميراً ربما كان غافياً أو ينبه إلى عنصر من عناصر الحل بما كان منسياً .. هذا هو ملخص ما جاء فى عدد المجلة رقم ١٧٤ ..

والكاتب هنا — هداه الله — بحصر دور الاسلام فى هذه الأمور الثلاثة يريد أن يؤكد أن قدرات الدين التى يطالب ألاّ يتجاوزها لا تتعدى هذه الأمور الثلاثة : العقيدة — العبادات — الأخلاق .

أما الجوانب الأخرى للحياة الانسانية غير هذه الأمور الثلاثة كالتخطيط السياسى والاقتصادى وعلوم البحار والفضاء والطب وما إلى ذلك من العلوم الأخرى كعلم طبقات الأرض وغير ذلك من علوم الحياة ، فالدين فى نظر الكاتب لا دخل له فيها ، لأنها ليست من الأمور الثلاثة التى يطالب أن لا يتحرك الاسلام إلا داخل إطارها فقط ذلك الأمر الذى اختلف معه فيه تماماً ، وأذكر آية واحدة من كتاب الله للرد عليه ، هذه الآية هى قوله تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ وأعدوا لهم ما استعطتم من قوة ﴾ والقوة هنا ليست مقصورة على البندقية والسيف والمدفع ، وإنما شمل كل ما من شأنه تقوية الاسلام والرفع من شأن المسلمين والذى لا يجادل فيه عاقل ، أن التخطيط السياسى المدروس ، وازدهار الاقتصاد ، ودراسة علوم البحار ، والفضاء ، واكتشاف ما فى الأرض من ثروات معدنية وغيرها أمور حث الدين على تعلمها ، لما لها من آثار كريمة يأتى فى مقدمتها جعل الأمة الاسلامية قادرة عن طريق معرفتها بعلوم الحياة المختلفة على حماية نفسها من المتربصين بها وبالدين الذى رفع من شأنها ، وما أظن أن الأخ الكاتب بمستطيع مهما حاول أن يأتى بدليل واحد من كتاب الله أو سنة رسول الله الصحيحة الثابتة يدل على أن قدرات الدين لا تتجاوز الثلاثة التى ذكرها وبكل تأكيد فإنه وعلى ضوء قوله :

فيما عدا هذه الأمور الثلاثة : العقيدة ـــ والعبادات ـــ والأخلاق لا نجد للدين أى عمل ، يرى أن يعزل الاسلام عزلاً تاماً ، ولا يلتفت إليه فى أى شأن من شؤون الحياة عدا الثلاثة الأمور التى حددها ، وهو رأى فى منطق الاسلام مرفوض جملة وتفصيلاً .

وفى العدد ١٧٥ من المجلة المذكورة تابع الكاتب إسماعيل حمدى ـــ بحثه فى هذا الموضوع بقوله : وقد ضرب الله لنا المثل فى الكتاب العزيز فى قضية اختصاص الدين وحدود هذا الاختصاص لكى يكون واضحاً أن لكل شيء نصاباً لا يتعداه ، وأن الخلط بين مسؤولية الدين ومسؤولية سواه ضرب من الفوضى الفكرية والعلمية ، وضرب لذلك مثلاً بالسؤال الذى وجه إلى الرسول ﷺ عن تغير القمر من هلال إلى بدر إلى محاق فى قوله سبحانه تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ﴾ وقال : **إن مغزى العدول عن الاجابة المنشودة إلى الاجابة الواردة هو أن ما يرغبون فى معرفته من اختصاص العلم وحده ، والدين لا يتعدى على اختصاصه حتى لا يقطع الطريق عليه ولا يصادر نشاط العقل أو يحرمه شرفه .**

والحقيقة فى هذه النقطة بالذات أن الأخ حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء ، لقد غاب عن ذهنه ، أن الاجابة عن السؤال على هذا الشكل هو عين الحكمة والصواب ، بالنسبة لأناس لم يتطور العلم فى وقتهم كما هو الحال بالنسبة لنا الآن . وما أدرى لو جاءت الاجابة على غير هذا الشكل بمعنى لو أن الله أجاب عن السؤال بأشياء علمية لم تكن معروفة ومحسوسة لدى أولئك الناس فى ذلك العصر البدائى أكانوا يقتنعون بتلك الاجابة أو تتقبلها عقولهم ؟ بمعنى أكثر وضوحاً لو أن الله جلت قدرته أجابهم عن أسباب تغير القمر من هلال إلى بدر ألى محاق ، بأن ذلك راجع إلى مدارات الأرض حول الشمس مثلاً هل كانت عقولهم تهضم مثل هذا الكلام ؟ شبيه بهذا قول الله سبحانه وتعالى فى سورة الغاشية : ﴿ أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ فالله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات ، خاطب الناس بما هو محسوس لهم ومشاهد أمام أعينهم لتكون قناعتهم بما يطلب منهم كاملة ، وليسمح لى الأخ الكاتب بالسؤال التالى :

لو أن الله الذى يعلم ما كان وما يكون وما سوف يكون خاطب أولئك القوم فى ذلك الزمن بشيء آخر غير محسوس لديهم ، مما هو موجود لدينا فى هذا العصر ، فقال مثلاً : (وأستغفر الله إن كان فى ذلك شيء من الخطأ) أفلا ينظرون إلى سفن الفضاء وهى تخترق الجاذبية الأرضية لتصل إلى الكواكب الموغلة فى البعد ، وإلى الطائرات وهى تركب متن الهواء لتقطع المسافات البعيدة فى وقت قصير ، وإلى الغواصات وهى تغلغل فى أعماق الماء لتصل إلى قيعان البحار ، أقول لو حصل هذا فى ذلك الوقت الذى لا تعرف فيه سفن الفضاء ولا طائرات ولا غواصات أكانت عقول أولئك القوم تدرك هذا أو تتصوره ؟

فإذاً مغزى العدول عن الاجابة المنشودة ليس لأن هذا من اختصاص العلم كما يزعم ذلك الكاتب ، وإنما كما قلت من قبل إن الله سبحانه وتعالى دائماً يخاطب الانسان ويضرب له الأمثال بالأشياء الواقعة تحت نظره فى هذه الحياة .

ويمضى الكاتب فى بحثه ، ويقول : لا بل نقول بلا تردد إن المشاكل التى يكون حلها من اختصاص الدين وحده ، لا يجوز مطلقاً أن ننتظر منه حلها فى كل وقت ودون قيد أو شرط ومثل لذلك بالانحلال الجنسى الذى يرى أنه لا يمكن حله إلا بتطبيق أوامر الدين ونواهيه المقررة فى وقاية المجتمع ، كالأوامر والنواهى الخاصة بنظام الأسرة من الملابس الساترة ، إلى الاختلاط المشروع إلى حجب كل دواعى الفتنة ، ثم يقول : وما لم نضع فى تقديرنا هذه العوامل مجتمعة ، فإنه من الباطل أن نطلب من الدين حلاً لمشكلة لمجرد أنها من اختصاصه .

وهنا أذكر الأخ الكاتب ، بقول الله لنبيه ﷺ : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وقوله أيضاً : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ وأطمئنه أن المشاكل التى ذكر حلولها موجودة فى تعاليم الاسلام المتمثلة فى الأوامر والنواهى والتوجيهات ، فإذا قصر المسلمون فى تطبيقها على حياتهم وبقيت المشكلات قائمة ، فإن الذنب ليس ذنب الاسلام وإنما ذنب المسلمين الذين لم يلتزموا بأوامر الله ونواهيه ، تلك الأوامر والنواهى التى لا تبقى مع تنفيذها أى مشكلة كانت صعبة ، فلو أن المسلمين وقد أمرهم الاسلام بالابتعاد عن الرذائل طبقوا هذا الأمر لما وجدت الرذائل فى المجتمع ، وعلى هذا فقول الكاتب : إن المشاكل التى يكون حلها فى اختصاص الدين وحده ، لا يجوز أن ننتظر منه حلها فى كل وقت ودون قيد أو شرط ، قول لا يستحق الاهتمام به لعدم انطباقه على واقع الدين .

وفى نهاية هذا المقال قال : ولا نريد أن نختم هذا الموضوع دون أن نشير إلى موقف بالغ الغرابة لا ندرى كيف يرضاه أصحابه لأنفسهم لأنه غير معقول إلا فى منطق الطبيعة والحمقى ذلك الأمر هو أن المسلمين كثيراً ما يخلقون المشاكل لأنفسهم وبأيديهم ثم يسألون الدين حلاً لها ثم يقول بعد ذلك ونشفق على المشتغلين بالدعوة الاسلامية حين يحاول السفهاء والكسالى إحراجهم بأن المشاكل فى المجتمعات الاسلامية تكثر وتتعدد وتتعقد والاسلام فى زعمهم يمثل دور المتفرج أو دور المفلس الذى لا يملك نفع أحد وأنهى مقاله بقوله : إن للدين وظائف محددة ومجالات لا تنساب انسياباً فى مجالات أخرى متروكة عمداً وقصداً للعلم وسائر فروع النشاط الانسانى .

والكاتب هنا يعيد ويكرر ما يراه من أن الدين لا مجال له فى غير العقيدة والعبادات والأخلاق وحتى هذه الأمور الثلاثة لا يرى أن ننتظر من الدين حلاً لكل مشكلاتها ، ولن أعيد ما قلته سابقاً من موقف الدين من أمور الحياة ، لكنى وبكل عطف أحب للأخ الكاتب أن يعيد دراسته لتعاليم الاسلام من جديد ليتأكد أن رأيه هذا **بعيد** عن الصواب ، وإن عجزنا عن ايجاد الحلول لكثير من المشكلات

التى تواجهنا فى الحياة ، ليس مرده إلى أن الدين لم يضع لها الحلول ، وإنما هو بالدرجة الأولى راجع إلى قصور فهمنا لتلك الحلول الموجودة داخل إطار الاسلام العام .

أما اتهام الاسلام بأنه لم يوجد الحلول لمشكلات الحياةفاتهام يرفضه الواقع لهذا الدين الصالح لكل زمان وكل مكان وكل أمة ..



الأقصى يحترق

جريمة حرق المسجد الأقصى على أيدى اليهود ، جريمة لا تستغرب منهم ولا تستنكر عليهم فتاريخهم منذ أن وجدوا حافل بكل المآسى والمصائب ، وعدواتهم للاسلام والمسلمين عريقة فى القدم ، وما من مؤامرة تحاك حول هذا الدين الذى أرسل به إلى البشرية محمد بن عبد الله — ﷺ — إلا وهم وراءها بكل أساليبهم يغذونها ويعملون على انجاحها وما من مذهب يقوم على هدم أخلاقيات العالم ومثله إلا وهم المخططون له والمروجون لانتشاره ، فالشيوعية مثلاً وهى تقوم على محاربة الديانات السماوية هم مخترعوها ، والدعارة والمجون ونوادى العرى هم المؤسسون لها ، وكل نظرية تهدم القيم والمثل الانسانية هم السباقون لها والداعون إليها ، ومن هنا يظهر اليهود على حقيقتهم ويبرز ما يخططون له من تحطيم العالم وافساده ومحاولة السيطرة عليه بكل الوسائل الوضيعة والطرق الملتوية .

وحرق المسجد الأقصى ما هو إلا حلقة من سلسلة من المؤامرات الكثيرة التى يقوم بتدبيرها اليهود من أجل ازالة كل أثر له علاقة بالاسلام ، ولقد كان مؤلماً أن يتحدى اليهود شعور المسلمين باقدامهم على احراق أولى القبلتين وثالث الحرمين ، لكن هذه هى طبيعة نفوسهم التى جبلت عليها ، وفى غمرة الفاجعة المؤلمة والاستهانة بمشاعر المسلمين فى كل مكان ، كان لابد من بحث الأسباب التى حملت اليهود على هذا التحدى والاستهتار وعدم الاهتمام بما سوف يحدثه هذا العمل من آثار سيئة لدى جميع المسلمين فى أى مكان من الأرض لكنهم وهم يدركون ما عليه المسلمون من عرب وغير عرب من تفرق فى الكلمة واختلاف فى الرأى وتباعد فى الأفكار ، إلى جانب نشوة الانتصار فى ميدان الحرب ، لم يضعوا فى اعتبارهم انزعاج أحد من عمل كهذا ، إن لم يكونوا متعمدين إيذاء مشاعر المسلمين واشعارهم بالاهانة وعدم الاهتمام بهم وهذا هو الأقرب إلى طبيعة اليهود وهو الطريق الذى سلكوه مع المسلمين عبر تاريخهم الطويل الحافل بكل الحقد والعداء والكراهية ، وليسوا لذلك بمنكرين ولسنا كذلك بحاجة إلى دليل عليه والقرآن الكريم يقول فى هذا المعنى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .. ولذا فإنهم سوف يبقون على حقدهم دائماً وأبداً ما دام المسلمون مسلمين واليهود يهوداً .

وحينما نريد البحث عن عدم مبالاة اليهود بمشاعر المسلمين ، وعدم اهتمامهم بهم ، نجد أن ذلك جاء من قبل المسلمين أنفسهم وبسببهم فانعدام رابطة العقيدة فيما بينهم وابتعادهم عن أوامر الله كان سبباً فى تفرقهم والتفرق كفيل برفع الهيبة عنهم كما قال الله فى كتابه العزيز : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ وابتعادهم عن الله بالذنوب والآثام سبب لهم الاستخفاف بشأنهم ، فكانوا مع كثرة عددهم ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ـــ قالوا : أمن قلة منا يا رسول الله ؟ قال : لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب غيركم فتجعل فى قلوبكم » .

ومن هنا ندرك أن الأسباب الحقيقية فى نزع هيبة المسلمين من قلوب أعدائهم هو بعدهم عن الله ، وانتهاجهم طريقاً غير طريق الله ولسوف يزداد الحال سوءاً إذا لم يعد المسلمون إلى تطبيق شريعتهم عبادة وسلوكاً ومنهجاً للحياة .

وبعد : فإن الأمة الاسلامية مدعوة لأن تكون يقظة لكل ما يدبر لها من مؤامرات دينية أو غيرها وهى بحكم رابطة العقيدة الواحدة التى هى أقوى وأقدس من رابطة الأرض والجنس مدعوة أيضاً لأن تكون أمة واحدة متماسكة البناء متحدة الهدف مجتمعة الكلمة ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد والأمثل لحماية حقوقهم من الأخطار التى تهددهم فى أعراضهم وكرامتهم ومقدساتهم ، وأهمها خطر اليهود مصاصى دماء الشعوب ومحرق المسجد الأقصى ، ولن يقف حقد اليهود عند هذا الحد ولن يتوقفوا عن كل ما يؤذى الاسلام والمسلمين ، لو طمعوا فى هدم بيت الله لما ترددوا ، ولو كان فى مقدورهم مسح الاسلام من الأرض وقلب المسلمين إلى يهود وشيوعيين لما تهاونوا فى ذلك ، بل هى أمنية من أمانيهم التى يخططون لها لا فى هذا الزمن وإنما منذ أن بزغ فجر الاسلام ، وفى مواقفهم العدائية من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومحاولاتهم فى الوقوف أمام المد الاسلامى ومحاربة الدعاة إلى الله فى كل زمان ومكان ، لدليل على الحقد المتأصل فى قلوبهم ضد هذه الأمة وقيمها الأخلاقية ، وحقدهم الذى استمر ضد الاسلام وسيبقى ما بقى يهودى على الأرض ، ناشىء فى الدرجة الأولى من أمر واحد ، وهو أن الاسلام دين يدعو إلى كل القيم والأخلاق التى ترتفع بالانسان إلى المستوى الكريم الذى أراده الله له ، ونفسيات اليهود الهابطة وطبائعهم المتدنية لا تستطيع العيش إلا فى ظل الانحلال الأخلاقى وهذا هو السبب الذى جعل اليهود يحاربون الاسلام فى غير مواربة من أجله ، فهم فرسان الدعارة والمجون فى العالم ، والاسلام يحارب كل ما من شأنه هدم أخلاقيات المجتمعات ، وهم شعب حاقد على المجتمع الانسانى كله وخاصة المجتمع الاسلامى لأنه يعتبر فى نظره العدو الأول له ، والاسلام يدعو إلى صفاء النفس ، وقيام المجتمع على أساس من الألفة والمحبة ونكران الذات ، وأهم من هذا وذاك هم مخترعو المذهب الشيوعى القائم على انكار خالق لهذا الكون ، والاسلام يقوم على عكس هذا المذهب إذ يعلن للعالم كل العالم أن هذا الكون كله له خالق وهو الله الذى يصرفه كيف يشاء .. وهم بالتالى قوم لا أمان ولا أمانة لهم ،

وشعب يخلو قلبه من الأمان والأمانة لا يرجى منه خير للانسانية لذا فإن وجودهم فى بلاد العرب يشكل خطراً كبيراً على قيم الأمة واقتصادياتها وليس من سبيل يمكن أن يحول بينهم وبين الوصول إلى أهدافهم التى يضعون لها المخططات على المدى البعيد سوى تحصين المجتمع بالعقيدة القائمة على منهج الله ، إلى جانب الاستعداد المادى بكل ما يستطاع من وسائل القوة التى تحفظ للأمة هيبتها من كل الأعداء ، وفى مقدمتهم جارة السوء إسرائيل التى فرضت بالقوة على بلاد العرب من قبل النصارى والشيوعيين ، لتكون تهديداً مباشراً للاسلام فى أرض الاسلام ، فإذا أقدمت دولة الصهاينة على احراق المسجد الأقصى فليس ذلك إلا بداية لأعمال أكثر فظاعة وأعظم جرماً ، واليهود بعملهم هذا لا يحسون بأنهم قد أقدموا على عمل يستحقون عليه الوصف بأنهم مجرمون فى حق الآخرين بسببه ، كما نتصور نحن حسبما تمليه علينا مشاعرنا الدينية ..

وهذا أمر يدعونا إلى المزيد من معرفة نفسيات هذا النوع من البشر الذى يزخر تاريخهم القديم والحديث بكل الأعمال المنكرة بداية بتقتيل الأنبياء ، وانتهاءً بالعمل على افساد الشعوب لتكون لهم السيطرة على العالم ، لأنهم كما يقولون شعب الله المختار .

ومهما يكن من شيء فإن حرق المسجد الأقصى ليس هو أعظم ما سيفعلونه للاسلام والمسلمين لكن علينا نحن وبكل جدية أن نعرف من هم هؤلاء الناس وما موقفهم من الاسلام قديماً وحديثاً وما هى أهدافهم بالنسبة للمسلمين حتى لا نؤخذ على غرة ؟ ونحمى أنفسنا من مكائدهم فهم أهل مكر وكيد وخداع .. وقوم هذه صفاتهم ، لابد وأن يكون الناس دائماً منهم على حذر شديد ..



شباب حائر

الشعوب دائماً تعتمد فى حياتها بعد الله ، على أفكار الشباب ، وسواعد الشباب وشجاعة الشباب ،لأنهم القلب النابض بالحياة فى جسم الأمة ، وعليهم تعلق الآمال فى كل المجالات ، ولأهمية الدور الذى يلعبه الشباب فى حياة الأمم ، تهتم الشعوب كلها بتربية شبابها حسب الخطط التى يرسمها لهم المربون ، وعلماء النفس على ضوء مصالح بلادهم وشعوبهم .

ونحن هنا وقد علمنا ديننا كيف تكون علاقتنا مع الله أولاً ومع الناس ثانياً لسنا فى حاجة إلى أن نطلب من الآخرين أن يرسموا لنا طريق الحياة ولا أن يمدوننا بثقافة لم تنبع من صميم حياتنا ولم تكن من تعاليم ديننا لأن فى نظم الاسلام وتعاليمه ، ما هو أصلح وأضمن لمصلحة الناس والشباب الحائر ، وما أكثر الشباب الحائر فى عالمنا المسلم ، فهم فى حاجة قصوى إلى أن يفهموا أن دين الاسلام ليس روحانياً لا يعترف بالمادة كضرورة لحياة الانسان وسعادته ، ولا مادياً لا يؤمن بالروحانية كمصدر للسعادة الأبدية الخالدة ، ولكنه جمع بين الناحيتين ، وأعطى كلاً منهما ما يستحقه من عناية واهتمام ، والشباب حينما يؤمن بهذه العقيدة يخرج حتماً من حيرته ، وبها وحدها يستطيع أن يتجه بسفينة الحياة إلى شاطىء السعادة والاستقرار وبالتالى يعرف كيف يستطيع أن يدافع عن دينه ، ويثبت على المبدأ الذى آمن به فلا تؤثر فيه الدعاية ضده ولا يتهاون بشىء من تعاليمه ، فى أى مكان من العالم ، وهذا هو الدليل على تمكن العقيدة ورسوخ الايمان لدى الشباب المسلم رسوخاً يعطيه المناعة من الانحدار فى متاهات من الأفكار المنحرفة المزيلة .

ومن أجل هذا وحتى لا تزداد الحالة سوءاً فإن على رجال العلم أن يقوموا بتأليف كتب بطريقة جديدة وبأسلوب جديد وبروح جديدة يبرزون فيها جمال الاسلام ، ويوضحون فيها تعاليمه ، لكى يخرج الشباب من حيرته ويفهم دينه ، وإلا فإن هذا الغزو الثقافى الوافد إلينا سوف يكون له تأثير سيىء على أفكار الشباب ، وفى هذا ما فيه من الخطورة البالغة على تهديد الأخلاق فى النفوس وزعزعة العقيدة وهذه أكبر مشكلة يواجهها العالم (فساد الأخلاق) وفقدان العقيدة .

وهناك ما يزيد الأمور سوءاً تلك الكتب الالحادية والمجلات الخليعة التى غزت أسواقنا وغصت بها مكاتباتنا ، وشغلت بها أفكار الكثير من شبابنا ، كتب ألفت لهدف معين هو التشكيك فى الديانات السماوية ، واعتبارها خرافة من الخرافات ، ومهزلة من مهازل العقول التى لم تعد صالحة لأن تعيش فى هذا العصر المتطور المتحضر ،ولا شك أن هذه الكتب قد أثرت تأثيراً كبيراً فى عقول النشء وعقيدته ، وفى أخلاقه وأفكاره ، وخوفاً على البقية الباقية من شبابنا الذى ما زال يحتفظ فى نفسه بجانب من الخير ، وقسط من الايمان بالله ، نقول :

إن الشباب فى حاجة إلى حماية من هذه السموم التى تعبث بعقولهم ، وتفسد ما صلح من أمرهم ، وتوقعهم فى شك من دينهم ، وبالتالى تتركهم بلا مبدأ وبلا عقيدة ، والشباب فى بلادنا ما يزال بخير ، والعاطفة الروحية ما تزال تضىء جوانب نفسه ، والسيل المتدفق من هذه الكتب التى تفيض بها أكثر المكتبات فى بلادنا ، خطيرة جداً لا تقل فى خطورتها عن الوباء الذى ينتشر ليقضى على أرواح الناس .

وليس معنى هذا أننا لا نريد للشباب أن يمارس حقه فى حرية القراءة ، وأننا نقصد حرمانهم من التزود بالثقافة العالمية ، لا هذا ولا ذاك ، وإنما نقصد حماية عقائدهم وأخلاقهم من هذه المؤامرة التى وضع مخططها أعداء هذا الدين بطرق مدروسة ، وعلى أسس نفسية وعلمية .

ولقد حكى لى بعض الأصدقاء أن الجماعات التبشيرية بعد أن قضت مدة طويلة دون أن تستطيع اخراج المسلم عن دينه عقدت مؤتمراً انتهى فيه قرارها إلى أنه لابد من وسيلة أخرى تقوم إلى جانب المدارس التبشيرية ، والملاجىء ، والمستشفيات التى تقام لهذا الغرض هذه الوسيلة هى تأليف كتب هدفها التشكيك فى الاسلام وفى تعاليمه ولم يكن نصيبهم من الفشل كبيراً ، فقد نجحوا فى استمالة بعض الشباب إلى ما يدعون إليه من كفر وإلحاد .

ومن أجل هذا نقول : إن تحريم الدولة لجلب الأدوية الضارة بصحة الأمة أمر واجب وأوجب منه حماية عقيدة المجتمع من تلك الكتب والمجلات التى ما كان الغرض منها إلا هدم العقائد ، إن هذه الكتب الالحادية لا تقل فى خطورة غزوها للقلب عن خطورة الأساطيل التى تنقض على البلاد لتنهب وتسلب وتبيح وتستبيح .

وما نظن أن مواطناً ما يحس بعاطفة نحو وطنه يرضى بأن يقف موقف المتفرج على غزو يهدد كيان وطنه . كما لا أظن أيضاً أن مواطناً يحب الخير لوطنه يرى كتباً مسمومه تلعب بعقول أبناء البلاد ثم لا يحاول صد هذا الغزو الفكرى عن إخوانه وأبناء وطنه بكل الوسائل الممكنة .

وليست الدولة فى نظرى هى المسؤولة الوحيدة عن محاربة مثل هذه الكتب والمجلات وإنما كل فرد من أفراد الأمة عليه حماية وطنه من كل ما يجلب الضرر سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو غيرها ، فالضرر من حيث هو ضرر فيه افساد وهدم وتخريب وهدم العقائد وافساد الأخلاق هو بداية انحلال الأمة وانحدارها إلى مستوى من الحياة يوصلها فى النهاية إلى الخراب والدمار ..



سبعة في ظل الله

حديث من أحاديث الرسول عليه السلام ، قال فيه : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفقه يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » .

فالامام العادل ، هو ذلك الحاكم الذى أعطاه الله الملك ، فقام بأمر الله فى رعيته ، وساس أمور المسلمين بالحق ، وحقق العدالة الاجتماعية ، وتحقيق العدل بين الناس معناه تجرد الحاكم من كل الأغراض والمؤثرات تنفيذاً لقوله جل وعلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، وتحقيق لقول نبى الله عليه السلام : « لعدل ساعة خير من عبادة ستين سنة » ، وتحقيق العدل أمام الرغبات والمصالح والأهواء ، أمر فى غاية الصعوبة ، وحينما يستطيع الحاكم أن يتخطى هذه العقبات الصعبة ليقدم رضاء الله على رضاء الناس ، كان معنى ذلك أنه قد وصل إلى درجة من الايمان تجعله مستحقاً لأن يكون واحداً من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله ، يوم لا ظل إلا ظله .

والشاب الذى استحق أن يكون واحداً من هؤلاء السبعة ، هو ذلك الذى ارتبط قلبه بالله وهو لما يزل بعد فتى يافعاً يتنازعه الكثير من الرغبات النفسية ومتطلبات الجسد ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الشباب الذين تمر بهم فى مثل هذا السن أنواع من التصرفات غير المتزنة ، فيقعون صرعى تحت تأثير شهوة النفس ، لكنه وقد سمت نفسه عن الوقوع فى الانحدار نحو مهاوى الرذيلة بفضل عمق إيمانه بربه ، وخوفه منه ، وابتعاده عن كل ما حرم الله ، استحق هذا التكريم .

أما الرجل المعلق قلبه بالمساجد ، فهو ذلك الانسان ، الذى لا تبلغ السعادة فى قلبه نهايتها إلا حينما يكون فى بيت من بيوت الله يناجى ربه ويبتهل إليه ، ويطلب منه ، ولا يخرج من مسجد من مساجد الله بعد الفراغ من صلاة إلا وقد ارتبط قلبه بالعودة إلى المسجد لأداء الصلاة الأخرى ، وهكذا لا قرار لقلبه ، ولا سعادة لنفسه ، إلى حيث يكون فى رحاب بيت من بيوت الله ساجداً أو راكعاً يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه ولارتباط مشاعره وأحاسيسه بالله ، فى إيمان صادق استحق هذا التكريم من ربه .

والصنف الرابع : (الرجلان اللذان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا)، فهما ذالكما الأخوان المسلمان ، اللذان ارتبط قلباهما برباط المحبة لله ومن أجل الله وبقيت صافية نقية حتى فرقت بينهما الحياة ، وهما على هذه الحالة من الحب المجرد عن المصالح الذاتية والمنافع الخاصة ، هذا النوع من الحب القائم على مبدأ الحب فى الله والبغض فى الله ، والموالاة فيه والمعاداة من أجله ، مع ماله من فضل عظيم عند الله ، يكاد أن يكون مفقوداً ، إلا فى النادر القليل ، هذا الحب الصافى الطاهر ، الذى يجمع بين قلبى مسلمين لا تربط بينهما رابطة قرابة أو نسب أو مصلحة خاصة ، وإنما محبة هدفها الالتقاء على طريق الخير ، وغايتها السير فى وفق شريعة الله ، ولأجل هذا الارتباط القلبى من أجل الله فقط ، استحقا أن يكونا من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

والخامس من هؤلاء ، هو ذلك الرجل المسلم الذى لا تستطيع المؤثرات المغرية ، أن تهز إيمانه ، أو تغير من سلوكه ، أو تدفع به إلى أمر حرمه الله عليه ، وهذه الدرجة من الايمان لا يصل إليها إلا القليل من الناس ، وليس هناك امتحان أقصى من امتحان يتغلب فيه الانسان على بشريته من امتحان رجل تبذل له امرأة نفسها يتوفر لها أهم شيء فى الحياة المال والجمال ثم يرفض ، إنه ولا شك امتحان لا يتخطاه بنجاح سوى القلة القليلة من البشر ، ولقاء هذا الايمان العميق والخوف من الله ، وتقديم رضاء الله على شهوة النفس ، أكرمه الله بهذه الكرامة العظيمة ، بأن جعله أحد هؤلاء السبعة المكرمين .

والسادس من أولئك السبعة ، هو ذلك الانسان الذى أنعم الله عليه بشيء من المال ، فما أنكر فضل الله ، ولا بخل فى الانفاق منه فى سبيل الخير ، بل هو ينفق بسخاء ، ابتغاء وجه الله الذى أنعم عليه ، يرجو الثواب منه وحده ولشدة إخلاصه لربه ، وخوفه من أن يكون فى عمله شيء من الرياء يعطى لله فى سرية تامة ، ولتعدد السبيل التى ينفق فيها ، وكثرة ما ينفق من كلتا يديه لا تعلم يمناه ما تنفق شماله ، ولا تعرف شماله ما تنفق يمينه . ولقاء هذا العمل الذى لم يقصد من ورائه مدح أو ثناء ، وإنما كان عملاً خالصاً لله ، استحق من كانت هذه صفته ، أن يكون من السبعة المكرمين من عند الله .

أما السابع والأخير ممن ورد ذكرهم فى الحديث ، فهو ذلك الذى امتلأ قلبه من خوف الله وتملك حب الله كل خلجة من خلجات نفسه وأصبح لا يخطو خطوة إلا حيث يكون رضاء الله ، فهو مع الله قائماً وقاعداً وهو مع الله وحتى وهو نائم ، وهذه درجة من الايمان لا يرقى إليها إلا النادر النادر من البشر ، ولا ريب أن إنساناً يستحضر عظمة الله وقدرته فى مكان لا يطلع عليه غيره ، فتذرف عيونه بالدمع خوفاً منه ورجاء فيما عنده ، جدير بأن يستحق هذا الفضل .

ودعوتنا إلى كل شاب مسلم أن يعمل الأسباب التى تجعله من السبعة الذى يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ..

وقفة مع الحياة

جعل الله للانسان فى دنياه قدرة يدفع بها عن نفسه نوازع الشر والفساد ، وإرادة يوجهها بها إلى طريق السعادة والخير ، والانسان بعد ذلك بطوعه وإرادته هو الذى يختار لنفسه ما شاء من طريق الخير والسعادة ، أو طريق الشر والهلاك ، وإن الله الذى أنعم على الناس بهذه الارادة قد أمرهم أن يتفكروا فى الحياة وأن يعتبروا بما يرون ويسمعون من حوادث وأحداث ، وأن يتعظوا بما حصل لغيرهم من نكبات وأرزاء ، وهذه هى أضمن وسيلة يستطيع بها كل أحد أن يفهم مصير الحياة ونهاية الأجل فيعدل من سلوكه ، ويحاسب نفسه ، ويسير فى طريق الحياة بكل خوف وحذر .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحياة ، وضرب لها مثلاً بأرض نزل عليها الماء فأنبتت من كل أصناف الأشجار والأزهار حتى إذا أفتتن الناس بزهرتها وجمالها وظنوا أنهم لن يخرجوا منها وأنها باقية لهم جاءها أمر الله فقضى على نضرتها وجمالها فكانت حصيداً كأن لم تكن وهذا هو شأن حياة البشر فيها جمال وفتنة وفيها غرور وإغراء للناس .

يقول القرآن الكريم : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون . والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

لأجل ذلك نظر سلفنا الصالح إلى هذه الحياة الدنيا نظرة المؤمن بأن لا بقاء لها فاتخذوها وسيلة إلى حياة أفضل وأسعد ولم تلههم عن طاعة أو عبادة ، ولم يأخذ حبها من قلوبهم ما أخذ من النفوس اليوم مما أدى إلى احتقار الحياة الروحية الكريمة والانصراف إلى الحياة المادية التى سببت المشاكل والمتاعب ، وأحالت الحياة الانسانية الكريمة إلى حياة مضطربة مهددة بالدمار والخراب ، وأن المضار الاجتماعية التى جدت فى الحياة سببها الجشع على الدنيا والاغترار بمظاهرها التى لا نصيب لها من البقاء والدوام .

أخذ ضرار بن ضمرة يصف علي بن أبي طالب وخوفه من الدنيا وعدم اغتراره بها فقال : لقد رأيته مائلاً إلى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين وكأنى به وهو يقول : « يا دنيا أني لى تعرضت أو لى تشوفت هيهات هيهات غرى غيرى فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق » هذه صورة من الصور التى ترتسم فى أذهان سلفنا الصالح لهذه الحياة فأخذوا منها ما كان صالحاً وتمتعوا منها بالحلال الطيب الذى لا شبهة فيه وكان المبدأ الذى يسيرون عليه فى حياتهم : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وهذا هو مبدأ الاسلام الذى لا ينهى عن الدنيا ولكنه يمقت تقديسها ، ولا ينفر منها ولكنه يدعو إلى القناعة فيها ، ولا يأمر بالبعد عنها ولكنه ينهى عن الاغترار بها ، ولم يكن الرسول ﷺ ليخشى الفقر على الناس بل كان يخاف عليهم من تطور الحياة المادية حينما قال : « ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا فتنافسوا فيها فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم » .

وما كان يخشاه عليه السلام عبر العصور الطويلة قد حدث فهذه الحياة المادية الطاغية قد أفسدت نفوس وضمائر الكثير من الناس فلا محبة إلا للدنيا ولا صداقة إلا للمصالح المشتركة من أجل هذا اصطبغت الحياة بهذه الصبغة المادية الرخيصة واستولى حبها على المشاعر والأحاسيس حتى باع من أجلها الكاتب ضميره ، ونسى بها الطبيب إنسانيته وأذاب فيها العابد روحانيته ،وعلى هذه المحبة ربى الآباء الأبناء ، وعلم الأساتذة التلاميذ فاتجه الناس هذا الاتجاه الخطر الذى تعددت بسببه عوامل ونوازع الفساد ، فساد الأخلاق وفساد الضمائر وفساد المجتمعات ، كل ذلك بسبب الاغترار بالحياة التى لم ولن تدوم لأحد من الناس ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ . هذه الآية الكريمة التى تؤكد أن كل إنسان بل كل نفس سائرة إلى الفناء ، وأن الحياة لا تدوم لأحد من الخلق فإذا كان الأمر كذلك فلم هذا التطاحن عليها ؟ ولم هذا التباغض من أجلها ؟ ولم هذا الافتتان الهائل بها ؟

إننا بهذا الكلام لا نريد أن نعزل أنفسنا عن الحياة وعن طلب الرزق فيها لكن الذى نريده ألاّ يطغى حبها على مشاعرنا ونصبح لها عبيداً نعيش لها ومن أجلها ، فهى دار ممر وليست دار مقر ، وهى وسيلة للحياة وليست غاية وإذاً فهي لا تستحق أن تكون سبباً لقطيعة بين ابن وأبيه ، ولا بين أخ وأخيه ، ولا بين قريب وقريبه ..

لقد علمتنا الحياة أنها لا تدفع أجلاً ولا ترد مرضاً ، وأن الإنسان لا ينتفع منها إلا بما قدمه فيها من عمل صالح يجده عند الله يوم القيامة ، ومن هنا فإن العاقل لا يغتر بها مهما بدت له جميلة ، فإنها لا تدوم لأحد ..

مؤذن وخطيب

المرآة التى يرى فيها الانسان محاسنه ومعائبه على حد سواء ، تحتاج من وقت لآخر إلى صقل وتلميع من تلك الأتربة التى تتراكم عليها ، لكى تؤدى وظيفتها على ما ينبغى أن يكون وبإهمالها دون ذلك الصقل أوالتلميع سوف لا تقوم بوظيفتها بسبب الأشياء التى شوهت ما هى عليه من صفاء ونقاء وهى تلك الأتربة والأوساخ التى علقت بها نتيجة لاهمالها وعدم الاهتمام بصقلها .

والتوجيه والتذكير بالنسبة للنفس الانسانية ، هو لها بمثابة صقل وتلميع ، لما علق بها من غفلة أو نسيان ، ومن أجل هذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتخول أصحابه بالموعظة والتذكير ، وللسبب نفسه أى صقل النفس وتنشيط جوانب الخير فيها من خلال الخطبة شرعت خطبة الجمعة وأمر الناس أن يتواجدوا فى مساجد محددة للاستماع إلى التوجيه والارشاد كيلا تطغى على النفس مظاهر الحياة ، وزخارف الدنيا ، كما توجههم أيضاً إلى فهم الاسلام وتعاليمه ليكون المسلم على بصيرة من هذا الدين الخالد .

ولا شك أن الخطباء يختلفون اختلافاً كبيراً من حيث الفهم والادراك وعرض المشكلة وحلها بأسلوب فيه بلاغة وفصاحة واقناع ، وبقدر ما يكون الخطيب مؤثراً ومقنعاً بقدر ما ينتفع الناس من قوله ويرغبون في الصلاة خلفه ، كما أنه بقدر ما يكون الخطيب سطحياً فى أفكاره ، وغير مؤثر فى سامعيه بقدر ما يبتعد الناس عنه .

والحياة المعاصرة تطلب وبالحاح من الخطباء فى المساجد ، أن يتعرضوا لكل مشاكل الحياة صغيرها والكبير منها ، لكى يفهم الناس حل هذه المشاكل على ضوء تعاليم الاسلام ، وموقفه فى حل مشكلات الناس ينبغى أن يكون كموقف الطبيب الذى يشخص الداء ليعطى على ضوئه الدواء ، لكن هذا النوع من الخطباء يكاد أن يكون معدوماً ، فمن الخطباء من لا يزال يقرأ على الناس فى كل جمعة من تلك الخطب المؤلفة منذ سنين عديدة والتى ربما فى كثير من الأحيان لا تمت إلى حياة المجتمع بصلة ومنهم من إذا خطب ضيق واسعاً من دين الله ، أو استعمل أسلوباً جافاً ومنفراً مخالفاً بذلك قول الله : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب

لانفضوا من حولك ﴾ والقليل القليل منهم الذين يعرفون كيف يصلون إلى قلوب وعقول الناس فيكون لخطبهم التأثير البالغ ، والفائدة الكبيرة ، وهذا النوع من الخطباء هم الذين تتطلبهم حياتنا المعاصرة ، هذه الحياة التى تتصارع فيها قوى الخير مع قوى الشر والتى أصبحت النفوس فيها تتطلع إلى معرفة كل شيء بأساليب علمية واضحة المعالم .

ولأن الحكمة فى مشروعية الخطبة فى صلاة الجمعة هى تعديل أخطاء الناس التى يقعون فيها عن عمد أو غيره ومحاولة تذكيرهم بالله كلما تكاثرت مشاغل الحياة على عقولهم ، فقد جاء أن النبى عليه الصلاة والسلام كان إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ، هذا فى وقت كان الايمان بالله يغطى على كل شيء فى حياة ذلك المجتمع فكيف بهذا العصر الذى اختفى فيه الايمان من قلوب الكثير من الناس ، حتى أصبحوا فى حاجة إلى شيء يعيد ذلك الايمان من جديد إلى قلوبهم ؟ وليس من سبيل إلى ذلك سوى ما يقوم به خطباء المساجد من وعظ وتوجيه . وكم تكون الفائدة كبيرة إذا كان الخطيب يتكلم بعمق وفهم وإدراك والعكس إذا كان يلقى كلاماً لا روح فيه ولا طعم فى سماعه .

وإذا كان الخطيب ببلاغته وفصاحته يدفع الناس إلى الخير ، فإن المؤذن برقة صوته وحسن أدائه للأذان يجلب الناس إلى مكان العبادة من أجل هذا ولأن بلالاً رضى الله عنه أندى صوتاً من عبد الله ابن زيد أمره الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعلمه الأذان بقوله : « اذهب إلى بلال وعلمه الأذان فإنه أندى صوتاً منك » .

وإنى أعرف أناساً كثيرين يتركون المساجد القريبة من بيوتهم ، ويذهبون إلى مساجد بعيدة عنهم من أجل الاستماع إلى خطيب بليغ ، أو مؤذن صوته رخيم ، وأنا فى الحقيقة من بين أولئك الناس الذين يعملون هذا العمل ، فأنا أترك العديد من المساجد القريبة من منزلى لأذهب إلى مسجد خاص لأن به خطيباً ومؤذناً كل منهما له تأثيره ، فالمؤذن يدخل بصوته الرخيم إلى شغاف القلوب مشعراً بعظمة الله وجلاله ومذكراً بأن الله لا شريك له وأن محمداً رسول من عند الله ، ثم داعياً إلى الصلاة التى هى صلة بين الانسان وربه ، والتى هى طريق الفلاح والنجاح .

وما أن ينتهى المؤذن من الأذان إلا وقد تهيأت النفوس إلى سماع الخطبة .

فيبدأ الخطيب مبتدءاً بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم يتدرج فى خطبته رويداً رويداً بأسلوب عذب وصوت مؤثر وبلاغة تستولى على القلوب ، ويشد انتباه المصلين إليه إلى درجة لا تسمع معها حركة من أحد ، ويشعر كل من يدخل المسجد وكأنه خال من المصلين ، لشدة الانتباه لما يقوله الخطيب من عبر وعظات ، وما يقوم به أثناء الخطبة من معالجة فيها الكثير من الاقناع لحل المشكلات فى المجتمع حتى إذا ما استمر به الحال على هذا المنوال رأيت التأثر بادياً على وجوه الكثير

من المصلين ، مما يدل على أن الخطيب قد وصل إلى الأعماق ، وأن الاستفادة من الخطبة قد تحققت ، وتنتهى الصلاة ، ويخرج المصلون وهم يتحدثون عما سمعوه فى سرور وابتهاج ، هذا الخطيب وأمثاله هم الذين يستطيعون وبجدارة إقناع الشباب بأن الاسلام هو الدين الصالح لسعادة البشرية كلها وأنه بتعاليمه يستوعب كل الحلول الممكنة لحل مشاكل المجتمعات الموجودة والتى ستطرأ ذلك لأنه دين الله الخاتم لكل الأديان ، فكان لابد وأن يأتى مشتملاً على كل ما يهم الناس فى حياتهم وبعد موتهم .

وليس من ريب فى أن خطباء المساجد الذين يملكون القدرة على التأثير وإيصال الحقائق داخل النفوس هم الذين عن طريقهم تزكوا النفوس وتبرز الحقائق عن موقف هذا الدين من شؤون الحياة ، ومن هنا تظهر أهمية الخطيب فى تعريف الناس بحقائق دينهم ، وتوجيههم إلى الطريق الذى تتحقق لهم به السعادة ذلك الأمر الذى ما شرعت خطبة الجمعة إلا من أجله ، أعنى تبصير الناس بحقائق دينهم ، وتوضيح ما يحل وما يحرم عليهم ، ثم بيان عالمية الاسلام وشموله لمتطلبات الحياة ،وإلا فما الفائدة من مشروعية تلك الاجتماعات الكبيرة التى تتم فى بيوت الله كل يوم جمعة ، إذا كان الخطيب غير مؤهل لمعرفة مشكلات المجتمع وعلاجها عن طريق الخطبة فى تلك المجتمعات التى ما جاءت إلا لتسمع جديداً تنتفع منه ؟ وهذا غير ممكن بالنسبة لخطيب لم يمنحه الله سعة فى العلم وعمقاً فى الفهم ، وقوة فى الادراك ، ورب خطيب ، لضيق أفقه وقلة علمه وقصور نظره يتسبب فى معالجته لبعض المشكلات فى ردود فعل غير مرغوب فيها لا بالنسبة له ، ولكن بالنسبة للاسلام نفسه ، لذا فإن الخطيب أى خطيب كان إما أن يعطى الصورة المشرقة عن الاسلام وتعاليمه ، أو أن يعطى العكس من ذلك ، وفى هذا ما فيه من تنفير للناس عن دين الله القائم على اليسر وعدم الحرج .

لذا وعندما نريد أن يؤدى المسجد رسالته ، فلا مناص من العمل الجاد على ايجاد الخطيب الذى يستطيع مخاطبة العقول والتأثير عليها حتى لا تذهب الحكمة التى وجدت من أجلها خطبة الجمعة ، ورحم الله امرأً أفسح المجال لمن هو أقدر منه على اصلاح نفوس المنحرفين ، وتصحيح أفكار الملحدين ، على ضوء المنهج الربانى ، الذى دعا إليه محمد بن عبد الله والتابعون له من بعده .



رسالة المسجد

هذا المكان المقدس الذى يؤمه المصلون من وقت لآخر للتقرب إلى الله فيه بالصلاة له ودعائه والتضرع إليه لا يعرف الكثير من الناس له من معنى سوى ما تدل عليه كلمة (مسجد) من مدلول ضيق هو أنه مكان لهذه العبادة التى هى الصلاة لا غير .

وتأكيداً لرسوخ هذا المعنى فى أذهان الكثير من الناس فإننا لو أجرينا استجواباً لعدد من المصلين فى عدد من المساجد عن ماذا يقصد بكلمة مسجد ؟ لما كان الجواب إلا أنه مكان يلتقى فيه الناس للصلاة ثم لا شىء بعد ذلك ، إلا أن المتتبع لتاريخ المسجد فى الاسلام وما قام به من دور إيجابى وبناء فى الدعوة إلى الله ، وما شهده من حشود هائلة من شباب المسلمين وهم يعقدون مؤتمراتهم للدفاع عن رسالة الاسلام .. ثم ما شهده بعد ذلك من حلقات للعلم تنشر علماً وأدباً وأخلاقاً وما تبع ذلك من عقد ندوات سياسية واجتماعية على أعلى المستويات يدرك أن رسالة المسجد كانت وما تزال رسالة علم وعبادة وبناء وتخطيط وما زال هكذا يقوم بهذا الدور الخطير إلى أن تغيرت النظرة إليه بسبب الجهل برسالته واستبدل بخطبائه الذين كانوا يهزون القلوب بأسلوبهم وبيانهم ، خطباء يقولون كلاماً لا تأثير له على النفوس وأئمة هم فى حاجة إلى أن يتعلموا الكثير من دينهم .

فكان لابد للمسجد والحالة هذه أن يفقد وظيفته الكاملة .. وأن يخف رصيده من المصلين وخاصة الشباب الذى يقصد المسجد ليجد جديداً ويسمع مفيداً من الآراء والأفكار والتوجيهات النافعة ، وكمثل واضح على عدم الادارك لرسالة المسجد فى العصور المتأخرة ، فإن الأغلبية الساحقة من الأئمة والخطباء من الذين لا يشترط فى تعيينهم مؤهلات علمية تجعلهم قادرين على القيام بهذا العمل وهذا يعنى أن إمامة المسجد فى نظر الناس لا تحتاج إلى مؤهل علمى ، وإنما هى أمر مستطاع لدى كل من يعرف قراءة الفاتحة وشيئاً من القرآن الكريم ، لكن الأمر عكس ذلك تماماً فإمامة المسجد لا تقل فى أهميتها عن وظيفة المدرس فى المدرسة أو القاضى فى المحكمة ، فإذا كان يشترط فيمن يتولى القضاء أو التدريس أن يكون ذا علم غزير وإدراك واسع وفهم عميق ، فإن وظيفة الامامة التى لا تقل أهمية عن غيرها من ناحية توافر ميزات كثيرة أهمها العلم والصلاح تتطلب مؤهلاً عالياً وتخصصاً فى الشريعة

ليصبح المسجد مركز إشعاع لا مجرد مكان للصلاة فحسب ، ولأهمية الدور الكبير الذى يؤديه المسجد من أجل حياة أفضل للمجتمع كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتولى الامامة والخطابة بنفسه وكذلك كان خلفاؤه من بعده ، ومن هنا كان من الضرورى ألاّ يتولى عملاً كان الرسول عليه السلام يتولاه بنفسه إلا من كان عالماً ، لأن العلماء هم ورثة الأنبياء أما من ليس عالماً وفى كثير من الأحيان لا يحسن حتى قراءة الفاتحة قراءة صحيحة فلا يجوز أن يتولى هذا العمل ، ولكن ما هو واقع اليوم من تولى أعداد كبيرة لوظيفة الامامة سواء فى هذه البلاد أو غيرها من البلاد الاسلامية ، وهم ليسوا على مستوى القيام بمهام هذه الوظيفة أمر يدعو إلى إعادة النظر فى الوسائل التى تجعل أصحاب الكفاءات العلمية ، والقادرين على تولى الامامة والخطابة بجدارة تامة يقبلون على هذه الوظيفة ليؤدى المسجد رسالته كما كانت فى صدر الاسلام ، وإذا طالبنا بأن يكون إمام المسجد وخطيبه على مستوى رفيع من العلم والفهم والادراك ومعرفة مشاكل المجتمع وطرق علاجها ، فإنما لادراك واقع نعيشه فى هذا العصر لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تفيد الطرق والوسائل التى كانت سائدة يوم أن كان الايمان يملأ النفوس ويوم أن كانت طبائع البشر تتقبل كل ما تسمعه من خطيب المسجد من توجيهات وغيرها دون أن تفكر فى شىء أو تقوم بمناقشته مع ذلك الخطيب أو الواعظ أو الموجه ، حيث كان الناس فى تلك الأزمان يسمعون من الخطيب ، قال الله وقال رسوله فيؤمنون ويسلمون ويمتثلون لكل ما يسمعون ، أما الآن وفى هذه العصور المتأخرة وبعد أن خف الايمان من القلوب نتيجة لابتعاد البشر عن الله وبعد أن جدت فى حياة المجتمعات الانسانية كثير من الأفكار والآراء والمذاهب والمعتقدات وأصبح لكل مذهب وعقيدة أعوان وأنصار ودعاة ، وأخذت هذه المذاهب وتلك المعتقدات توجه الكثير من التهم نحو الاسلام وتحاول بكل الوسائل إثارة الشبهات نحوه لصرف الأفكار عنه عن طريق التشويه والتشكيك ، فإن أفكار الناس لدفع تلك الشكوك والشبهات لم يعد يكفى فيها مجرد ذكر الآية من كتاب الله أو حديث من أحاديث رسول الله ﷺ ، بل لابد إلى جانب ذلك من الاقناع العقلى ، وهذا يتطلب بالضرورة العمل على ايجاد خطباء يملكون القدرة على رد تلك الشبهات والشكوك عن طريق العلم والمنطق المستمد من شريعة الله ، وحتى لو لم تكن هناك شكوك أوشبهات ، فإن أفكار الشباب تتطلع إلى البحث عن الحكمة فى التشريع لبعض الأمور التى جاء بها الاسلام والتى قد تكون الحكمة منها غير واضحة ليكونوا أكثر تمسكاً وقناعة بهذا الدين وما جاء به من أوامر ومنهيات ولتكون لديهم المعلومات الواضحة عن رد الشكوك والشبهات التى يستطيعون بها مواجهة المواقف المحرجة التى يثيرها أعداء الاسلام بقصد بلبلة أفكار أولئك الذين لم يدرسوا الاسلام دراسة شاملة ، إلى جانب أن خطيب المسجد الذى يفرض نفسه على المستمعين وينفذ إلى عقولهم عن طريق قوة اقناعه وسهولة أسلوبه ، يجدد الايمان فى القلوب ، ويحيى جوانب الخير فى النفوس إلى جانب ما يهم المسلمين من ما هو حلال لهم فى هذه الدنيا وما هو محرم عليهم فيها كما يوضح لهم كل الجوانب المهمة فى حياتهم ، ومن هنا يكون المسجد عبارة عن مؤسسة تعليمية وسياسية واجتماعية بل ومركز عام تبحث فيه كل المشكلات التى تواجه المجتمع ، وهذه المهمة ليس فى

مقدور كل متعلم القيام بها ، فكم من أناس يحملون علماً كثيراً ، لكنهم لا يستطيعون الابانة عن هذا العلم لأسباب كثيرة يأتى فى مقدمتها عدم القدرة عن التعبير عن هذا العلم ، ولرب شخص أو أشخاص ليس لديهم علم كثير ولكنهم عن طريق البلاغة والفصاحة وقوة المنطق والقدرة على معالجة الأمور بأسلوب يفهمه كل أحد ، أفضل بكثير من عالم أو علماء يفوقونهم علماً ومعرفة ..

ولهذا تكون الضرورة ملحة إلى وجود خطباء للمنابر تكون لديهم الامكانات العلمية والمواهب الأخرى ذات التأثير المباشر لكى يؤدى المسجد رسالته التى أراد الله له أن يؤديها ، وليعود كما كان لا مكاناً تقام فيه الصلاة فقط ، ولكن مركز إشعاع ينير طريق الخير ، ويرسم طريق السعادة ويسلك بالناس طريق الرشاد .



الإسلام في غربة

فى حديث من أحاديث رسول الله جاء قوله عليه السلام «بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس » .

هذا الحديث الذى مضى عليه أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، كأنما هو يعنى غربة الاسلام فى هذا العصر الذى يسوده الكثير من الصراعات الفكرية العقائدية ، وتنصرف فيه النفوس عن الله ، حيث لا إيمان ولا خلق .

وغربة الاسلام بدأت يوم أن لم يكن هناك من يدعو إليه سوى فرد واحد هو عبد الله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، ويوم أن لم يستجب لدعوة نبيه سوى رجل وامرأة وصبى ، الرجل أبو بكر رضى الله عنه والمرأة خديجة رضى الله عنها ، والصبى علي رضى الله عنه .

وهو غريب أيضاً لأنه يعيش بين أناس يعبدون الأصنام والأوثان ويقتلون الأولاد خوف الفقر والبنات خشية العار ، فى وسط جو مشحون بالعصبيات والنعرات ولذا كان من سياسة نبى الله عليه السلام أن يبدأ دعوته سراً لعدم قدرته على الجهر بها بين أقوام غلاظ الكبود قساة القلوب ، وهو بعد لما يكن لديه من يساعده أو يحميه من صناديد الكفر وطغاة الشرك ، حتى إذا ما تجمع حوله بعض المؤمنين بدعوته وجهر بها ثارت ثائرة القوم وتوعدوه بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وأخذ يصارعهم على قلة أتباعه وكثرة أعدائه متحملاً من أجل ابلاغ دعوة ربه تخلى عشيرته عنه ومحاربتهم له وايذاءهم له بما فى ذلك محاولة قتله ، لأنه جاءهم بدين يخالف ما هم عليه من عبادة غير الله فما استساغته نفوسهم ولا رضيت به قلوبهم فجمعوا له كيدهم وسلطوا عليه سفهاءهم ، لكن الله الذى اختاره لحمل رسالته جعل له أتباعاً يساعدونه على نشر دعوته ويدفعون أعداءه عنه حتى تم له ما أراد وأخذت أنوار الاسلام تتدفق من بطاح مكة وروابى يثرب على ما حولها من أرض ، وبقدر ما امتد هذا النور بقدر ما بلغت دعوة الله وخرج الاسلام من غربته ليجد أتباعه ينتشرون فى كل مكان من الأرض وشهد العالم كل العالم مولد دين جديد ينتقل بالانسان من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق ويترفع به من مستنقعات الشرك والرذيلة

إلى منابع التوحيد والفضيلة ليصبح إنساناً فى أخلاقه وعقله وتفكيره ، وعن طريق هذه المعانى الرفيعة دخل الناس فى دين الله أفواجاً وازدهرت الحضارة الاسلامية فى وقت كان الجهل فيه يعم كل مكان من العالم ونعمت المجتمعات البشرية التى دخلها الاسلام بعهد من العلم والعدل والأمن والاستقرار .

وفى عصرنا هذا وبعد أن ابتعد المسلمون عن الله أصبح الاسلام فى أمته غريباً بسبب تعطيل أحكامه ، والتهاون بتعاليمه ، والسير فى طريق غير طريقه اللهم إلا فى بعض فئات من المؤمنين سماهم الرسول ﷺ غرباء بسبب بعد وجه الشبه بينهم وبين المجتمعات التى يعيشون فيها ، فهم أناس متمسكون بدينهم محافظون عليه سائرون فى طريقه والمجتمع من حولهم يعيش على نمط من الحياة بعيداً عن نمط الحياة الذى حدده الاسلام لذا فهم غرباء من حيث إنه لا يؤخذ لهم قول ولا يسمع لهم رأى فهم فى صراع نفسى مع هذا المجتمع الذى ينظر إليهم على أنهم من نوع آخر يختلف عنهم بينما هم يمثلون الاسلام فى صفائه ونقائه وفى نزاهته واشراقته ، وهم على حالتهم هذه ينطبق عليهم ذلك القول المأثور (يأتى على الناس زمان يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر) ولقاء هذا التمسك بدين الله فى وقت يبتعد فيه الناس عن تعاليم شريعتهم ، قال عليه السلام : (فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس) وهذه بشارة لكل مسلم يتمسك بإسلامه فى وقت انبهار الناس بمفاتن الحياة ، وانصرافهم عن الله ، وتعطيلهم لأحكام شريعته وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس » ، وفى بعض الروايات « يصلحون ما أفسد الناس » وهذا فضل من الله كبير لأولئك الذين لا تؤثر فى عقيدتهم الاختلافات التى تطرأ على حياة المجتمعات نتيجة لتطورات الزمن ، وتغيرات الأحوال ، ولا تبهرهم مفاتن الحياة فتتأثر أخلاقهم انسياقاً وراء المغريات الكثيرة ، ولا تفسد طبائعهم باندفاع الكثرة من الناس وراء الشهوات الفانية ، وإنما يعيشون فى مجتمعاتهم وإن كانت فاسدة يعملون للاصلاح ، يجهدون أنفسهم من أجل استقامة المجتمع وخيره وسعادته ، متحملين فى ذلك كل المتاعب التى تواجههم من أصحاب الأفكار المتطرفة والمنحرفة ، سالكين بذلك طريق المصلحين الذين لا تلذ لهم الحياة إلا حيث ينالهم التعب من أجل إصلاح المجتمعات التى يعيشون فيها وإن كان فى ذلك ما فيه من متاعب وأخطار ، لكنه الطمع فى مرضاة الله ، والأمل الكبير فى أن يكونوا دعاة خير للناس جميعاً لينالوا بذلك نعيماً أفضل من نعيم هذه الحياة ، ولذة أبقى من لذات هذه الدنيا التى لا بقاء لها ، ولذا سماهم الرسول ﷺ غرباء ووعدهم بالخير الكبير لقاء تمسكهم بإيمانهم فى وقت تتنكر فيه مجتمعاتهم لكثير من القيم والأخلاق التى جاء بها الدين من أجل خير الانسان وسعادته ، والذى لا ريب أن اخبار الرسول ﷺ بأن الاسلام سيعود كما بدأ قد وقع ، فالناس قد ابتعدوا عن الله كثيراً وأهملوا كثيراً من تعاليم دين الله ، ومارسوا الكثير مما حرمه الله ، حتى أصبح المتمسك بإيمانه يشعر بالغربة فى المجتمع الذى يعيش فيه وحتى أصبح فعل بعض الأشياء المأمور بها شرعاً يدعو إلى السخرية من بعض الأفراد فى المجتمع ، وخاصة أولئك الذين لم يكن لهم نصيب من

الفهم العميق بالاسلام أو الذين انحرفت بهم أفكارهم إلى طريق غير طريق الاسلام ، فأصبحوا يزنون الأمور بمقاييس عقولهم دون أن يدخلوا فى حسابهم أن الله الذى خلق الكون هو الذى يعلم بمصالح عباده ، وأن تلك الأوامر والنواهى التى جاء بها القرآن والسنة إنما هى لمصلحة العباد أدركوا الحكمة من ذلك أم لم يدركوها ، كما وأن إخباره عليه السلام عن حصول غربة للاسلام فى الأزمان المقبلة دليل على نبوته عليه السلام وأنه لا ينطق عن الهوى ، وما هو حاصل الآن فى عالم الاسلام من ضعف العقيدة ، وانحلال فى الأخلاق ، وتهاون بالأوامر ، وانتهاك للحرمات ، إلا من غربة الاسلام وبعده عن قلوب الكثير من المسلمين ، إلى جانب ابعاد الاسلام فى كثير من بلدان المسلمين عن مجال السياسة وإقصائه عن ميدان الحكم والقضاء ، وهذا ما يجعل الاسلام فى هذه البلدان بعيداً عن معترك الحياة ، غير مسموع الصوت حتى فى أبسط المجالات لا بل فى كثير من بلدان الاسلام لا يستطيع المسلم فيه أن يصرح برأى الاسلام فى أى شأن من شؤون الحياة .

وما بعد هذا من غربة لهذا الاسلام الذى يحارب بين أهله الذين ظلموه ، لا حباً فى ظلمه وإنما جهلاً بتعاليمه وما يدعو إليه من سعادة لا للمسلمين فقط وإنما لكل البشر ، والذى أعتقده جازماً أن المسلمين لو كانوا على فهم صحيح من دينهم لما تنكروا له هذا التنكر الذى أصبح معه متهماً بعدم وفائه بمتطلبات الحياة للمجتمع لكن الجهل بالشيء يجعل الانسان يذهب به الأمر إلى ما هو أبعد من هذا ، وكما يقال : فاقد الشيء لا يعطيه ..

فالمسلم الذى لا يفهم الاسلام فهماً صحيحاً لا يملك القدرة على الدفاع عنه ، ولا يملك القدرة أيضاً على تحصين نفسه من الحيرة عندما تطرح مسألة يراد تشكيكه بها فى إسلامه ، وهذا شأن الجاهل بالشيء يبقى دائماً متخبطاً لعدم إدراكه للأمر ، وحتى لا يبقى الاسلام غريباً بين الناس ، لابد للمسلم من دراسة دينه ، دراسة فهم وتعمق ، ويومها لا يكون الاسلام غريباً بين أهله وذويه .



تحت ظل الإخاء

الأخوة فى الاسلام تعنى المحبة والتآلف ، وتوحيد الكلمة وصفاء النفس ، وتعنى كذلك التضامن ، والمشاركة فى الآمال والآلام .

والاسلام حينما ربط بين المسلمين عن طريق العقيدة الواحدة ، إنما أراد بالدرجة الأولى إيجاد مجتمع متماسك البناء ، ثابت الأركان ، وهذا المجتمع لا يتحقق وجوده إلا بترابط القلوب ، وتجمعها حول العقيدة الواحدة ، التى تعمر القلوب بالايمان والحب والتعاطف بين جميع أفراد المسلمين ، حيثما كانوا وأينما وجدوا ، ولذا كان وصف الرسول ﷺ للمجتمع الذى يتمثل فيه معنى هذه الأخوة وصفاً هو فى غاية الدقة حيث قال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وهذا يعنى أن الأخوة تستوجب التواضع والتضحية والعطف ، فالعالم يتواضع للجاهل ويعلمه ، والقوى يدافع عن الضعيف ويسنده ، والغنى يعطف على الفقير ويرحمه .

وانطلاقاً من أن الأخوة جزء من العقيدة الدينية ، فإن الاختلاف فيما يحقق مصلحة الاسلام والمسلمين ، والتخاذل وعدم الترابط الكامل ، يلغى معنى هذه الأخوة التى لا يمكن للأمة الاسلامية أن تعيش آمنة مطمئنة دون القيام بالتطبيق العملى لمعنى هذه الرابطة التى هى بمثابة الدرع الحصين من مؤامرات الأعداء ودسائسهم لأن المسلمين بهذا الاخاء لا يتركون مجالاً لأعدائهم لتنفيذ مؤامراتهم وكان هذا ما حدث فعلاً فى المجتمع الاسلامى الأول الذى آمن بأن تحقيق معنى الأخوة أمر لابد منه لصفاء النفوس وتآلف القلوب ، واتحاد الكلمة فكان ذلك التاريخ الحافل بكل مفاخره وأمجاده ، كان الفرد فى ذلك المجتمع المثالى يؤثر أخاه على نفسه ، ويساعده فى محنته ، ويواسيه فى مصيبته ، ويقف دائماً إلى جانبه يقوى من عزيمته ، ويحميه من أعدائه ، ويدافع عن حقوقه ، وهذا هو السر فى تماسك المجتمع الاسلامى يوم أن كان المسلمون متمسكين بالاسلام عن عقيدة وفهم وإدراك وبسبب هذا التماسك القائم على العقيدة الخالصة لله والأخوة الصادقة خفقت راية الاسلام فى كل مكان من الدنيا تعلن دعوة الله

صافية نقية عن طريق أولئك الإخوة المؤمنين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وما زال المجتمع الاسلامى مرهوب الجانب منيع التحصين يتودد العالم صداقته ، ويخشى معاداته إلى أن أصبحت كلمة الأخ لا تعطى المدلول الكامل للمعنى المراد منها مما نتج عنه تلك الكوارث المتلاحقة ضد المسلمين فى كل مكان من العالم ، وهذا مصداق قول الرسول ﷺ : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا :أعن قلة منا يا رسول الله ؟ قال : لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب غيركم فتوضع فى قلوبكم » .

وبسبب ضعف الايمان ، والبعد عن تعاليم الاسلام ، وتعطيل مدلول كلمة الأخوة الاسلامية ، أو استبدالها بالأخوة فى العروبة ، تلك التى لا تدل إلا على مدلول ضيق للغاية صار المسلمون أذلاء بعد عزة ، وضعفاء بعد قوة ، فتسلطت عليهم قوى الشر من هنا وهناك بالتمزيق والتشريد ، وامتهان الكرامة ، الشيء الذى لم يكن ليحدث لو لم يبتعد المسلمون عن الله ، ويتناسوا أخوتهم فى الله التى توثق الصلة بينهم ، وتربطهم دائماً برباط روحى مع الله ، وعبثاً نحاول إن نحن طلبنا القوة والعزة بغير هذا الاخاء القائم على رباط العقيدة الواحدة ، التى هى المنطلق الأول والأخير لوحدة الصف وجمع الشمل ، والتقاء القلوب ، ولنا من ذلك الترابط النفسى والروحى الذى ساد عصر الصحابة ومن بعدهم ممن سار على النهج الذى ساروا عليه درساً نضيء به الدرب إلى حيث يريد الله لهذه الأمة أن تكون من صفاء فى العقيدة ونقاء فى الأخلاق لتكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، لتتجسد معانى الأخوة الصادقة فيما بين أفراد وجماعات أمة الاسلام ، التى لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها ، وأول صلاح أمرها أن يكون الاخاء بين المسلمين جزءاً من العقيدة ، ومن هنا وعن طريق هذه العقيدة التى تربط بين المشاعر والأحاسيس يشارك المسلم أخاه المسلم فى أى مكان كان من الأرض كل آماله وآلامه ، وحينما يحصل مثل هذا النوع من الترابط يكون معنى الأخوة قد تحقق ، وأمام هذا تزول كل النعرات القبلية والدعوات العرقية ، ويبقى المسلم أخاً للمسلم يعينه ويأنس به ، ويحميه ويعطف عليه ويسير وإياه على الطريق المستقيم يشد من أزره ، ويساعده على محنته ، ويهب لنجدته إن احتاج إليه فى أمر من أموره ، من غير أن يرى فى ذلك مناً أو معروفاً ، وإنما أمراً واجباً تنفيذه كجزء من عقيدة قامت على التآخى فى الله والتعاون على البر والتقوى وعلى أن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ، والحقيقة التى لا مرية فيها أنه لو تحقق معنى الأخوة فيما بين المسلمين لما ذل لهم جانب ولما هضم لهم حق ، ولما أهينت لهم كرامة ذلك أن توحيد الصف واتفاق الرأى ، يجعل العدو دائماً فى مواقف صعبة ، بخلاف ما إذا كان الاخاء مفقوداً أو ضعيفاً فإن الأمة تصبح مطمعاً لكل طامع ، وعرضة لكل مكروه ، تأكيداً لقوله تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ . والتفرق لا يكون عادة مع وجود الترابط والتلاحم والأخوة الخالصة وما كان انتصار المسلمين فى عصورهم المزدهرة إلا بسبب العقيدة القائمة على الأخوة الخالصة لله ومن أجل الله وتناسيهم كل شيء فى سبيل

تحقيق المعنى الحقيقى للأخوة الاسلامية ، التى كثيراً ما يكون لها من تآلف النفوس وترابط القلوب ، أكثر مما بين الأخوة فى النسب .

ولا ريب أنه كلما كان الايمان بالله قوياً كلما تعمق فى النفوس مفهوم الأخوة ، وكلما كان الترابط بين المسلمين أشد صلابة وأكثر رسوخاً وهنا يكون التماسك بين المجتمعات الاسلامية ، ويؤتى الاخاء ثماره ونتائجه التى يكون حتى فى مقدمتها وقوف الأمة قوية أمام كل المطامع والتحديات متخذة شعارها من قول الرسول ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .



هذا الاتهام مرفوض

الاسلام دين ودولة ، عقيدة وشريعة ونظام حياة ، غير أن كثيراً من الناس لا يدركون هذا لعدم استيعابهم لما جاء به هذا الدين من نظم تشريعية سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها مما به صلاح شؤون الأمة ، واستمرارية سعادتها لا فى الحياة فقط وإنما فيما بعد ذلك أيضاً ، ولشمول الاسلام لكل متطلبات الحياة المختلفة ، ووضعه الحلول السليمة لما يواجه الانسان فى حياته من مشكلات خاصة أو عامة ، على مستوى الفرد أو الجماعة أو الدولة ، فإنه من هذا المنطلق يختلف كل الاختلاف عن الديانات الأخرى التى لم تتعرض إطلاقاً لمعالجة الأمور السياسية أو الاقتصادية ، أو غيرها ، ذلك أن الديانات التى سبقت الاسلام كانت لأناس مخصوصين ولزمن محدود ، إذ كانت مثلاً الديانة النصرانية للنصارى ، والديانة اليهودية لليهود ، وهاتان الديانتان كانتا فى الدرجة الأولى تتجه إلى دعوة الناس إلى التبتل والعبادة .

أما الاسلام وهو خاتم الرسالات السماوية فقد اقتضت حكمة الله أن يكون ديناً عاماً لكل البشرية لا فرق فى ذلك بين عربى وغيره ، ولنستمع إلى القرآن الكريم يقول فى هذا المعنى : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ ، ولأن هذا الدين خاتم الأديان السماوية كلها ، ولأنه للبشرية كلها كان لابد إلى جانب اهتمامه بتحرير العقل البشرى من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق ، وتربية النفس البشرية على منهج الله القائم على خير الانسان وسعادته فى دنياه وآخرته أن يحرص على أن يضع التشريعات الملائمة التى لابد للحياة منها ، تتمثل هذه التشريعات فى آيات القرآن الكريم ، والأحاديث الصحيحة من سنة رسول الله ﷺ ، منطوقاً ومفهوماً .

والعالم المتخصص فى دراسة الشريعة الاسلامية من خلال دراسته للقرآن الكريم وتفاسيره ، والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ ، إلى جانب مطالعاته الأخرى ، رجل يحمل فى فكره الكثير من المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، فإذاً الاتهام الذى لا زال يوجه إلى علماء الشريعة بأنهم لا يفهمون شيئاً غير العلوم الدينية فقط ، اتهام فى غير محله ، بدليل أننا لو تتبعنا تاريخ الاسلام القديم والحديث لوجدنا الكثير من علماء الشريعة فى طليعة رجال السياسة ، وإذا قلت علماء الشريعة

فليس قصدى جميعهم ، مثلهم فى ذلك مثل الدارسين للعلوم السياسية أو الاقتصادية أو غيرها — فليس كل من درس العلوم السياسية يكون سياسياً ، وليس كل من درس العلوم الاقتصادية يكون خبيراً فى الاقتصاد ، وإنما قصدت أن أقول إن هذه النظرة الشاملة التى تصف العالم فى الشريعة أياً كانت امكاناته العقلية والفكرية بعدم الفهم فى أمور الحياة نظرة خاطئة للغاية ، اللهم إلا إن كان هؤلاء الذين ينظرون هذه النظرة يقصدون منها شيئاً آخر ، وهو إضفاء هذه الصفة التى لا تنطبق على الواقع من أجل إبعاد الرجال الذين يتحلون بالعلم والخلق والنزاهة عن مراكز القيادة فى الدولة ، لأغراض ذات مغزى ، فهذا مالا نعرفه ، لكن الحقيقة تظل كما هى وهى أن هذه التهمة مردودة بحكم الواقع وأنها وجدت من أجل الغرض الذى ذكرناه آنفاً ، هذا إذا لم نحسن الظن بأصحاب هذه النظرة .

أما إذا أردنا أن نحسن الظن بهؤلاء ، فنقول : إن الذى جعلهم ينظرون هذه النظرة التى لم يحالفها التوفيق لعدم انطباقها على الواقع ، هو جهلهم بأن الاسلام دين ودولة وأنه لا يعترف برجال دين ورجال دنيا ومحاولة فصل الدين عن الدولة ، دعوة ليست حديثة الولادة ، ومن المستحيل قبولها بالنسبة للاسلام الذى لا يمكن بأى وسيلة كانت أن يعزل بعضه عن بعض ، وجهل هؤلاء بما جاء به الاسلام من تشريعات فى الحرب والسلم ، والسياسة والاقتصاد ، وما اشتمل عليه من توجيهات فى كل مجالات الحياة العامة والخاصة ، يجعلهم بطبيعة الحال يتصورون فى أذهانهم خطأً أن علماء الشريعة لا يصلحون إلا قضاة ومدرسين ، وأئمة وخطباء ، أما أمور الحياة الأخرى فغير مدركين لها .

والحقيقة أن هذا الحكم جاء فى غير محله فمحمد عليه السلام الذى جاء بالهداية من الله للبشرية ، كان الامام فى الصلاة ، والمخطط للسياسة الداخلية والخارجية والقائد فى الحرب ، وكان خلفاؤه من بعده على هذا النحو ، ومع تطور الزمن وتغير أساليب الحياة فى المجتمعات ، ووقوع كثير من البلدان الاسلامية تحت النفوذ الاستعمارى ، كان علماء الشريعة فى مقدمة الصفوف ، فى تحرير الأوطان ، وتوجيه الرأى العام فى المجتمع ، وفى المساهمة فى صنع الخطط للسياسة الداخلية والخارجية .

واذا كان يتعذر علىَّ حصر مثل هؤلاء العلماء ، فإنى أذكر منهم على سبيل المثال شيخ الاسلام **« ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وحسن البنا ، وأبو الأعلى المودودى ، وأبوالحسن الندوى »** وغيرهم من علماء كانوا هم الرواد الأوائل فى توعية المجتمعات ، وتوجيه السياسة العامة بها ، ولو رجعنا إلى تاريخ الجهاد والكفاح وتخليص الأوطان فى البلدان الاسلامية التى امتحنت بالاستعمار الأجنبى لوجدنا علماء الشريعة فى مقدمة الصفوف يخططون ويوجهون ويخوضون المعارك وليس بصعب أن نراجع تاريخ الجزائر وتونس وغيرهما من البلدان التى كافحت من أجل استعادة أوطانها من الغاصبين ، نرى هذه الحقيقة ، أعنى حقيقة الأدوار التى قام بها علماء الشريعة فى هذا المجال ، إن لديهم من القدرات الكبيرة ما ينفى عنهم تهمة هم منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ..

هذه التهمة التى لم تكن من صنع أيدينا وإنما وفدت إلينا من خارج حدود بلادنا ، حيث يكون الدين ورجاله مفصولين تماماً عن السياسة العامة للدولة ، الأمر الذى لا ينطبق على الاسلام ورجال الشريعة من قريب أو بعيد ، لأن الاسلام كما قلت لا يعترف بشىء اسمه رجال دين ورجال دنيا . وعلماء الشريعة من خلال دراسة القرآن والحديث النبوى وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، يواجهون الحياة بعقل متفتح وفكر سليم يستوعب الكثير من مفاهيم العصر الذى يعيشون فيه ، وإذا كان فيهم من لا يكون كذلك لسبب من الأسباب ، فإن هذا لا يعنى أنهم كلهم غير مهيئين للقيام بأعمال المراكز القيادية فى الدولة ، كما يظن أولئك الذين لا رصيد لهم من الدراسات الاسلامية ، ولم يكن لهم كذلك اختلاط بالعلماء ليعرفوا مدى عمق الفهم لديهم بشؤون الحياة .

ومن هذا المنطلق فإن إطلاق الحكم على الآخرين دون الاحتكاك بهم ومعرفة أفكارهم أقل ما يقال عنه ، إنه تسرع فى الحكم ، والتسرع فى الحكم غالباً ما يوقع فى الخطأ ، ولكى نؤكد خطأ هذا الحكم نقول : إن كثيراً من المراكز القيادية عندنا فى الادارة والأعمال الحسابية ، وحتى فى مجال السياسة والأعمال العسكرية يتولى القيام بمهام أعمالها بنجاح وتفوق ، رجال تخرجوا من كليات الشريعة وغيرها .

فهل قيام أمثال هؤلاء بالأعمال فى تلك المراكز ذات الاختصاصات المتباينة كان من باب الصدفة ، أم أن هؤلاء قد أثبتوا جدارتهم وتفوقهم على غيرهم علماً وإخلاصاً ونزاهة فكانوا بهذه الميزات أولى من غيرهم بتولى الأعمال فى مثل هذه المراكز المهمة ؟ موضوع الصدفة خرافة من الخرافات .. إذاً فهؤلاء ومن على شاكلتهم لم يصلوا إلى هذه المراكز الكبيرة إلا بسبب نجاحهم فى العمل ، فهل بقى بعد هذا أن يقول قائل ، إن علماء الشريعة لا يصلحون لقيادة الأمة ؟ وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو إذا كان علماء الشريعة الذين غالباً (وأقول غالباً لأنهم كغيرهم من البشر غير معصومين من الخطأ) ما يكونون أصفى فكراً وأنظف يداً من غيرهم ، لا يصلحون لقيادة الأمة ، فمن يصلح إذاً ، المنحرفون فكرياً ، والهابطون أخلاقياً ، والمرتبطون ثقافياً بأوطان غير أوطانهم ؟ لا أقصد من وراء هذا الكلام التقليل من شأن الآخرين أو إتهامهم بما ليس فيهم حاشا لله ما هذا قصدت ، وما هذا بخلق المسلم الذى يحاسب نفسه عن كل تصرف يصدر عنه قولاً كان ذلك التصرف أو فعلاً ، لكنى أقول إن العالم بالشريعة وقد تهذبت نفسه عن طريق التربية الايمانية ، وامتلأ قلبه من خشية الله وكان ذا أفق واسع وعقل ناضج ، إذا تولى العمل يكون أفضل من غيره ممن لم تتوفر لديه هذه الصفات التى تجعل الانسان يراقب الله فيما وكل إليه من عمل ، ويحرص على أن يكون رمزاً للموظف المخلص النظيف ، يدفعه إلى ذلك لا خوفاً من رقابة البشر ، وإنما إحساسه بمراقبة الله له ، وفرق كبير جداً بين من يحس برقابة الله ، فلا يغش ولا يخادع ولا يخون ، وبين من خلا قلبه من الاحساس برقابة الله ، فراح يعمل حسبما تمليه عليه رغبته الخاصة .

وهذا ليس معناه أن علماء الشريعة القدامى منهم **والمحدثين** أطهار منزهون عن الأخطاء وأن غيرهم ليس كذلك ، لا لم أقصد هذا فكل البشر عرضة للأخطاء ، علماء وغير علماء ، وكما أن فى غير العلماء من هو غير صالح للعمل لأسباب متعددة فكذلك فى العلماء من هو غير صالح كذلك للعمل لأسباب متعددة أيضاً ، والكمال دائماً لا يكون إلا لله دون غيره ..

لكن الذى نرفضه اتهام علماء الشريعة دون استثناء بعدم الصلاحية لقيادة الأمة والنظرة إليهم بأنهم لا يصلحون إلا للامامة والخطابة والقضاء والتدريس ، هذه التهمة التى نعيد ونكرر القول بأنها تهمة ظالمة لأنها تخالف الواقع ، من ناحية ، وتدعو إلى ابعاد علماء الشريعة عن المراكز القيادية فى الدولة من ناحية ثانية ، وتلغى شرطاً أساسياً من شروط تولى الحكم فى الاسلام وهو أن يكون الحاكم عالماً بشريعة الله من ناحية ثالثة ..

وبعد توضيح رأيى فى هذا الموضوع ، هل لى أن ألتمس من الإخوة الذين يحملون فى أفكارهم هذه التهمة أن يتحرروا منها ، لعدم انطباقها على الواقع ؟ أرجو ذلك .. وما ذلك على الله بعزيز ..

وهدانا الله جميعاً إلى طريق الصواب ..



المرأة والمجتمع

لاشك أن النواة الأولى للمجتمعات البشرية هى الرجل والمرأة ، فبالرجل وحده أو بالمرأة دون الرجل لا يمكن أن يوجد مجتمع ، تلك هى سنة الله الذى أوجد هذا الكون كله إذاً الله سبحانه وتعالى أوجد كلاً من الرجل والمرأة من أجل عمارة هذا الكون بعبادة الله أولاً دون غيره ، ثم ثانياً بالعمل من أجل سعادة البشرية التى أراد الله لها الحياة على هذه الأرض يستثمر خيراتها ويستخرج كنوزها ، وينتفع بكل ما أوجد الله فيها من معادن وغيرها .

وحينما خلق الله الخلق ووزعهم على هذه الأرض ، كان الانسان وحده هو المكلف بتحمل نتائج أعماله صالحة كانت أو غير صالحة ولهذا ميّزه الله بالعقل والتفكير والارادة ، لتكون لديه القدرة على معرفة ما هو نافع له أو ضار بمصلحته ، ومن أجل أن يعيش البشر سعداء فى حياتهم ومعادهم ، كان لابد للخالق العالم بكل شيء أن يضع لهؤلاء البشر قوانين يعيشون فى ظلها آمنين مطمئنين على أموالهم وأعراضهم ودمائهم ، فأرسل الله رسله إليهم عبر فترات التاريخ البشرى رسلاً يوجهونهم حسب أوامر الله ، وكانت آخر هذه الرسالات الالهية ، رسالة محمد عليه السلام الخاتمة لكل الرسالات والعامة لكل البشر والشاملة لكل متطلبات الحياة ، هذه الرسالة الخالدة الباقية ما بقى الزمن جعلت المرأة المسلمة مكلفة بجميع أنواع العبادات التى كلف بها الرجل ، وأعطتها الحقوق والواجبات ما لم تحصل عليه امرأة فى الدنيا عبر التاريخ البشرى كله ، وهى محاسبة عن نتائج كل عمل تقوم به إن كان طيباً أو غيره ، وكما أن الرجل له ثواب لأعماله الطيبة التى يعملها وعليه عقابها فى الدنيا والآخرة فكذلك المرأة لها ثواب وعليها عقاب فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا كانت المساواة فى الاسلام بين الرجل والمرأة ، يؤيد هذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ ، وقول الرسول ﷺ : « النساء شقائق الرجال » ، فإذا كان مطلوباً من الرجل أن يكون عضواً نافعاً فى المجتمع ، فإن المرأة كذلك مطلوب منها أن تكون عضواً نافعاً فى المجتمع سواء بسواء .

لكن ولكى تبقى جوهرة مصونة عن ابتذال الفضوليين ، ينبغى أن يكون عملها فى إطار ما يحفظ عليها كرامتها ، فلها أن تشارك فى التعليم بكل مستوياته المختلفة ، ولها كذلك أن تمارس الطب والتمريض ، والاسهام فى العمل فى مصانع الغزل والنسيج ، ولها كذلك أيضاً أن تباشر تنمية أموالها الخاصة بالبيع والشراء وغير ذلك ، من الأعمال التى لا تضطرها إلى الاختلاط بالرجال والاحتكاك المباشر بهم ، ومع هذا فقد ألقى الاسلام كل تكاليف الحياة المادية على كاهل الرجل دون المرأة ، فإن كانت من ذوات الأرحام كان على أقرب ما يكون من الرجال نسباً القيام بكل التزاماتها الحياتية ، وإن كانت زوجة كانت كل التكاليف المادية على كاهل زوجها .

وبعد : فما هى قصة المطالبين بمساواة المرأة بالرجل ؟ إن كانوا يريدون من تلك المساواة أن تكون المرأة مثل الرجل فى التكوين الجسمى ، والأعضاء التناسلية وعدم الحمل والولادة ، فهذا شيء إلى الله الذى أوجد هذه الفوارق ليكون هناك ذكر وأنثى لتنمو البشرية على هذه الأرض ولتزدهر هذه الحياة فى دنيا الناس ، ولولا وجود رجل وامرأة حسب سنة الله التى أرادها لفنيت البشرية ، منذ مئات الملايين من السنين ، لا بل كيف يتصور وجود مجموعة من الناس دون كل من الذكر والأنثى الذى بسبب التزاوج بينهما يتم الانجاب ، وإذاً طلب المساواة هنا ضرب من الهوس العقلى ، إلا إذا اقتضت إرادة الله أن يكون هنا إنجاب من غير ذكر وأنثى ، فهو قادر على ذلك ، مثلما خلق آدم أبا البشر من غير أب ولا أم ومثلما خلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب .

وإن كانوا يريدون من طلب المساواة الاعتراف بكامل إنسانية المرأة ، وأن تنال من الحقوق والواجبات مثلما ينال الرجل ، فلا مبرر لطلب المرأة المسلمة المساواة مع الرجل لأن الاسلام قبل أن تطالب هى بهذا الحق قد أعطاها من الحقوق كما قلت ذلك سابقاً ما لم تحصل عليه امرأة فى تاريخ البشرية كلها .

ولذا نقول : إن المطالبين بمساواة المرأة للرجل والمتباكين على حالتها الاجتماعية كانت نتيجة هذه المطالبة ، أن دفعوا بالمرأة إلى الشارع العام عارية من الحياء متجردة من الحشمة تحت شعار الحرية والمساواة ، وساعدت هى على ذلك بانطلاقها فى كل مكان كاسية عارية ترتاد كل مقهى ، وتقبع فى كل الملاهى فى وقاحة مستهترة ، وزاد من انطلاقها هذا أن وجدت ترحيباً وتشجيعاً بهذا الانطلاق من تلك الذئاب البشرية المسعورة ، التى لا تريد إلا أن تستمتع منها بما تشاء من حلال وحرام ، وقد تم فعلاً لتلك الذئاب البشرية المنحرفة جر المرأة المسكينة إلى أمور عانت منها الكثير من التعاسة والشقاء النفسى ، وسارت المسكينة تحت عوامل الاغراء تتفنن فى نصب شراك المجون واستطاعت بعد أن فسدت أخلاقها أن تفسد غيرها ، وانساقت وراءها نفوس رجال خف منها الايمان ، واستولى عليها حب العصيان ، فكانت الكارثة الخلقية التى تعانى منها الآن شعوب كثيرة ، مما جعل علماء الاجتماع فى تلك الشعوب يقومون بالكثير من البحوث والدراسات ، حول كيفية ايجاد الوسائل التى تخفف عن تلك

المجتمعات المصائب التى تهدد مجتمعاتهم بسبب هذا الانطلاق غير المحدود للمرأة ، والتى كان من آثاره وجود أعداد هائلة من مواليد غير شرعيين ، إلى جانب انحلال الأسرة وتفسخ المجتمع ، والذى أعتقده أنهم وصلوا إلى درجة من الانحدار يصعب معها حل تلك المشكلات ، كالمرض تماماً ، إذا تمكن من الجسم كان علاجه صعباً ، وهم قد تركوا فى البداية للمرأة كامل الحرية ، ويحاولون الآن ارجاعها إلى وضعها الطبيعى لكن كيف وقد فات الأوان ؟

واليوم وهم يسلكون كل الطرق لجذب البقية الباقية من المسلمات الفاضلات إلى ما يتعارض مع ما أراده الله للمسلمة من التحلى بالأخلاق الرفيعة وخشية من أن تجرفنا عادات دخيلة لا تتفق مع تعاليم الاسلام الذى أكرمها الله به .. فإننا نتوجه بالنصيحة لها كأخت لنا فى الله واجب علينا نصحها ، انطلاقاً من قول الرسول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، ونصيحتنا لها هى أن تعطى للعالم الصورة الحية للمسلمة الملتزمة وذلك من خلال ما يأتى :ـــ

١ ـــ أن تكون مستنيرة فى أفكارها بالعلم والمعرفة مدركة ما لها وما عليها .

٢ ـــ أن تكون على جانب كبير من الصلاح والتقوى ، والايمان الصادق .

٣ ـــ أن يكون لها نصيب فى بناء المجتمع الصالح فى الحدود التى لا تفقد معها شيئاً من كرامتها .

٤ ـــ أن تكون حريصة على ألاَّ تكون إمعة تنقاد دون وعى وراء كل موضة أو تقليعة تأتى عن طريق الشرق أو الغرب .

٥ ـــ أن تدرك تماماً وقد أكرمها الله بالاسلام أنه يجب عليها أن تكون قدوة حسنة فى سلوكها داخل وخارج بيتها ، لأن المرأة المسلمة هى تلك التى تراقب ربها فى سرها وجهرها .

٦ ـــ أن تقوم على تربية أبنائها حسب منهج الله ليكونوا أعضاء صالحين فى المجتمع المسلم المحافظ على إسلامه .

وبهذه الأمور تتحقق السعادة كل السعادة لا للمرأة وحدها وإنما للمجتمع كله ..



التلامذة الأوفياء

أعداء الاسلام فى أى مكان من الأرض لا تلذ لهم الحياة ، ولا يجدون طعم السعادة إلا حيث يجدون الوسيلة التى يرون أنها كفيلة بالقضاء على الاسلام وأهله ، وكلما جربوا وسيلة من الوسائل ورأوا أنها غير محققه للآمال التى يريدونها ، قاموا بالبحث عن وسيلة أخرى أكثر فاعلية ممّا قبلها ، **وهكذا سوف يبقى الصراع بين دين الله وبين أعدائه ما بقيت حياة على هذا الكوكب من العالم وعلى مدار** التاريخ فما ترك أعداء الاسلام وسيلة إلا استخدموها لكنهم ورغم كل الوسائل التى اتخذت أشكالاً متعددة ، وأساليب مختلفة ، لم تصل حتى الآن إلى الغاية التى يريدونها ، ومهما ضاعفوا الجهد وبذلوا الكثير من المال وغيره ، فإن أهدافهم لن تتحقق استناداً إلى قول الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وما دام القرآن محفوظاً بحفظ الله له فسيبقى الاسلام خالداً رغم كل التحديات الكبيرة الآتية من الشرق أو الغرب ، وستفشل كل المحاولات الحاضرة والمستقبلية كما فشلت من قبل .

وآخر وسيلة توصلوا إليها للوصول إلى هذا الهدف بعد مؤتمرات ومناقشات ودراسات نفسية واجتماعية هى ايجاد ركائز من أبناء المسلمين ، لاستخدامهم لهذا الغرض ، وهى وسيلة لا تكلفهم الكثير من الجهد ولا المال ، كل ما فى الأمر أن يتولوا تعليمهم فى مؤسساتهم التعليمية ويصوغوا أفكارهم بالطريقة التى يرون أنها تخدم أهدافهم ، حتى إذا ما عادوا إلى أوطانهم قاموا بنشر تلك الأفكار بطريقة لا تحوم حولها شبهة ، لسبب واحد وهو أن هؤلاء الذين يقومون بهذا الدور ينتمون إلى الاسلام ويحملون أسماء إسلامية ، وأهلهم مسلمون ، فكيف يتطرق إليهم الشك فى أنهم يعملون ضد الاسلام ؟ طريقة ماكرة إلى أبعد حدود المكر ، والحق أنهم نجحوا إلى حد كبير فى هذا المجال ، بعد أن أوصلوا هذه الركائز إلى مراكز القيادة وهيأوا لهم الوسائل للوصول إلى تولى الأمور الهامة فى حياة الأمة .

إن هذه الركائز التى أسميها ضحايا ، وهم يقومون الآن فى كثير من بلدان المسلمين بدور المطايا المذللة يعملون جاهدين لتنفيذ مخططات أعداء الاسلام ، من أجل توجيه الضربات المؤلمة للاسلام وأهله ، لا تعمداً للاساءة إلى دينهم وأوطانهم ، ولكن لأن أفكارهم تقع تحت تأثير يحجب الرؤية عما يجب أن تكون الحياة فى بلدانهم ، فهم نتيجة لذلك التأثير يعتقدون فى داخل نفوسهم أن تقدم

الحياة ورقيها لا يمكن أن يتحقق إلا إذا سارت أوطانهم فى نفس الخط الذى تسير عليه تلك الشعوب التى تلقوا تعليمهم فى مدارسها وجامعاتها ، وعلى هذا وحسبما تمليه عليه أفكارهم ، فإن مناهج التعليم التى تسير عليها تلك البلدان التى تعلموا بها هى فى نظرهم المناهج المثالية ، وطريقة الحياة الاجتماعية هناك هى النمط الراقى من الحياة ، ومن هنا فهم يعملون على تحويل حياة المجتمع فى بلدانهم على نمط تلك الحياة بصرف النظر عما عليه مجتمعهم من قيم وأخلاق وعادات وتقاليد ، حتى الدين لجهلهم بتعاليمه يرون فصله عن الحياة ، هذا النوع من أبناء المسلمين مهزومون من داخل ذواتهم ، لارتباط أفكارهم ثقافياً بتلك المؤسسات التى نقلوا عنها العلم ، وهو استعمار فكرى تحرص تلك المؤسسات هناك على تعميقه فى نفوس الشباب المسلم ، لأنه يعطيهم كل شىء ، ولا يأخذ منهم شيئاً ، ولأجل هذا فإن شباباً يحمل أفكاراً مثل هذه لابد وأن يستمر فى حماس دائم لكى ينفذ ما يظنه الصواب ، ولابد له أيضاً أن يسلك من أجل الوصول إلى الهدف الذى يريد تحقيقه كل وسيلة مهما كان ضررها بالغاً للآخرين .

وما نشاهده ونسمع عنه الآن من محاربة لا هوادة فيها لدعاة الاسلام فى بلاد الاسلام إن هو إلا امتداد لحرب الاسلام ، غير أنه فى هذه المرة يتم عن طريق صرعى الأفكار من أبناء المسلمين وتحت شعار القومية تارة ، والتقدمية تارة أخرى ، وما إلى ذلك مما أحدث من شعارات كان الهدف منها فى الدرجة الأولى الابتعاد عن الاستظلال تحت راية العقيدة الواحدة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

هذه الشعارات ما كانت إلا من صنع أعداء الأمة الاسلامية ، ليتفرقوا بها شيعاً وأحزاباً سلموها بأمانة إلى هذه الركائز ذات التبعية فى الفكر والسلوك ووقفوا من بعيد ينظرون إلى هؤلاء فى غباء وهم يحاولون بث تلك الأفكار لتحل محل الأفكار التى آمن بها المجتمع استجابة لأوامر الله ، وهكذا وجد رجال التبشير النصرانى ، وأساتذة الجامعات من يهود وملحدين ، من يقوم بدور محاربة الاسلام من أقصر طريق وبأقل تكلفة ، ولا نستطيع إلا أن نقول : إن أساتذة تلك الجامعات وهم يصنعون أولئك التلاميذ الأوفياء ، قد نجحوا إلى حد كبير فى استخدام هذه الوسيلة الجديدة من أجل القضاء على الاسلام ، ومحاربة رجال الدعوة إلى الله ، لكن هذه الوسيلة وإن كانت قد قامت بدور لا يستهان به فى مجال افساد الأخلاق ، والتقليل من أهمية الدين ، إلا أنها وبعون من الله ، لن تستطيع الصمود طويلاً أمام الوعى الاسلامى ، الذى أصبح الآن ينتشر فى كل مكان من العالم رغم كل التحديات والمؤامرات .

وتفاؤلنا كبير فى أن يعود هؤلاء الأبناء الذين تأثرت أفكارهم بآراء ليست من دينهم أن يعودوا من جديد بعد أن يفهموا حقيقة إسلامهم ، ليكونوا دعاة إليه وهو أمر ليس بالصعب إذ أن الحقيقة التى ينبغى أن تقال هى : إن هؤلاء الأبناء لو درسوا الاسلام دراسة تعمق وفهموا ما يدعو إليه من أمور الدنيا والدين ، لما كان موقفهم على هذا النحو ، لكنهم — وهذا عذر أعتقد أنه وجيه للغاية — يذهبون إلى الجامعات غير الاسلامية وهم بعد لما يزالون فى دور المراهقة ، ومعلوم أن هذه المرحلة من العمر ، مرحلة يكون الشباب فيها بعيداً تماماً عن الاتزان الفكرى والعقلى ، فإذا ما انتقل من مجتمع ملتزم بقيم

معينة تحول بينه وبين الانطلاق لتحقيق رغباته النفسية إلى مجتمع تكاد أن تنعدم فيه الحدود لممارسة ما تنزع النفس إليه من رغبات جسدية أو غيرها ، ظن أن ذلك اللون من الحياة هو النافع والمفيد ، سيما وعقيدته ليست تلك الصلبة التى تمنحه المناعة من الاندفاع وراء ذلك الانبهاروتلك المغريات ، ولهذا السبب يعود إلى بلاده بفكر غير الفكر الذى ذهب به وأخلاق غير الأخلاق التى سافر بها ، معتقداً أن هذه الأفكار وتلك الأخلاق التى عاد بها هى الأفضل والأحسن ، فيأخذ فى الدعوة إليها والدفاع عنها .

والذى أتمناه ، أن يعود أمثال هؤلاء لدراسة إسلامهم من جديد ليروا أنهم قد أساءوا فهمه ، وأن هذه الأفكار التى وفدوا بها معهم من هناك التى أقل ما يقال عنها إنها أفكار تدل على انهزامية الانسان وضعف عقيدته ..



أخي الصائم

في حشد من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقف الرسول عليه الصلاة والسلام على المنبر قائلاً : « آمين ـــ آمين ـــ آمين فقالوا : يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت : آمين ـــ آمين ـــ آمين ، **فقال عليه السلام : إن جبريل أتاني فقال : يا محمد رغم أنف امرئ دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له ـــ قل آمين ـــ فقلت : آمين ثم قال : يا محمد ورغم أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما عند** الكبر فلم يدخلاه الجنة . قل آمين ـــ فقلت آمين ـــ ثم قال : يا محمد ورغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك ـــ قل آمين ـــ فقلت : آمين ».

وأنت أيها المسلم الصائم ـــ وقد استقبلت بالأمس شهر رمضان بفرحة وابتهاج تعيش هذه الأيام الأخيرة منه في أمل ورجاء ، فماذا قدمت لله في هذا الشهر من أعمال تطمع في جزائها عند الله ؟ هل صامت جوارحك عن الذنوب والآثام ؟ وهل غصت إلى أعماق قلبك لتخلو في روحانية مع الله في وقت **من الأوقات ؟ وهل وقفت لحظات في حساب مع نفسك عما وقعت فيه من هفوات أو زلات ؟**

وهل أحسست أن هذه الأيام التي مرت بك في هذا الشهر الكريم ، قد أحدثت صفاءً في نفسك ، ونقاءً في قلبك ، وتحولاً في حياتك من حسن إلى أحسن .. وهل شعرت بتقصيرك فاتجهت إلى الله خائفاً راجياً ترجو رحمته وتخشى عذابه ؟

ثم وأنت تحاول تحقيق هذه المعاني الطيبة هل وجدت لذة في نفسك وانشراحاً في قلبك وعزماً على أن تكون علاقتك بالله أقوى ما تكون ؟ إن كان كذلك فاطمع في عفو الله ومغفرته ورضاه ، مستحضراً قول الله في كتابه الكريم : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ .. وإذا كان الأمر عكس ذلك بمعنى أنك لم تراجع كشف حسناتك ، وسيئاتك ، ولم تشعر بتأثير لهذا الشهر في حياتك أو أن صيامك لم يكن على الوجه المطلوب ، فأنت في حاجة ملحة ، وسريعة إلى مراجعة نفسك في هذه الأيام القليلة الباقية من هذا الشهر ، غير يائس من عفو الله ، فاقبالة مخلصة منك على الله ودعوات نابعة من قلبك إلى الله ، كفيلة

بأن تمنحك نفحة من نفحات بره وإحسانه ، فالله قريب من عباده الذين يمدون إليه أيديهم فى ضراعة وابتهال ، ورحيم بعباده المتجهين إليه فى هيبة واجلال .. ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ .

أخى الصائم : إن هذه الأيام العشرة من شهرنا الكريم ، هى أيام العتق من النار ، وأيام تنزل الرحمات ، وغفران السيئات ، والتجاوز عن الهفوات أيام توزع فيها جوائز الرحمن ، على الذين آمنوا به وعملوا من أجله ، وبكوا طويلاً خوفاً منه ، ورجاء فيما عنده ، وأيام يلتمس الناس فيها ليلة العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر ، هى ليلة القدر .

لذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام يخصها بأعمال دون غيرها من أيام شهر رمضان إذ كان عليه السلام يعتكف فيها فى المسجد تفرغاً للعبادة ، ويحيى لياليها بالصلاة ، والتسبيح والاستغفار ، والابتهال .

وجرياً على هذه السنة النبوية يتنافس المؤمنون على الأعمال الصالحة طلباً لخير ممن بيده الخير ، فالمساجد والبيوت هذه الأيام عامرة بالمتهجدين الراكعين الساجدين ، والأيدى الرحيمة تبذل المال فى سخاء للبائس ، والمعوزين ، وأصحاب القلوب العامرة بالايمان يتجاوزون عن هفوات ، وزلات المخطئين ، احتساباً للثواب فى قول الله فى كتابه : ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ .

إن هذه الأيام أخى الصائم ، وهى تمر مسرعة نحو نهايتها ، تحدث معها حزناً عميقاً فى نفوس الطائعين والعاصين على حد سواء ، فنفوس الطائعين لله الممتثلين لأمره تحزن فى أسف .. إنها لم تعمل من الأعمال الصالحة أكثر مما عملت لتنال أعلى منزلة فى الجنة مع الأبرار والمقربين ..

ونفوس المنحرفين تحزن فى مرارة عندما تحرم من جائزة الله ، وتبعد من رحمة الله ، ولا شك أن من حرم الخير فى هذا الشهر فقد حرم الخير كله .

وتكفيراً لما عساه منقصاً لثواب الصيام نتيجة لكلمة نابية ، أو لفظ غير مؤدب ، فرضت زكاة الفطر على القادرين المسلمين ، تدفع للفقراء والمساكين ، يقضون بها حوائجهم ، ويوسعون بها على أنفسهم وعيالهم ، وأنت أيها الأخ الصائم مدعو من قبل الله وفى الوقت نفسه أنت فى حاجة وخاصة فى هذه الأيام ــ أيام مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات لأن تبذل فى سخاء مما أعطاك الله فتعطف على الفقير والمسكين ، وتساعد فى قضاء الدين عن المدين ، وتتسامح عن بعض مالك على المعسرين ، فقد جاء عن نبيك الكريم قوله : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

وأنت حينما تبذل فى سخاء وتعطى فى رضا ، إنما تعبر بذلك عن فضل الله عليك ، وفى هذا شكر لله ، وقد قال الله : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ .

كما إنها توجد رباطاً من المحبة بين أبناء المجتمع ، وتقضى على الكثير من التطلعات الحاقدة من ذوى الأحوال الرقيقة ، وقيام مجتمع تربط بين أفراده روابط من المحبة والانسجام مبدأ من مبادىء الاسلام ، يشير إلى ذلك الرسول عليه السلام بقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

أخى الصائم : وأنت تودع هذا الشهر المبارك ، شهر انتصار الارادة على شهوات النفس ، ينبغى أن تستحضر الله دائماً فى قلبك ، وتحس برقابته عليك فى كل لحظة من لحظات حياتك ، فإذا حدثتك نفسك بالعودة إلى أخطاء كنت قد اعترفت بها أمام ربك ، وطلبت منه الصفح عنها فتذكر هذه الرقابة الالهية لتحول بينك وبين الوقوع فى الخطأ مرة ثانية ، والمسلم الصادق فى إسلامه هو من تكون علاقته بالله كريمة فى رمضان وفى غير رمضان .

ختاماً لهذا اللقاء .. أخى الصائم : اسأل الله أن يضاعف الأجر للعاملين ويتسامح عن هفوات المذنبين ، ويتقبل بعفوه ورحمته صيام الصائمين ، وقيام القائمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..



رسالة إلى ابني

ابنى العزيز ــ سلام الله عليك ورحمته وبركاته .

وتحية من قلب لا يضمر لك سوى الخير ، ولا يحب لك غير السعادة ، ولا يرضى بغير طريق الله طريقاً آخر ، قلب أبيك الذى يحنو عليك ، ويعمل لمصلحتك ويذوب حباً فيك ، وشفقة عليك ، ويسهر من أجل راحتك ، ويتعب من أجل جلب السعادة لك ويخاف عليك من المكاره مثلما يخاف على نفسه ويطمع فى أن تكون عضواً صالحاً فى المجتمع .

وبعد : فهل لى أن أطمع يا صغيرى الحبيب عندما تكبر قليلاً ، وتعرف قراءة هذه الأحرف فى أن تعمل بما فى هذه الرسالة الأبوية كجزء من حقى عليك كأب لك عمل كل ما فى وسعه من أجل أن تنعم بحياة أفضل ؟ أرجو ذلك ، وما أظنك مخيباً أملى ولا ناسياً رجائى ولا منكراً للجميل الذى أسديته لك منذ أن وجدت حتى هذه اللحظة من حياتك .

ابنى : لا تنس أنك تعيش فيما يسميه الناس عصر العلم ، والذى أسميه أنا عصر الماديات وفى مجتمع اسمه المجتمع الانسانى ، وأنت بطبيعة الحال ، فرد من أفراد هذا المجتمع له عليك أن تحترم شعوره ، وتكون عضواً صالحاً فيه ، تعمل لمصلحته وتدافع عن حقوقه ، وتفنى حياتك من أجل اسعاده فى دنياه وبعد موته ، لتتم له السعادة التى ينشدها .

أما أنت فمن واجبك عليه أن يشجعك ، إذا أحسنت ، ويعاتبك إذا أسأت ، ويقومك إذا اعوججت ، فهو منك وأنت منه ، يعمل لصالحك ، وتعمل أنت لصالحه ، كما قال الرسول عليه السلام :« المؤمنْ للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » حديث من أحاديث الرسول ﷺ .

أى بنى : كلما ازداد شك الناس بربك فليزدد إيمانك به ، فإن الايمان بالله طريق النجاة وسبيل السعادة ووسيلة الخير كل الخير .

لا تخالط أصحاب النفوس المريضة فتتأثر بطبائعهم ، ولا تحترم الخونة والمنافقين وحذار من مصاحبة المرابين والمرتشين ، كن مترفعاً عن كل ما يدنس عرضك أو يخدش كرامتك وإذا دعيت إلى

شيء يسخط ربك فلا تجب ، وإذا طلب إليك أن تفعل ما يؤنبك عليه ضميرك فارفض دون تردد ، كن قنوعاً إلى أبعد حدود القناعة ، وإذا رأيت نفسك تتلهف لأن تكون مثل فلان فى ماله أو جاهه أو مركزه ، فاستعرض مجتمعك لترى أنك أحسن حالاً من آلاف مؤلفة من الناس ، وتذكر دائماً قول محمد عليه الصلاة والسلام : « أنظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر ألا تزدرى نعمة الله عليك » .

يا بنى : اعلم أنك فى عصر طغت فيه المادة على الروح ، وأن القابض على دينه أصبح كالقابض على الجمر ، فإذا سمعت ما يؤذى سمعك ، أو سخر منك فيما تقوم به من عمل لربك ، فإياك أن يتزعزع إيمانك ، أو تشك فى مبدئك أو تتنكر لاسلامك ، ولتكن عقيدتك راسخة رسوخ جبل الرحمة ، ثابتة ثبوت دينك الذى آمن به أسلافك الصالحون من قبل ، سوف تتهم بالرجعية فى عقلك إذا تمسكت بدينك ، وسوف توصم بالدروشة إذا التزمت العفة فى عرضك ويدك ، وسوف يقال عنك إنك غير واقعى حينما تدعو إلى المثاليات ، فإذا حدث هذا فاعتصم بحبل الله ولا تهتم لأنك مع الله ، ومن كان الله معه فلا يحزن .

أى بنى : لا تكن متحجر العقل ضيق الأفق فتنسب إلى الاسلام شيئاً ليس منه ولا تتساهل فى أى من أمور الله ليقال إنك متحرر العقل طليق الفكر ، فذاك يؤدى بك إلى أن تحرم شيئاً أباحه الله لعباده ، وهذا ينتهى بك إلى أن تبيح للناس أمراً حرمه الله ، وأنت فى كلا الحالتين مخطىء فى حق الاسلام ، ولأسلم لك وحتى لا تقع تحت طائلة المسؤولية أمام الله يلزمك أو بعبارة أكثر دقة يجب عليك أن تتعمق فى دراسة دينك حتى لا تصدر أحكامك إلا على ضوء علم من كتاب الله أو حديث من أحاديث الرسول الصحيحة ، ولا تنس أن كثيراً من أولئك الذين يقومون بمهمة توجيه الناس وإرشادهم نتيجة لعدم سعة أفقهم العلمى يتسرعون فى إعطاء الكثير من الأحكام من غير علم فيسيئون إلى الاسلام من حيث لا يشعرون وتكون النهاية فتح باب الطعن على الاسلام وتعاليمه ، وأنا لا أريد أن تكون من هذا النوع ، فانهل من ينابيع العلم ما طاب لك ، وخذ من المعرفة ما لذ لنفسك لتكون بصيراً بما أراده الله منك من حسن توجيه لأسرتك وللمجتمع الذى تعيش فيه أسوة بالرجال من هذه الأمة التى أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

أى بنى : لا تأمن من لا يؤمن بدينك ، ولا تركن إليه ، ولا تأخذ مصادقته أخذ الجد ، فتوقع نفسك فى خطأ كبير ، ذلك أن أعداء دينك أعداء لك دون شك والعدو ينبغى أن يكون التعامل معه بحذر ، والصداقة التى ربما يدعيها عدوك إنما هى صداقة اضطرارية أملتها عليه مصلحة مادية يطمع فيها من ورائك ، فعامله بنفس القدر الذى يعاملك به ، وإياك أن تفشى له سراً من أسرار مجتمعك سواء كان هذا السر سياسياً أو عسكرياً أو اجتماعياً أو غيره ولا تبخل أن تعرض عليه الدخول فى دينك

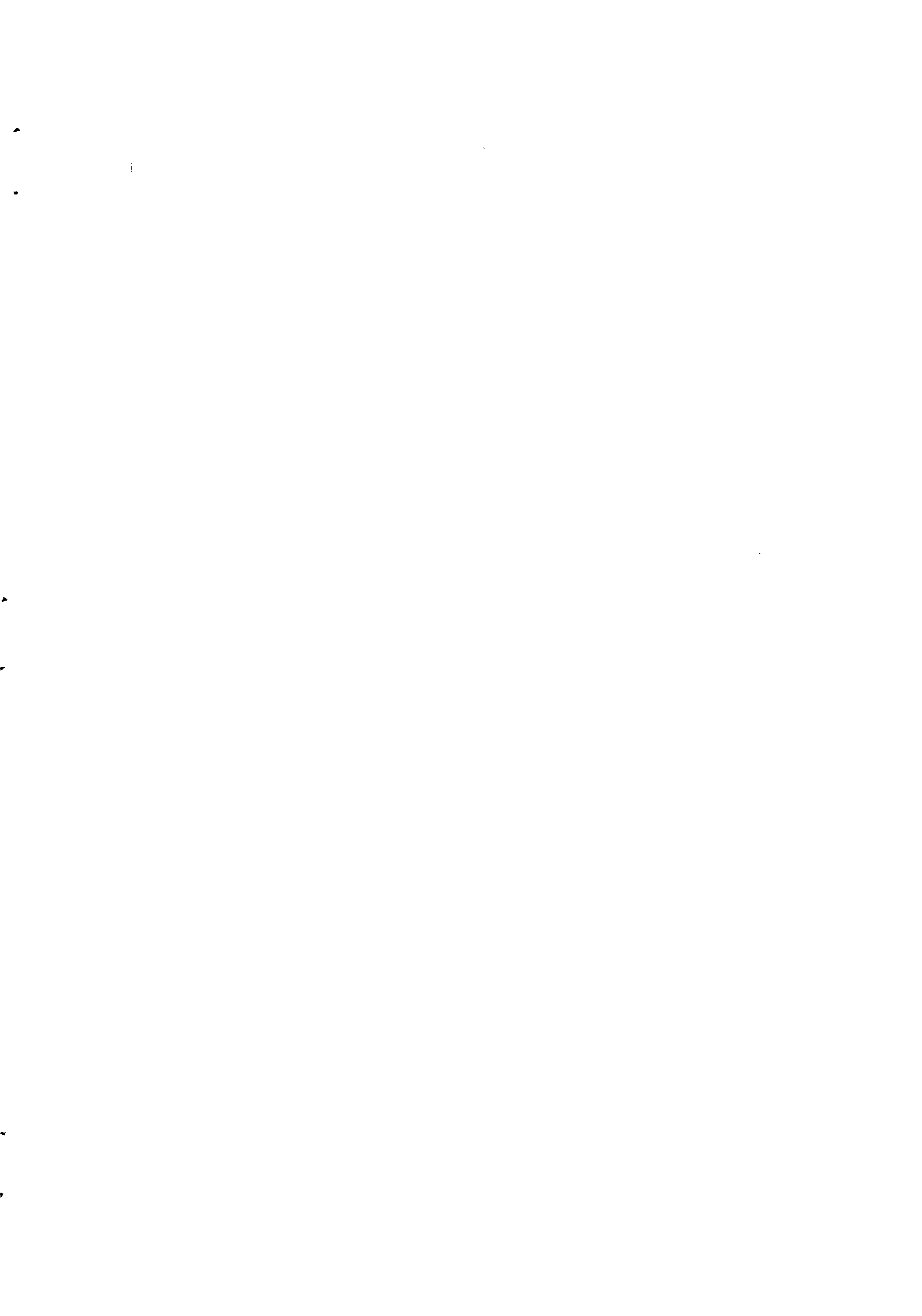
وذلك عن طريق عرض المبادىء الهامة فى الاسلام بأسلوب مبسط لعل فى ذلك إنقاذ له من الكفر ، وإذا رفض فلا تيأس عاود معه العرض مرتين وثلاث وهكذا ، فاليأس ليس من صفات المؤمنين ، ولك فى رسول الله الذى ظل ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ، أسوة حسنة ، وأكبر دعوة للاسلام أن تعطى للآخرين المثل الرفيعة التى تتمثل فى أقوالك وأفعالك ، فلتكن أقوالك وأفعالك وفق منهج شريعة الله ، وحذار أن تبهرك هذه الحضارة التى يسمونها بالحضارة الغربية ، تلك التى قامت وما تزال تقوم على النظرة المادية الصرفة ، فهى وإن كانت قد أوجدت الكثير من الخير للانسان فى ميدان الطب والمواصلات ، وتحسين وسائل الزراعة وغيرها ، فإنها إلى جانب ذلك قد أوجدت آلات الخراب والدمار للعالم إلى جانب هدم أخلاقيات المجتمعات وابعادهم عن الله لعدم اهتمام هذه الحضارة بالجانب الروحى للانسان ، الأمر الذى جعلهم رغم توفر أسباب الراحة المادية لديهم ، يعيشون فى فراغ نفسى مزعج لفقدهم الايمان الذى يمنح الانسان الأمن والطمأنينة ويصل قلبه بالله الخالق المدبر لكل شىء .

أى بنى ــ إن الاسلام دين يدعو إلى العمل وينهى عن الخمول والكسل ، فإياك أن تكون عاطلاً أو خاملاً ، واعلم أن أولئك الجهلاء بالاسلام وبتعاليمه والذين يقبعون فى المساجد أو فى بيوتهم منتظرين الكساء والغذاء يأتيهم من غير عمل ، معتبرين ذلك من التوكل على الله إنما هم أناس متواكلون لا متوكلون ، ذلك أن الاسلام يا بنى لا يرضى من المسلم أن يكون عالة على المجتمع و لايطلب منه أن يكون كذلك فأولئك الجهال من المسلمين الذين تراهم أو تسمع عنهم فى بلدان كثيرة من العالم الاسلامى الذين حملهم الكسل على أن يظهروا الزهد فى الدنيا وينتظرون الرزق يأتيهم عن طريق أهل الفضل والاحسان ، دون أن يكلفوا أنفسهم شيئاً من مشقة العمل ، زاعمين أن هذا العمل من الاسلام ، إنما هم متجنون على الاسلام وعلى ما جاء به من حث على العمل ، ولقد فتح هؤلاء الجهلاء بعملهم هذا باباً لتوجيه التهمة إلى الاسلام بأنه دين يدعو أتباعه إلى الكسل والخمول ، وأن تخلف المسلمين فى بعض ميادين الحياة سببه الاسلام ، وليس بعد هذا من جناية يجنيها هؤلاء على إسلامهم ، الذى هو برىء من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، فقل لهؤلاء ناصحاً إذا رأيتهم : إنكم وقد شرح الله صدوركم للاسلام ، فى حاجة ملحة إلى أن تدرسوا دينكم دراسة واعية لتروا أن عملكم هذا لا يرضى عنه الاسلام ، وأن هذا الدين الذى أكرمكم الله بالانتساب له ، يدعوكم إلى أن تنهلوا من مناهل العلم ، ليكون منكم الطبيب المسلم والمهندس المسلم والقائد المسلم والمخترع المسلم وبهذا تكونون فعلاً قد سرتم على ما أمر به الاسلام .. أما أن تتقوقعوا على أنفسكم فى كسل وخمول وترضوا بأن تعيشوا على هامش الحياة ، يتفضل الناس عليكم بالغذاء والكساء زاعمين أن هذا من التوكل على الله ، فأنتم بهذا تسيئون إلى أنفسكم وإلى دينكم بأمر ليس من الاسلام فى شىء .

أى بنى — إن طاعة الله سبب سعادتك ، فالزم أمر الله سراً وجهاراً وإن معصية الله سبب فى شقائك وتعاستك فاجتنب نواهيه لتفوز برضاه فى يوم لا جاه فيه ولا سلطان لأحد سوى الله الذى لا يتفاضل البشر أمامه إلا بالعمل الصالح ، لا تعبد إلا الله ولا تتوكل إلا عليه ولا تخاف إلا منه ، وإياك أن تتعدى على أعراض الآخرين أو تأكل أو تشرب ما حرمه الله عليك ، واحرص على أن تختار لمجالستك الأخيار من عباد الله الذين تتشرف بمجالستهم ، ولا تتكبر على من هو أقل منك علماً أو مالاً ، ولا تتعالى على الفقراء والبائسين ، تواضع لكل الناس حتى خادمك الذى يقوم بخدمتك احترمه ولا تكلفه من العمل مالا يطيق ، فهو أخ لك فى الاسلام لا فرق بينك وبينه سوى أنك فضلت عليه بما لديك من مال ، أما غير ذلك ففى يوم القيامة فربما يكون بعمله الصالح عند الله أفضل منك ، إن كنت موظفاً فاحرص على أن تكون يدك نظيفة من المال الحرام ، وإن كنت تاجراً فحاذر من الغش والخداع والاحتكار ، واحذر كل الحذر من الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، ولا تقل كما يقول الآخرون : إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ، بل قل دائماً : إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا تركت .

فكل إنسان محاسب بعمله ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .. هذه هى رسالتى إليك آملاً بما لى من حق الأبوة أن تعمل بما فيها ولك منى الشكر ومن الله التوفيق والهداية ..





فهرســـت

الموضـــوع	الصفحة